

مكتبة

تشوي إين يونج

ابتسامة شيوكو

مجموعة قصصية



أدب كوري
حديث

ترجمة:

مروة زهران

المحررة

ابتسامة شيوكو

تشوي إين يونج



عنوان الكتاب: إنتسامة شيوكو 쇼كو의 미소

المؤلفة: تشوي إين يونج 최은영 저

ترجمة: مروة زهران

مراجعة لغوية: محمود شرف

إخراج داخلي: رشا عبدالله

مركز
المحرسة

للنشر و الخدمات الصحفية و الإعلامية

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - للمقطم - القاهرة

ت، ف: - 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠٢٣ / ٢٦٦٨٣

الترقيم الدولي: 978-977-894-083-1

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محفوظة لمركز المحرسة

2024

"This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea)."

쇼코의 미소 © 2016 최은영

All rights reserved.

Original Korean edition published by Munhakdongne Publishing Corp.
This Arabic edition was published by Mahrousa for Publishing in 2023
by arrangement with
Munhakdongne Publishing Corp.

مجموعة قصصية

مكتبة

t.me/soramnqraa

ابتسامة شيوكو

تشوي إين يونج

ترجمة

مروة زهران





المكتبة والارشيف
دولة فلسطين

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

فو. دارويو

ابتسامه شيوكو/ تشوي إين يونج: ترجمة مروة زهران- ط 1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2023

271 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 1-083-894-977-978

1 - القصص الكورية

2 - القصص القصيرة

أ- زهران، مروة (مترجم)

ب- العنوان

895.73

رقم الإيداع 2023/26683

ابتسامة شيوكو

غرسْتُ يديَّ في الرمال الباردة، بينما أراقب البحر المتفرق بالسَّواد.
بدا الأمر وكأنني أقف عند حافة الكون.

قالت لي شيوكو إنها كلما وقفت عند شاطئ البحر. أَحسَّت وكأنها تقف عند حافة العالم. إحساس كأنها مدفوعة للخارج بقوة الطرد، مبتعدة عن المركز وعن البشر. قالت حينها إن شعور ابتلال قدميها في البحر لم يكن بتلك الروعة؛ فقد بدا الأمر لها كلقاء بين شخصين، كلاهما منبوذ.

"يومًا ما سأرحل بعيدًا عن البحر، وأقطن في مدينة تحوطها المباني من كل اتجاه".

كانت كثيرًا ما تُكرِّر كلمة "يومًا ما". حتى وهي في السابعة عشرة، حتى وهي في العشرين من عمرها. كانت كلُّما حكَّت لي عن شيء تريد تجربته قالت: "يومًا ما سأذهب للمدينة، ويومًا ما سأزور

كوريا لمدة أسبوع، ويومًا ما سأجرب المساكنة مع رجل، ويومًا ما سأترك عملي بالمشفى، ويومًا ما سأربي قطّة".

كانت إنجليزيةً شيوكو سهلةً الفهم. مَنْ يسمعها يعي على الفور أن المتحدثّة يابانية بسبب لكتتها، رغم ذلك، فقد كان نُطقها سليمًا مع محافظتها على نبرتها الراقية. كانت تتحدث بإنجليزيتها الطّلاقة بين الطلاب اليابانيين والكوريين الذين اجتمعوا تحت شجرة الوستارية. "يومًا ما سأنقش وشمًا يحمل صورة فراشة بالقرب من حلمة صدري".

كنتُ الوحيدة التي ضحكت من بين الفتيات اللاتي احمرّت وجناتهن خجلًا من كلامها.

كانت شيوكو، بالإضافة لثلاث طالبات أخريات، ضمن بعثة دراسية لمدرستنا. وقد كان الحدث تحت شعار "التّبادل الثقافي بين الطلاب الكوريين واليابانيين". كان عامّ الانفتاح الثقافي الياباني في كوريا. وكانت المدرسة التي ترتادها شيوكو في مدينة "أ" مدرسة فتيات صغيرة، وكانت على نظام المدارس الأخويّة مع مدرستنا. كانت شيوكو ضمن أربع طالبات من الصف الأول الابتدائي ممّن أجدن اللغة الإنجليزية؛ فأتيح لهنّ زيارة مدرستنا.

أمّا مدير مدرستنا، والذي كان متحمّسًا لذلك الحدث، فكان يضطّحب الفتيات الأربع ليمررن على الفصول تبعًا، بداية من الصف الأول وحتى الصف الثالث. ولا أعلم السرّ، ولكن يبدو أن التعب لم يُنْهكهنّ، فتراهن يلقين التحيّة على صفّي بكل حيوية. بدّت شيوكو خجولة بعض الشيء، إلا أنها في حقيقة الأمر لم تكن كذلك. يبدو وكأنّ التظاهر بالحياء عند الكلام كان إحدى عاداتها الملأزمة.

وكنت قبل أن تأتي شيوكو إلى كوريا أنظّف المنزل مع أمي وجدي كلّما سَنَح الوقت. كنت أنا وشيوكو بنفس المرحلة الدراسية. وكنت بين إحدى الطلاب القلائل في صفّنا الأول التي تجيد الإنجليزية، رغم

تعلمني؛ ولهذا السبب جاء اقتراح المعلم المسؤول عن الفصل لأمي أن نستضيف شيوكو في منزلنا طيلة مدة زيارتها لكوريا، والتي تستغرق أسبوعًا. كنّا نترك مسافة طفيفة بيننا ونحن نسير سويًا في طريقنا للمنزل وقد ساد بعض الإحراج في الجو العام من حولنا.

ولا زِلْتُ أذكر حتى اليوم وجهي جدّي وأمي حينما فتحت البوابة الأمامية، مُتهلّلين بعودتنا. لم يكونا قد تعرّفنا بعدُ على شيوكو، ولكنهما كانا يبتسمان بتلقائية؛ ترحيبًا بتلك الضيفة القادمة من مكان بعيد. أفراد أسرتي طريقتهم في التعبير عن الحب خرقاء، حتى الابتسام في وجه بعضنا البعض كان أمرًا ثقيلًا علينا؛ ولذا بدا لي منظر وجهيهما المرّحّب غريبًا ومضحكًا.

"أنتِ شيوكو؟ تشرفنا. لا أعلم إن كنت سترتاحين في منزلنا الضيق".

حدّثت أُمّي شيوكو بالكورية في مختلف المواضيع، وكأن الأخيرة تتحدث الكورية هي الأخرى، بينما كان جدي يتولّى ترجمة كلامها لليابانية، وفي كل مرة يُعقّب بابتسامة.

اعتاد جدي الجلوس على الأريكة وهو يشاهد التلفاز، ثم يطرني بطلباته، كأنّ يطلب مني أن أحضر له منفضة السجائر، أو بعض الماء، أو ماء ساخنًا ليضع فيه قدميه، كل ما كان يفعله هو توجيه الأوامر فقط. كما كان يرمقني بنظرة من طرف عينه حينما أعود من المدرسة وهو متسمر في نفس مكانه على ذات الأريكة بينما يشاهد التلفاز. ونفس ذلك الشخص، ومنذ أن حضرت شيوكو، أصبح يغلق التلفاز ويسألها عن مختلف الأمور. صوت جدي وهو يتحدث باليابانية كان مُفعّمًا بالثقة. كانت اليابانية هي اللغة الأجنبية الوحيدة التي يجيدها، رغم أنه قد تعلمها من أساتذة يابانيين ضيّقي الصدر.

لم تكن عائلتي تحبّذ تبادل أي نوع من الحوار على مائدة الطعام. كنا نفتح التلفاز ونتابع المسلسلات أو الأخبار بينما نهّم سريعا بإنهاء

وجبتنا. ولكن ومنذ أن ظهرت شيوكو، بدأ جدي يثرثر باليابانية، لدرجة أنني لا أستطيع أن أعلّق حتى وسط الكلام، ثم يضحك بصوت عالٍ بين الحين والآخر. وكانت تلك المرة الأولى التي أراه فيها يثرثر وهو يضحك على هذا النحو.

كانت شيوكو تجلس على ركبتها وهي تنصت لحديثه وتبتسم في أدب جمّ.

تمامًا كما رأيته للمرة الأولى في فصلنا، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الخجل، حينها، ولسبب مجهول، شعرت من ضحكتها بأننا مختلفتين. لم يكن تبسمها نابغًا حقًا من تأثرها بطرافة حديث جدي، وحتى إيماءة رأسها لم تكن من باب التعاطف حتى؛ ويبدو أن كل حركاتها تلك كانت نابعة من رغبتها في جعل المتحدث يشعر بالراحة فقط.

كان جدي يشير إليّ أحيانًا ثم يضحك وهو يتحدث إلى شيوكو. وحينما كنت أسألها: فيم كان يتحدث؟ كانت تجيب أنه يحكي لها بعض الحكايات الطريفة عني. مثل اليوم الذي نسيت فيه حقيبتني المدرسية بالمنزل واضطُرتُّ للعودة خضيمًا لإحضارها، أو عندما بلّلت ملابس بيولي من أثر الخوف بعدما استمعت لحكايات عن الأشباح؛ باختصار: حكايات بلهاء. ولا أفهم كيف تحوّلت تلك الحكايات إلى قصص طريفة مضحكة بالنسبة له، وهو نفسه الذي كان يستشيط غضبًا كلما اقترفت مثل تلك الأخطاء.

يبدو أن شيوكو تتفاهم بشكل جيد مع جدي مقارنة بتفاهمها معي. كان عليها أن تُحدّثني بالإنجليزية؛ ولذا كانت هناك الكثير من النقاط التي عجزنا فيها عن التواصل. بينما كان حوارها مع جدي باللغة اليابانية؛ فلم يكن هناك أيّ إشكالية في عملية التواصل بينهما. طلب جدي من شيوكو أن تناديه "مستر كيم". قال لها إنه يريد أن يصبح صديقها، لا أن تعتبره مثل مدير المدرسة العجوز.

في ليلة من إحدى ليالي شهر يوليو قبيل بداية الإجازة الصيفية كنت أسير برفقة شيوكو نتبادل الحديث على جانب النهر في الحي الذي نسكنه، فقالت لي إن أفراد أسرتي جميعهم لطفاء ومَرِحُونَ. لم أُجبها بأي شيء؛ فحصلتني من الكلمات الإنجليزية كانت ضئيلة ولم تسعفني، كما أنني أردت أن أعبر لها عن مشاعري الطيبة تجاهها؛ فتأبطت ذراعها.

حينها توقفت شيوكو فجأة عن السير، ونظرت لي بلامح صارمة، وقالت بإنجليزية جافة:

"ميولي مغيرة، وليس لدي أي اهتمام جنسي بك. والأمر كذلك مع أصحاب الميول المثلية. أَفْضَلُ الرجال".

قلت لها إنني تفاجأت من كلامها، وأني أيضًا لا أشعر بأي ميول جنسية نحوها، وأن تأبطني لذراعها كان مجرد تلامس جسدي ودني بين صديقتين فحسب، وأنها قد أساءت فهمي. بدا وجهها متشككًا في صحة كلامي، ولكنها فهمت قصدي في اليوم التالي عندما ذهبنا للمدرسة، ورأت بعينها الكثير من الطالبات يتأبطن أذرع صديقاتهن.

قالت لي إنها تسكن مع عمتها وجدّها؛ ولهذا السبب فحينما وصلت لمنزلنا لم تشعر بأي غرابة، بل على العكس فقد شعرت بالراحة. قالت إن عمتها هي ربة البيت بشكل فعليّ إلا أن عملها كان يضطرها للمبيت بالخارج بشكل متكرر. أمّا جدّها فكان يعاملها كالإحدى الأميرات، ويعتبرها أذكي وأجمل فتاة في العالم.

"أنا بالنسبة لجدي كالدين، عامله الأوحد. وكلّما تذكّرت ذلك الأمر تَمَنَيْتُ الموت".

قالت لي إن جدّها العجوز قد خرج في إحدى الأيام الممطرة حاملاً معه مظلة ليلتقي بها أثناء عودتها من المدرسة، إلا أنها فضّلت أن تتسلّق الجدار الحجري وتذهب مباشرة للمنزل حتى تتفادي لقاءه.

وفي مرة أخرى اشترى لها جُدها فستانًا ببعض النقود التي كان قد جمعها بصعوبة، ولكنها ألقت هديته بغلافها في سلة الفمامة قالت إنها كانت نشعر بالقشعريرة كلما تخيَّلت كيف كان يعاملها جدها كما لو كانت حبيبته. وأضافت أنها لا تطيق انتظار نخرُحها من المرحلة الثانوية حتى ترحل عن مسقط رأسها بلا عودة، وتنتقل للعيش في طوكيو.

"إدًا سأعطيك جدي. فجديّ يعتبرني أغبى طفلة في العالم. كما أنه يوبّخني كلما رأي، ويطلب مني أن أخفّ وزني، لم يسبق له أن اشترى لي أيّ فستان، ولا حتى علبة علكة واحدة".

كانت شيوكو تنظر لي وتضحك في صمت. كانت ابتسامتها لطيفة وباردة في الوقت ذاته، كابتسامة شخص بالغ لطفل ساذج.

حالة عحية من النشاط سادت المنزل بأسره طيلة الأسبوع الذي قضته شيوكو بمنزلنا، فها هو جدي قد نزل إلى المتجر ليشري البطيخ الذي تحبه شيوكو، وأمي قد قرّرت تعلّم اللغتين اليابانية والإنجليزية، عمّرت البغات الثلاث منزلنا، بينما كانت شيوكو تعدّ لف منلّات الأرز اليابانية.

"سألنقط صورة".

وضعت شيوكو فيلمًا في آلة التصوير خاصّتها، والتي كانت من نوع "البينتاكس"، والتقطت صورة لنا ونحن نتناول البطيخ. ليس هذا فحسب، بل إنها صوّرت أُمي وهي تُعدّ طعام العشاء، وأخذت تصوّر جدي، الذي كان ينظف غرفة المعيشة، كمصوّر البابارتزي. كان جدي وأمي كلاهما محتار بعض الشيء، إلا أن شعورهما لم يكن استياءً، بل أظهرتا ابتسامة لشيوكو تُنبئ عن عدم استيائهما من ذلك النوع من الاهتمام.

كانت أمي الضاحكة ذات العينين اللامعتين، وجدي كثير الكلام،
أناساً لم أعرفهم في تلك اللحظة. وربما لو كنت قابلتُ أشخاصاً مثلهم في
الخارج لحسنت الظن بهم على الفور دون تردد كونهم أناساً لطفاً.
كانا من نوعية الأشخاص الخاملين الذين لا يجيدون عقد صداقات
اجتماعية مع الآخرين. ولم أتعمد تحفيز أيّ منهما، وكنت أعنبرهما
كساعة ببنءول قءيم تراكمء عليها ذراءء الأراب عبر السنين. أنس
يفءقرون لأي رغبة في الأغير، قابعون في أماكنهم بلا أيّ هءف

أسرءنا كانت نضم أشخاصاً غرباء على الءوام. ولا أعلم إن كانت
شيوكو تعلم الكءير عن جءي، أكءر مءي.

اعءءن أنا وشيوكو على اسءعارة شرائط الفيوءو في طرئق عوءءنا
للمنزل بعء انءهاء ءوامنا المءرسي.

كانء معظمها أفلاماً من الأي لا يُنصء بها للأطفال ءون سز
السابعة عشرة، ولكءئي كءء أءهب مع شيوكو ونحصل على الأفلام
من المءجر ءون أن نأير أي شكوك ءولنا.

كانء أفلاماً مءل فيلم "ءوقعاء رائعة" للمءل إئان هوك،
والءي أءى فيه ءور رسام؛ وفيلم "شكسئر إن لوف"، الءي يءنوي
على مشاهء ءميمية؛ وفيلم الرعب الياباني "رينج"؛ وفيلم "ءوبننج
هيل" لءولبا روبرءس. كءنا نطفئ الأنوار في غرفة المعبشة ونشاهء
الأفلام وبعن نءءسي الشاي الأخضر. وفي كل مرة مع ظهور المشاهء
الءميمية كان الصمء يسوء الأجواء بين ءلاءءنا؛ أنا وجءي وشيوكو.

قالء لي شيوكو وهي أعاء الفيلم:

"هءه هي المرة الأولى الأي أرى فيها أءءاً يعشق الأفلام مءلك.
لن أفأءاً لو علمء يوماً ما أنك أصبحت من صانعي الأفلام".

قالء لي شيوكو ذلك الكلام ونحن نعبء الشرائط.

”أقصد ربما تصبحين مُعِدَّةً أو مُخْرِجَةً“.

ضحكت بينما حرَّكتُ رأسي بالنفي، ولغرابة الأمر فقد ترك كلامها أثرًا في نفسي. كلمات شيوكو كانت لها قوَّة ما.

أهدتني شيوكو خريطة ورقية للعالم من النوع الذي يُطوى. قال إن العالم واسع رحب، وأن باستطاعتنا السفر لأي مكان نريد. والقصد من كلامها ليس الخروج من قريتنا للمدينة المجاورة، بل بصحتني بأر أذهب لسيؤول لو أمكن الأمر، أو بكين، باريس، أو نيويورك. كان كلامها مُضجِكًا بالنسبة لي، فأخذت أضحك فحسب؛ لأنه لم يسبق لأحدٍ من أفراد أسرتي أن عاش في سيؤول من قبل، كما أنني كنت واثقة أنني سأظل في هذا الحي الذي أسكنه للأبد.

علَّفتُ خريطة العالم التي أهدتني إيَّها على الحائط. ثم رسمت نقطتين حمراوين؛ إحداهما عند المدينة ”أ“ التي تقطنها شيوكو، والأخرى عند مدينتي. كانت المدينتان قريتين لبعضهما البعض، بحيث لا أحتاج أن أبسط كُفِّي على آخره لأوصل بينهما. كما أضفت نقط أخرى فوق المدن العالمية التي تمثَّلت شيوكو زيارتها؛ بكين، هانوي، سياتل، كرايست شرش، دبلين... ثم انتابتنى الحيرة لخاطرٍ جالَ برأسي حينها، أن هناك بالفعل مَنْ يسكن بداخل تلك النقاط الضئيلة.

وصلني الخطاب الأول من شيوكو بعد مئادرتها بأسبوع. قالت بأنها لن تنسى الوقت الذي قضته في كوريا، وقالت إنه في يومٍ ما حينما تلتحق بالجامعة فإنها ستزور كوريا لنذهب في رحلةً سوياً. وقالت إنها عندما عادت لليابان وجدت الجوُّ رطبًا للغاية، وأنها انزعجت لحظة دخولها لمنزلها لأنها أحسَّت وكأنها تدخل قبرًا. وقالت إنه حينما نلتقي في المرة القادمة فإن علينا أن نتأبَّط ذراعيينا بينما نمشي.

لم ترسل لي وحدي، كانت قد كتبت خطابًا باليابانية ووضعتَه في ظرف آخر ثم أرسلته لجدي. جلسنا جنبًا إلى جنب على الأريكة

نقرأ الخطابين؛ الإنجليزي والياباني. وضع جدّي خطاب شيوكو على مسند الأريكة، وكان يقرأ خطابها المكتوب بنظام الكتابة العمودية، عدّه مرّات يوميّاً.

كانت خطاباتها مُنصّفة على الدوام. بحيث تصلنا، أنا وجدّي، في نفس اليوم، بنفس الگّم، فكنت أحياناً أجد خطابها في صندوق البريد أوّلاً، بينما يجدها جدي في أحيان أخرى. وكأننا نبتارى يُبا يفتح الصندوق أوّلاً ويعثر على خطابها، وبعدها كنا نجلس جنباً إلى جنب على الأريكة نتحدّث عن يوميات شيوكو.

ويبدو أنها كانت تحرص دومًا على كتابة موضوعات مُفرّحة في خطاباتها المُرسّلة لجدي، كأن تحكي له عن فوزها بالمركز الأول في سباق العدو، أو عن مطعم الكاري اللذيذ الذي زارته مع عمّتها، أو رياضة التجديف التي تمارسها مع أصدقائها في أيام العطلات، أو رحلتها لمدينة هوكايدو. وكانت تلك الأخبار التي تروّبها في خطاباتها بالنسبة لجدي لوحات رائعة تصلح لأن تكون لوحات فيه مطبوعة على البطاقات البريدية.

وعلى الحاسب الآخر كانت الخطابات التي تصلني منها لا تحوي إلا على الموضوعات الكئيبة، كحين سرّقت نقوداً من جدّها يسما تظاهر الرجز بعدم ملاحظته للأمر، وبعدها ألقت تلك النقود في فتحة البالوعة. كما ذكرت أنها تفكّر أحياناً في وضع السّم له في الطعام، وأنها نعلم بأمر عمّتها التي أضاعت نقود النفقة التي يرسلها والدها لها وأنفقتها على نفسها؛ لذا أخذت ملابس عمّتها الداخلية ومزّقتها واحدة تلو الأخرى، ثم ألقت بها في الشارع. وأنها بين الحين والآخر تخرّج نفسها بسكين مُعقّمة بالقرب من منطقة الحوض.

حينها، شعرت بالفوضى من كلماتها المتناقضة. كان يصعب عليّ الحكم إن كان كلامها مع جدي هو الصدق أم أن كلامها معي هو

الصدق. ولكن بمرور الوقت خفّنتُ أن الوجهين كلاهما صادق. وحتى وإن لم نكر جميع التفاصيل حقيقية، إلا أن جميع حكاياتها حقيقية. لا بل إن الأمر لن يختلف في شيء حتى لو كانت تلك الحكايات كلها محض أوهام. وكما هو واضح في خطابات جدي، فهي شخصية تُنشد -من الآخر- الاعتراف والحب، وفي خطاباتي شخصية تريد الانتقام من أقرب الناس إليها، بما فيهم نفسها.

كانت شيوكو تراسلنا مرّة كل عشرة إلى أحد عشر يومًا. ولم تهتمّ، سواء بادلناها بالردّ أو لم نفعل. وهكذا استمرت في مراسلاتها طيلة مرحلة الدراسة الثانوية وحتى التخرُّج.

كانت نقول إنه ليس لديها أصدقاء مُقربون. النظر للأمر بشكل سطحي يوحي لك بأنها اجتماعية، إلا أنها كانت من النوع الذي لا يعرف كيفية بناء صداقات وثيقة مع الآخرين؛ لذا كان من الصعب عليها أن تفتح قلبها لأقرب الناس إليها، وبدلًا من ذلك اختارت طريقة تبادل المراسلات مع الآخرين من الأجانب ممّن لا حاجة لها في لقائهم. لو كنتُ يابانية تسكن في محيطها لما أظهرت حتى أيّ اهتمام تجاهي.

يقولون إن البعيد عن العين بعيد عن القلب، وأنه سواء في حالة الحب أو الكره فلا بُدّ من تكرار اللقاء حتى نشعر بالألفة والمودة، لكن الأمر كان مختلفًا بالنسبة لها. كانت شخصًا لا يسمح لأحد بافتحام حيائها، بينما يمكنها أن تطلق لقب صديق على شخص لا تراه ولا تسمعه يعيش في مكان بعيد عنها.

كانت منفوّقةً في دراستها. وكانت تعتقد أن بإمكانها السفر إلى طوكيو على أي حال.

انقطعت خطاباتُها في شهر مارس قبيل التخرُّج من المرحلة الثانوية.

وقد كتبت التالي في خطابها الأخير:

"أصبح من غير الممكن أن أسافر لطوكيو. شيوكو".

كما كتبت التالي في الخطاب الذي أرسلته لجدي:

'أردتُ السفر لكوريا للقائك يا مستر كيم. غير أنني لا أعدك بشيء.
أعتذر لك. شيوكو".

تنهد جدي وهو يحمل خطابها الذي حوى جملة واحدة فقط.
كنت شيوكو بالنسبة له كرفيق السَّمر. وصل به الأمر أنه خطَّط
لرحلة جماعية لجزيرة جيجو حين قدومها لكوريا وهي في المرحلة
لجامعية. وكان يقول إنه بالنسبة لمشكلة العداء مع اليابان والأشخاص
المستائنين، فعليهم أن يعرفوا أن المشكلة تكمن في رجال السياسة
الأغبياء، وأن علينا ألا نُبطِن الكُره للمواطنين الصالحين.

لم أتمكن حتى الآن من فهم تلك الصداقة التي جمعت بين شيوكو
وجدي

أخبرني جدي لاحقًا أنه كلما خرج للتمشية كان يتحقَّق من
صندوق البريد بشكل دوريٍّ للتأكد إن كان قد وصل خطابها وكلمها
حدثنا في الهاتف كان يسألني التالي: "يبدو أن شيوكو مشغولة، ألم
نتوصل معكِ؟". كان يحشر تلك الجملة دومًا قبل أن يُنهي محادثتنا
الهاتفية. كنت محبطة بعض الشيء من توقُّف خطاباتها، ولكنني
كنت مشغولة، وعلى أعتاب حياة مهنية جديدة غامضة، والأمر كن
كافيًا بالنسبة لي، فلم يشغل بالي حقًا أمر خطاباتها، ولم يستحوذ على
نفكري. كنت حينها في إحدى الجامعات الخاصة بسيؤول.

مرَّت الأيام دون أن تخطر شيوكو ببالي. كان لي حبيب للمرة الأولى،
وكنيت أستعدُّ لبرنامج التبادل الطلاي. وبدأت أذاكر مفردات اللغة
الإنجليزية استعدادًا لدخول امتحان "التوفل"، ثم تذكَّرتُ حينما كنا

نحدث سوياً بإنجليزيتنا المتواضعة بينما نسير قرب المجرى النهري القريب من منزلي. تذكّرتُ حينما لمست ذراعها ذراعي، وحينما رمفتني بطرة كمن ينظر في وجه طفل صغير، كانت ابتسامتها مهدئة ولكنها باردة، استرجعت وجهها ونطقها الممتاز.

كل ما كنت أعرفه كان عنوان بيتها فحسب، لم أكن أعلم بريدها الإلكتروني، ولا حتى رقم هاتفها المنزلي. أرسلتُ لها عدّة حطات على عناوينها، ولكن لم يصلني منها أي رد، فتأيتُ عن الفكرة على الفور. ثم مرّ عامان على هذا الحال، وبعدها سافرت لكندا في برنامج التبادل الطلابي. كانت ذكراها تخطر ببالي أحياناً، ولكن الأمر لم يبعث في قلبي حينئذٍ أو شوقاً لرؤيتها. كانت شخصية شجاعة، فتصوّرتُ أنه لا شكّ وأنها بحير. واعتقدت أنها تدرس مثلي في بلد بعيد عن ديارها.

وحيما أوشكت دراستي في الخارج على الانتهاء، استقلتُ الحافلة الليلية وعبرت الحدود في رحلة لنيويورك لمدة ثلاثة أيام وليلتين. سكنت في نُزل الشباب، وكنت أخفي الخبز الذي يُقدّم مع وجبة الإفطار في منديل لأتناوله فيما بعدُ في كلٍّ من وجبتي العداء والعشاء، بالأحرى، كانت رحلة الأمعاء الخاوية.

وفي ذلك اليوم جلست على سلّم مكتبة المدينة أتناول عشاءي. فشعرت أن أحدهم يتفحّصني بنظراته. كانت فتاة ذات ملامح آسيوية بشعر قصير تتفحّصني بشكل واضح. فكّرتُ أنه ليس من الصواب أن أنسحب من معركة النظرات تلك؛ فبادلتها النظرات المنفحّصة على الفور فاقتربت منّي الفتاة رويداً، ثم قالت:

"أنت من كوريا، أليس كذلك؟ هل تذكريني؟ هذه أنا، هانا. التلميذة اليابانية التي سافرت إلى كوريا ضمن الرحلة المدرسية".

بدأن أومئ برأسي على مهل. كانت هانا إحدى الطالبات اليابانيات اللاني حصر في رحلة إلى كوريا. لم أكن أتذكر وجهها، ولكني لا زلت

أذكر صونها الناعم ذا النبرة المنخفضة. رَحَّبَتْ بي هانا بشكل كبير، ثم دعَتني إلى سقَّتْها.

"هاخَرْتُ إلى الولايات المتحدة قبل ثلاث سنوات. وكان حظي جيِّدًا بحِبتِ مَمَكْتُ من زيارة كوريا قبل هجري. لا زِلْتُ أذكر تلك الأيام. الكر عامَلْنَا بلطف وودُّ بِالْعَيْنِ. ولا زِلْتُ أذكر المرات التي كُنَّا نخرج فيها لنناول العشاء في المطعم مع الأسرة التي استضافتني. كانوا يبتهجون ويصفقون لي جميعهم عندما أَجَرَّبُ تناول طبق قشور لحم الخنزير أو أمعائه".

"حقًا".

"أنتِ أبْضًا كنتِ من العائلات المستضيفة. لشيوكو".

أومأت برأسي بدلًا من الإجابة، وأطلقت بصري تجاه نهاية الطاولة.

"هل لا رِلَتْ على تواصل معها؟ أذكر أنها قالت إنها تتواصل معك بالخطابات".

حدَّنْتُها عن آخر خطاب وصلني منها؛ ذلك الخطاب ذي السطر الواحد الذي ذَكَرَتْ فيه أنها لم تتمكن من السفر إلى طوكيو، وبعدها انقطعت أخبارها. أخبرتها أنني لا أدري فيمَ أخطأتُ، وأنني أشعر بالحسرة لأني لم أتبادل معها من قبل رقم هاتفها أو عنوان بريدها الإلكتروني. ابتسمت هانا ابتسامةً واسعةً، وأخبرتني ألا أقلق؛ فشيوكو بخير.

"التحقت بالجامعة في قريتنا. قُبِلْتُ في كلية الحقوق بجامعة واسيدا، ولكنها لم تذهب".

كانت المشكلة تكمن في جدِّ شيوكو؛ كان عليه أن يذهب إلى المشفى مرَّة كل ثلاثة أيام للحصول على جلسة الغسيل الكلوي بعد

فشل كلبتيه، وعمَّتها قد بلغت الخمسين، ولكنها شخص متبلد لا يسأل باله بمسؤوليته تجاه أبويه، إضافة لكونها مُدمنة نسوُق.

لذا لم تتمكن شيوكو من ترك جدَّها وهو على تلك الحالة وننتقل إلى طوكيو. قالت هانا إن الأمر لا يخلو أيضًا من سبب اقتصادي؛ فقد مكنت من الالتحاق بجامعة القرية بعد حصولها على منحة مُمولة لأربع سنوات، وكانت تستقلُّ الحافلة في طريقها للجامعة؛ لذا لم يكن لديها أي عائق بشأن المواصلات، وقد التحقت بقسم العلاج الطبيعي، وضمنت لنفسها وظيفة حيثما شاءت فور تخرجها. أضفت هانا أن شيوكو اختارت طريقًا مضمونًا.

لم يسبق لي أن تخيلتُ بشكل تفصيلي الوظيفة التي ستعمل بها شيوكو، إلا أن شعورًا غير ملموس راوَدني بأنها ليست من طراز الشخصيات التي من الممكن أن تستقرَّ في مكان واحد؛ لأنها سبق أن قالت لي، في غير أكثر، إنها لو شاءت لسافرت أينما أرادت واستقرت في ذلك المكان؛ لذا علَّق بذهني خبر عدم ممكَّنها من نقل آثار قدميها بعيدًا عن قريتها، محل ميلادها.

مظر شيوكو وهي تصطحب جدَّها للمشفى مرة كل ثلاثة أيام، ومنظرها وهي تلقي بتصريح القبول في جامعة واسيداه، شيوكو التي لم تستطع على الأغلب السفر لمدة تزيد عن يومين. في شقَّة هانا، تلاشت بداخلي كل مشاعر الحزن وتأنيب الضمير التي ساورتني حيالها من قبل.

حدَّثتني هانا دون توقُّفٍ عن حياتها في الولايات المتحدة، ودراساتها الجامعية. حاولتُ أن أصبَّ كل تركيزي على كلامها، ولكنني كنت أتذكر أمر شيوكو بين الحين والآخر؛ فأفقد قدرتي على التركيز معها.

ولفترض أن ظروفها أصبحت بهذا الشكل؛ فلماذا كان عليها قطع الاتصال بهذه الطريقة؟ وكيف صارت تعتني بجدها في مرضه وهي

مَنْ أرادت نرك ذلك المنزل بأي طريقة في السابق؟ أشياء لم أفهمها تركتُ لها، بريدي الإلكتروني وطلبت منها أن ترسل لي عنوان بريدي سيوكو الإلكتروني لو وجدت مَنْ يَدُلُّها عليه.

ولكن لم يصلني أي جواب من هانا. شعرت كأن سيوكو هي من طلبت منها ألا تخبرني ببريدها الإلكتروني.

ذهبت لمنزل سيوكو بنفسي في السنة الرابعة من دراسني الجامعية. استقلت الحافلة المسائية من طوكيو وأخذت أستقضي عن عنوانها حتى وصلت للقريّة التي تعيش فيها. وصلت نُزُلًا صغيرًا بالقريّة، وأفرغت أمتعتي، وقد قرّرت البقاء لمدة أسبوع. واعتمدت في حساباتي على أن سيوكو لن تكون بعيدة عن المنزل لمدة تزيد عن اليوميّن. وكان قصدي من الزيارة أن ألقاها ولو لمرة واحدة.

وبمجرد أن وصلت إلى اليابان بدأت أفهم بجسدي رطوبة الجو التي تُبغضها سيوكو، الرطوبة المختلطة بالهواء كانت كالعرق، لم يكن عرقًا صادرًا من مَسَامٍ جلدي، كان الأمر يشبه عرقًا ذاتبًا ومختلطًا في الهواء يلامس سطح جلدي.

يقع منزلها في رُقَاقٍ إذا خرجت منه وعَبِرَت الشارع لوحدها شاطئ البحر مقابلا له. كانت منطقة هادئة ضمت مجموعة من المنازل المنفصلة الصغيرة. وعند الرصيف جلس رجلان في منتصف العمر يصيدان. كان من النادر أن أجد أطفالًا، ولكن لم يكن الأمر مقتصرًا عليهم، فلم ألحظ وجود الشباب كذلك. بينما كانت الأصوات مقتصرة على أصوات المركبات أو الدرجات النارية التي تمرُّ بين الحين والآخر.

تَوَحَّهْتُ بخطواتي تجاه منزل سيوكو. حيث كان الباب الرئيسي فضي اللون بلون الكوبالت، ولم يُعلّق عليه اللوحة التي تحمل اسم العائلة التي تقطن المنزل.

وبمجرد أن وقفت أمام الباب الرئيسي دبّبت في قلبي شجاعة لم نكر موجوده قبل تلك اللحظة. على الأقل شيوكو لن تتظاهر بعدم معرفتها لي، وقد كنت واثقة من ذلك. وظننت أنه لا بأس حتى ولو لم أذكر مر لقائها. رصصت أمام عيني جميع الاحتمالات الممكنة من عدم جدوى تلك الزيارة التي أتت بي إلى هذا المكان، ويبدو أنني بذلت جهداً لأفتح قلبي استعداداً لتقبّل تلك الاحتمالات.

وجدت الباب يُفتح بأسرع ممّا توقّعت. وإذا برجلٍ مُسرٍّ أشيب طويل القامة ينظر لي مبتسماً. كان سَماره تشوبه الحُمْرة. حاولت أن أسترجع بعضاً من اللغة اليابانية التي كنت قد تعلّمتها في كتب المطالعة في المرحلة الجامعية، ولكن كل ما خرج من فمي حينها كان مجرد كلمات متلعثمة لبعض المفردات اليابانية مثل شيوكو، صديقة شيوكو، كوريا، الخطاب.

ضحك العجوز وهو ينظر لي بينما يحدثني بيابانية لم أفهمها، ثم أشار لي بيده أن أدخل. كان بالمنزل حديقة حَوّت زهور شب الليل، وأرضيه خشبية لامعة. أشار لي العجوز أن أجلس على أرضيه الردهة الخشبية. فخلعت حذائي ثم صعدت وجلست.

جلس الرجل وقد ترك مسافة بيننا، ثم أكمل حديثه على استحياء. لم أفهم ما قاله، ولكنه ذكر اسم شيوكو كثيراً بير كمانه. تذكّرت كلمات شيوكو التي كانت تحبس أنفاسها حينما قالت إن حدها يعتبرها الأجمل والأذكى على الإطلاق.

قدّم لي العجوز كوباً مثلاًجاً من الماء.

"شيوكو. شيوكو."

كان صوته حَذِراً.

ثم قال ما خَمَّنته "سويو هنا، سويو جاءت من كوريا". لم أسمع ولو صوتًا خافتًا قادمًا من الغرفة. حاول أن يحرك مقبض باب الغرفة ليفتح الباب، ولكنه أشار لي بحركات يده أنه مُغلق من الداخل. وبالرغم من رطوبة الجو الحار يومها إلا أنني شعرت ببرودة نسري في جسدي. لم ترغب شيوكو في رؤيتي مجددًا. كنتُ مجرد صديقة خيالية، أو جزءًا من مُذكراتها اليومية، وكل ما في الأمر أنها أفلعت عن كتابة تلك المذكرات، فبأي حق أحاول أن أقتحم موضوعات حياتها التي كتبتها في مذكراتها اليومية.

كرّر الرجل العجوز جملة "لا بأس" عدّة مرات وهو يرتدي قبعته، وحرّك يديه ليخبرني بأنه سيخرج قليلًا، وفي نفس اللحظة التي دفع فيها العجوز الباب الرئيسي ليخرج، فُتح باب غرفة شيوكو.

كانت قد جمعت شعرها الطويل وربطته لأعلى، وارتدت فستانًا أصفر بلا أكمام.

أخذت ترمقني طويلًا وأنا جالسة في الردهة أشرب كوب الماء المثلج. ثم مَشَتْ بخطوات ثقيلة، وبعدها جلست بجانبني، بعد أن نركت بسنا بعض المسافة. كانت تفوح منها رائحة مُعطر الملابس لم يتبادل أي كلمة، اكتفينا بالجلوس ونحن نحدّق أماننا. قالت بتمهّل وهي تنظر أمامها:

"ظننت أنني سأسافر لكوريا للقائك".

نظرتُ إلى جانب وجهها، وقلتُ:

"أنتِ مستاءة لأنني سبقتك بالحضور، أليس كذلك؟".

سكنت شيوكو لبرهة ثم فتحت فمها قليلًا وتنهّدت، ثم قالت:

"اشتقتُ لك".

كنت أشعر بالاستياء حيالها؛ لذا لم أجيبها بأنني قد اشتقت لها
أيضًا. وعلى الرغم من ذلك دمعت عيناها حينما قالت إنها اشتاقت
إليّ.

أحيانًا يشبه الحبُّ الصداقة، وفي أحيان أخرى تشبه الصداقةُ
الحبَّ، وحينما أفكر فيها كانت تراودني مخاوف؛ إذ ربما لم تُعد
تحبني بعد الآن.

في حقيقة الأمر لم تكن تُمثِّل لي أيَّ شخص. ولم يكن ليتعير في واقعي
أي شيء لو نسيتها في الحال. لم تكن زميلتي في العمل، أو حتى صديقتي
من أيام الدراسة ممَّن شاركتهم بعضًا من أيامي، ولم تكن حتى رفيقةً
الحي الذي أسكن فيه. بالأحرى لم تكن أحد التروس المحركة لعجله
حباتي اليومية، وبكل صدق، شيوكو لم تكن أي شيء.

ورغم ذلك تمَّيَّنتُ لو كنت أمثل شيئًا ما بالنسبة لها. ذلك المراع
العريب الذي بدأت أحسُّ به حينما توقَّفت عن مراسلاتها، وولت
الخيلاء النفسية التي كانت بداخلي ترجو ألا تنساني.

كانت بشرتها بيضاء شفافة لدرجة مُكِّنكَ من رؤية أرفع الشُعيرات
الدموية من تحتها. سألتها إن كانت تخرج من منزلها، ولكنها فالت
بأنه عدا الأيام التي تصحب فيها جدُّها للمشفى فإنها لا تغادر
المنزل، وحينما تخرج فإنها تحرص على ارتداء قُبَّعة كبيرة لتجنب
الشمس.

سألتها عن سبب عدم انتقالها لطوكيو، فنظرت لعيبي مباشرة
وهي تبتسم، وأخذت تُحرِّك رأسها. ثم قصدت غرفتها وأحضرت
إحدى دفاتر الرسم. فتحت الدفتر وقد طُوِّي لثماني طيَّات، وكانت
هناك بعض الرسومات البسيطة التي رُسِّمت بالأقلام الشمعية، بعضها
كان مجردَ خطوط ملوَّنة، والبعض الآخر كان رسومًا صغيرة نُقِشت
على أطراف الورقة، ثم لاحظت تحت كلِّ رَسْمَةٍ بعض الكلمات غير

المنتظمة التي كُتِبَت بالأقلام الشمعية. أخذت شيوكو تشير لتلك
الكلمات بإصبعها، وتقرؤها عليّ باليابانية ثم بالإنجليزية.
"نظن قديم نصف محترقة".

"عمود إبرة مُطْفَأ على الطريق السريع".

"منعقنة. بذرة منعقنة فحسب".

مكتبة

t.me/soramnqraa

"جندي غير ملتزم بالمشية العسكرية".

"ديكتاتور مُفْتَقِد للشَّغَف".

"العكس من كلمة نموذجي".

"لكن... نموذجي".

"صدي الصوت العجيب الذي يخبرني: كنتُ أعلم أن هذا هو ما
سوف يحدث".

"حمامة ننقر الأرض حتى آخر نَفَس قبل أن تتجمد".

أخبرتني شيوكو بكل تلك العناوين مع رسوماتها، ثم أشارت
بإصبعها نحوها وقالت:

"أنا. شيوكو".

بدا الأمر وكأن لديها صمام كهربائي محترق. أحفيت وطأة
الرسومات الني أثقلت قلبي وأخبرتها بعكس ما وَقَرَّ في قلبي؛ بأن
رسوماتها حميلة. قالت لي إنه ربما كان عليها أن تفكر جدياً في انحراف
الرسم، لا بس إنها تفكر في الكتابة، وأتبعَت كلامها بابتسامتها المهدبة.
كانت نفس تلك الابتسامة التي رسمتها على وجهها في فترة
المراهقة، ولكن في تلك الابتسامة، التي صعقتني حينها ببرودتها
ونُضجها، لكنني لمست فيها جانباً هُشاً ودفاعياً، كنت أظنها أقوى
مني، ولكنها كانت ضعيفة.

من الواضح أن شيوكو كانت تشعر بالأمر ذاته حينها، أنني أصبحت أقوى منها على المستوى النفسي. كنت أشاهد شخصاً مُمزقاً، فغمرتني حينها بعض المشاعر الفوقية.

حدثتها عن دراستي الجامعية، وعن سفري لكندا كطالبه ضمن برنامج التبادل الطلابي، وعن الأجانب الذين تعرّفْتُ عليهم أثناء أسفاري الكثيرة بين الحين والآخر، كما حدثتها عن لقائي بهانا في نيويورك "هل صحيح ما سمعتهُ منها أنكِ قُلبتِ في جامعة واسيداه، ولكنك لم تتمكني من الذهاب؟ سمعت أن الذي منعك هو جلسات الغسيل الكلوي التي يحتاجها جدُّكِ". كما استرسلتُ في الحديث عن الكثير من الأمور العامة دون أي تفكير. كنت أتوحى الحذر بين الحين والآخر كي لا أعبّر الخطوط الوهمية التي ترسمها، ولكن ذلك التوتُّر الناتج عن الضغط دفعني بالفعل في نهاية الأمر لتخطّي المزيد من تلك الخطوط.

"لم أكن أعلم أنك ستستقرّين في مسقط رأسك فقط والأدهى من ذلك أن يكون السبب التزامك بمواعيد جلسات الغسيل الكلوي الخاصة بجدِّكِ، هذا مُخالفٌ لطَبْعكِ. عليكِ أن تصحبي جدِّكِ مرّةً كل ثلاثة أيام للمشفى، أليس كذلك؟ سمعت أن جلسات الغسيل الكلوي مُرهقة للغاية؛ مُرهقة للمريض، ولمن يصحبه للعلاج. لم أكن أتصوّر مدى حرصك على سلامة جدِّكِ".

لو كانت انفجرت في وجهي غاضبةً، أو على الأقل برّزت موقفها بأي شكل من الأشكال حيال ما قلْتُ؛ لما شعرتُ بذلك الألم الذي شعرتُ به حينها.

قالت شيوكو وهي تبتسم:

"هذا حقيقي. أنا جبانة".

أغلقت شيوكو الدفتر ودخلت لغرفتها. ولم تطلّعني على نلك
الرُسومات مرّةً أخرى. عادت وجلست بجانبني ثم قالت:
"ولكن كلما زادت كراهيتك، كلما كان من الصعب عليك الرحيل"

كنت حالسة عند نهاية الردهة ويعتريني الإحساس بالغرابه،
وحاولت أن أسترجع السبب الذي دفعني لتكبّد العناء لأقابلها في
هذا المكان. لم أكن أعرفها جيّدًا لهذه الدرجة، ولم تكن غريبة كليًا
كذلك، كانت أقرب لشخص غريب من أن أُطلق عليها صديقه لم
تكن نمثل أي شيء مُحدّد لي منذ البداية، ولكن علاقتنا لم تكن من
النوع السطحي بما يكفي لأحكي لها عن أبسط الأمور، وخاصةً مع
شخص لم ألقه منذ فترة طويلة.

"ولكنني مسرورة بقدمك".

أسدت شيوكو يدها على الأرضية من تحتها وتحركت تجاهي، لم
ألتفت لها، وثبّت نظري فقط تجاه زهور الحديقة الوردية. صون
فسنانها الذي لامس الأرضية وهي تقترب مني أوحى لي بمدى الوحدة
العجينة التي يشعر بها كبار السن. أحسست بالأمر ولو لم أنظر إلى
وجهها.

كانت شيوكو عجوزًا.

تعلّقت بدراعي، فلمست ذراعها الطرية الباردة ذراعي الدافئة
الرطبة المتعرّقة، فأصابني القشعريرة، ثم أسندت رأسها على كتفي،
فشعرت بخصلات شعرها الرفيعة الناعمة، ثم شبّكت أصابعها بين
أصابعي وحركت ساقها في الهواء كأنها تبعثر الماء من حولها.

"ابقي معي. لا تعودني إلى كوريا، فلنعيش هنا سوياً".

قالتها لي بكل حماسة وكأن الأمر مُمكن بالفعل، ولكن ما كان
يجول بخاطري حينها نيتي في عدم رؤيتها مجددًا. كان من الأفضل أن

نفى في ذاكرتي وهي ابنة السابعة عشرة، وأن أقطع اتصالي بها؛ حتى يتسنى لي نسيانها ببطء.

لو لم ألتقي بهانا مُصادفةً في نيويورك أمام المكتبة العامة، ولم تروايني تلك المشاعر المختلطة من الشفقة والفضول تجاهها؛ لكنت قد محوتها من ذاكرتي بالفعل. لم أشعر بالراحة لرؤية الوجه العاري لشخص لم يستطع أن يغادر لأي مكان، مع بقاءه مُرغمًا في حبابٍ لا يحبها.

وحينها فُتح الباب الرئيسي ودخل الرجل العجوز مشيًا إلى الحديقة، وقد كان وجهه أكثر احمرارًا مما كان عليه منذ قليل، وحينما وقع نظره على ذراعينا المتشابكتين فشعر ببعض الحرج، فتسمر في مكانه بلا أي حركة، ثم أشاح برأسه جانبًا. كان بإمكانه التظاهر بعدم رؤيتنا والدخول للمنزل، ولكنه لم يفعل ذلك، وظل مُتسمّرًا في مكانه، وكأنه أراد أن يخبرنا أنه يمنحنا بعض الوقت لنحلّ ذراعينا.

حاولت أن أحلّ ذراعي من ذراعها، ولكنها تشبّثت فيه بكل قوتها. نهضت واقفةً على قدمي وحركتُ ذراعي لأخلصها منها كأني أخلصها من فأر علق به. كنت أقف في مواجهة الرجل العجوز بالحديقة الضيقة علّت ابتسامته على وجهه الصارم، بينما كان لا يزال مُشيحًا بوجهه، ولكن ابتسامته تلك لم تُفلح في إخفاء التشنج العضلي الدقيق في وجهه. لم أتحرك من مكاني، وكذلك الجد أيضًا، وبقينا على هذا الحال لبعض الوقت.

"هذا الرجل مهووس بي".

قالت شيوكو هذا الكلام مشيرةً بإصبعها للرجل العجوز، ثم أضافت بالإنجليزية بصوت منخفض:

"هذا الأحمق".

تفاجأت من كلامها، وأخذت أحدق في وجه الرجل، فأشاح الرجل بوجهه حائلاً كأنما أراد أن يخفي دموعه التي تجمعت في عييه، ثم نظرت لشيوكو من جديد. كانت تنظر للرجل الضعيف، وبدت كأنها مستمتعة، حتى إنها بدأت تضحك، فتدكرتُ جدي الذي يعيش معاً، وشعرت كأنه هو من تعرّض للسبِّ.

"ماذا قلب؟".

"قلت: رجل أحمق. ليتّه يموت ويريحني".

فقدتُ كلماتي، وعجزت عن النطق، وبدأ جسدي يزداد حرارةً، وكلّما ازدادت حرارته صَقاً ذهني.

"لن يكون هناك ما يجمعني بكِ مُستقبلاً. كُفّي عن تصرُّفات الأطفال تلك".

قالت شيوكو وهي تضحك.

"أنا لا أعلم حتى مَنْ تكونين. مَنْ أنتِ بالمناسبة؟".

أسندت شيوكو رأسها كسمكة ميتة على العمود، كان فمها مفتوحاً بعض الشيء، وأخذت تحدق في وجهي وقد خلا وجهها من أي تعبير. كرهت رؤية هذا المنظر، فأشحتُ بوجهي جانباً. كان العجوز منسجماً في مكانه يراقب زهور شَبّ الليل وظهره مَحْنِيٌّ كأنَّ شَيْئاً لم يكن. وبحوزته كيس بلاستيكيٌّ زَهْرِيٌّ حوى بعض التفاحات وبعض علب العصير ذات المصاصات.

أحنيت رأسي بعدما استدار لأعتذر منه، ثم غادرت المنزل. دفعت مبلغاً إضافياً لشركة الطيران وركبتُ رحلة بعد الظهرية المتجهة إلى كوريا في اليوم التالي.

حلقت الطائرة على مستوى منخفض، وقد كان يوماً ذا سماء صافية. نظرت خارج النافذة فرأيت البحر الواصل بين جنوب المضيق

الكوري وشمال غرب اليابان، لَمِعًا يترقرق، فالأشياء التي براها من بعيد تبدو أحمل وكأنها قد خَلَّتْ من أي عيب. كذبتُ على جدي وأخبرته بأنني لم أتمكن من لقائها.

"انتظرني بصعة أيام، ولكنها لم تكن موجودة بمنزلها. مع الأسف".

حاول جدي أن يبتسم، وقال لي:

"تَكَبَّدتِ عناء السفر بلا فائدة. فكَرري في الأمر على أنه كان مغامرةً، أما الآن، قدعينا نَكْفُ عن الحديث عما كانت تفعله تلك الفتاة المدعوة شيوكو، ولننْسَ أمرها. على الأغلب كانت مشغولةً للغاية. علينا أن نتفهّم الأمر".

الجد، الذي كنت أعرفه من عهد الطفولة، كان شخصًا يعضب بسبب كل شيء، حتى لو اعترف المُخطئ بأن لديه من الأسباب ما دفعه لارتكاب هذا الخطأ، فلم يكن يبالي على الإطلاق، كان الأمر ينتهي معه بعراكٍ أكبر، حتى في المشكلات التي يمكن حلّها من خلال الحوار؛ لم يكن لديه أي نوع من التعاطف أو التفاهم، وكان كثيرًا ما يسترجع حكايات من الماضي ويغضب بشأنها.

"علينا أن نتفهّمها. على الأغلب لديها ظروف هي الأخرى، فلننْسَ أمرها"... مثل تلك الكلمات لم تكن في قاموس كلمات جدي. يبدو أنه أراد أن يتجنّب الحديث عنها كلية، وكأنه أراد أن يصون مشاعره، فبدلاً من الأفصل الاعتقاد بأن لديها ظروفها.

كيف يمكن لأمرٍ سخيّف مثل تبادل المراسلات أن يكون أمراً مهماً له بهذا الشكل؟ مراسلات مع أجنبية تُصغّره بخمسين عاماً. ورغم أنه لم يكن ذا ثروة أو وظيفة بشكل فعليّ بعد بلوغه سن الخمسين، إلا أنه لم يعتد أن يحني ركبتيه لأحدٍ مُطلقاً، ولكن يبدو أنه خضع للأمر في هذه اللحظة أمام صمتها؛ دُرج طاولة القهوة في غرفة المعيشة

الذي أحفظ فيه بجميع خطاباتها أصبح خاويًا، كما توقّف عن عادة نفقّد صندوق البريد، وبعد هذا اليوم، لم نذكر أي شيء يخصّها على الإطلاق

أرى صورتها أحيانًا كدُميّةٍ ملتصقة بهذا المنزل الصغير، فتمر تلك الرؤية أدم عينيّ سريعةً خاطفة كالشبح. افترضت بأنها أصبح تعمل في العلاج الطبيعي، وأنه ربما تكون قد بدأت بالفعل في نقاضي مرتبًا طننت حينها بأنها قد تسرّعت في قرارها. اعتقدتُ أن قرارها في الالتحاق بوظيفة في سنّ الثالثة والعشرين، وعدم مغادرتها لمسقط رأسها، كان قرارًا غيرَ موفقٍ.

وحينها، وحتى تلك اللحظة، كنت أعتقد أن بإمكانني أن أعيش حياة مختلفة مميزة عن حياة الآخرين. كنت أسخر، بكل جُبنٍ، بيني وبين نفسي، من أولئك الذين يحاولون التوافق مع الواقع، ولكن ذلك الغرور الغريب قادني لأصبح لا شيء كما هو حالي الآن كنت عني يقينٍ حينها أن حياقي ستكون مختلفة عن حياة شوكو المادة المكبوحه، وأني سأستمتع كلّ يوم بحياتي المفعمّة بالحريّة والحيوية. نحرّحتُ في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، ثم التحقت بأكاديمية للسبنا تابعة لإحدى المحطات الإذاعية، وفي المساء كنت أعطي دروسًا خاصّة في اللغة الإنجليزية لجمع مصروفات الأكاديمية.

بداية متواضعة، ولكنها ذات خُطىٍ سديدة، كنت أعدّ السيناريو لفرق الإعداد وأنعلّم التصوير بالكاميرا، كما أنني حضرت محاضرات لمرحّلين معروفين إلى حدّ ما. كنت أعلم أنني بصدد طريقٍ طويل وشاق، ولكنني لم أشك أنني سأصبح مخرجة أفلام في يوم ما.

زملائي من الجامعة أخذوا يلتحقون واحدًا تلو الآخر بوظائف في البنوك والخطوط الجوية ودور النشر. أسأت الحكم عليهم بأنهم ركّزوا على المال والوسيلة المؤمّنة فقط بدلًا من البحث عن شغفهم

الحقيقي كنت أظن أن ذلك النمط من الحياة عديم الجدوى كل ما عانيت به في تلك الفترة كان القيمة، كنت أطمئن نفسي بأنه طالما أنني أسعى وراء حلمي فذلك معناه أنني أعيش حياة ذات قيمة. ولكنني كنت خائفة، فاحتمالات أن أصبح مخرجة أفلام وأن أصنع فيلمًا مُمَوَّلًا من قِبَل المستثمرين كان أمرًا أشبه بالخيال

بعد التخرُّج كنت قد أرسلت أحد أعمالِي لمهرجان للأفلام المسنَّقة، ولكنَّ ترشيحي قُوبِل بالرفض، دون إيذاء أي تعليق أو ملاحظات. قضيت عامًا إضافيًا في كتابة سيناريو آخر لمسابقة أخرى، ولكنه قُوبِل بنفس الرفض. الأشخاص الذين درستُ معهم صناعة الأفلام هم مَنْ صفعوا أفلامي لكونها سطحيَّة ومُملَّة وغير أصلية، قرؤوا أسطري بصوت عالٍ، وقد كنت أحسبها بشكل شخصي أصلية للغاية، وقاموا بنزعها كُلِّيَّة. "يبدو أن عليك متابعة المزيد من التدريبات، إضافة لمشاهدة المزيد من الأفلام"، هذا ما كنت أسمعُه عامًا بعد عام.

"مد متى وأنتِ تكتبين سيناريوهات الأفلام؟"، كنتُ قد قاربت سِرَّ الثلاثين حينما تردَّدتُ في الإجابة على هذا السؤال. بدأت الكتابة قبل خمس سنوات، وعملت على بعض الأفلام الصغيرة كأحد أفراد فريق العمل الخاص بالفيلم، ولكن موهبتي كانت أكبر؛ وكُنْتُ أذهب للحفلات التي تَعْقُب عرض الفيلم لأستمع للفضائح، أو أكون مَمَّر يسترها

كنت أؤمن دومًا بأن الكتابة ستمنحني الحرية، ستُحرِّرني من نفسي، ستُشَتِّت حدود العالم الذي أسكنه، ولكنها أثبتت العكس من ذلك تمامًا. كنت دائمًا مضغوطة بحثًا عن المال، عانيتُ في البحث عن وظائف، أو محاولة الالتحاق بمعاهد لدراسة السينما حتى ولو كانت متواضعة، وكبرت وعندي حساسية تجاه النقود بشكل مبالغ فيه

عاداتي الإبداعية كانت مختلفة بشكل جذري مقارنةً بأصدقائي الذين أصبحوا بالفعل مُدراء في شركاتهم الخاصة. كانوا لا يسمحون ليدي أن نصل لفاتورة الحساب مُطلقًا. كان الأمر نابغًا من مراعاتهم لظروفي، ولكن مثل تلك اللحظات كانت تُهشِّم كرامتي. أصدقائي ممَّن كانوا يعملون في دوام مستقرَّ بساعات عمل رسمية كانوا يقضون عطلة نهاية الأسبوع في مشاهدة الأفلام والعروض، ومع ذلك كانوا يجدون وقتًا للقراءة، بينما كان حجم قراءاتي متواضعًا بالمقارنة بهم.

على الجانب الآخر، وحينما التقيت بأصدقائي الذين يعملون في مجال صناعة الأفلام، كنت أقارن دائمًا موهبتهم بموهبتي، فما أحصل من تلك المقارنة سوى على التَّخَبُّط بين جدران المشاعر الدونية. كان إلهامي ينصب، بينما كانت أناانيتي تستفحل بمرور الأيام. كنت أتابع المخرجين الحديثين الذين حوَّلهم فشلهم لمدمني الكحول، وحتى كاتبي السيناريو الذين كانوا يعملون جنبًا إلى جنب في تدريس طلاب في المراحل المتوسطة والثانوية دون أن يتلقَّوا مبالغ إضافية نظير عملهم بعد انتهاء ساعات الدوام، وكنت أُقْبِع نفسي أنسي أفضل منهم على الأقل.

إذًا فحلمي كان خطيئَةً. كلاً، بل لم يكن حُلماً من الأساس.

لو كانت صناعة الأفلام حلمًا، لو كنت قد اخترتها لذلك السبب لكنت شعرت ولو بجزء منها بشيء من السعادة والإنجاز، ولكنني كنت أَعِدُّ سيناريوهات لأفلام لم أكتب لها، وكل ذلك فقط حتى أبقى على وَعْدٍ كنت قد قطعته لنفسي مُسبقًا في أن أصبح مخرجة في يوم من الأيام. كنت أوهِمُ نفسي بأنه ربما حرَّكت تلك الأفلام قلب أحدٍ ما، وفي الوقت نفسه عَجَزْتُ أعلامي عن تحريك قلبي أنا أولًا.

نظرتي الإبداعية كانت قد ماتت بداخلي منذ زمن طويل. كد ما كنت أبغيه الآن هو أن أكون شخصًا مُهمًّا في مهنة صناعة الأفلام.

كنت أولف، ولكنها كانت قصصًا مُفَتَّعَلَة؛ لأنها لم تنبع من داخلي. لم أكتب رغبةً مني في الأمر؛ ولكن لأنني مُضطرَّة لفعل ذلك

الأحلام كانت سرابًا مُلَطَّخًا بِمِشَاعِرٍ قَبِيحَةٍ؛ من أمثال العرور والطموح والحاجة في الحصول على الاعتراف والتقدير، والرغبة في الانتقام كل مَنْ حَدَّثَنِي بِلِسَانٍ أَعْوَجَ عَنْ صَعُوبَةِ الْعَيْشِ دُورَ الْأَفْلَامِ، أَوْ مَدَى حِرْصِهِ عَلَى صِنَاعَتِهَا، كُنْتُ أَسْتَشْعِرُ مِنْ كَلِمَاتِ أَمْنَالِهِمْ بِرَائِحَةِ الرِّغْبَةِ النَّنْهَةِ الَّتِي لَمْ تَتَحَقَّقْ بَعْدَ. كَانَ شَغْفِي بِنَفْسِ قُوَّةِ شَغْفِهِمْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ أَقْوَى، كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّنِي كُنْتُ أَصْطَنَعُ أَدَاءً يُوْحِي بِعَدَمِ اكْتِرَائِي لِلأمر كثيرًا.

الأحلام الحقيقية كانت من نصيب صُنَاعِ الْأَفْلَامِ الْمُوْهَبِينَ مِمَّنْ يُمْكِنُهُمْ تَحْمُلُ تَكَالِيفِ الاسْتِمْتَاعِ بِوُظُفِيَّتِهِمْ. كَذَلِكَ الْمَحْدِ، الَّذِي كَانَ مِنْ نَصِيْبِهِمْ عَلَى أَيِّ حَالٍ. فَنُ صِنَاعَةُ الْأَفْلَامِ فِي الْعَمُومِ كَانَتْ يُطَهِّرُ وَجْهَهُ الْحَقِيقِي لَصُنَاعِ الْأَفْلَامِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُتَمَيِّزِينَ بِصِدْقٍ، لَا الْمُجْتَهِدِينَ مِنْ مَتَوَسُّطِي الْمُوْهَبَةِ. غَطِيتُ وَجْهِي بِيَدَيَّ بَيْنَمَا عَلَا صَوْتِي فِي الشَّيْخِ. كَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيَّ تَقْبُلُ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ، وَاللَّحْظَةَ الَّتِي تَتَشَبَّثُ فِيهَا الْأَشْخَاصُ مَعْدُومُو الْمُوْهَبَةِ بِسَرَابِ الْأَحْلَامِ، هِيَ نَفْسُ اللَّحْظَةِ الَّتِي تَتَأَكَّلُ فِيهَا حَيَاتِهِمْ.

حسرت معظم مَنْ كُنْتُ أَطْلُقُ عَلَيْهِمْ أَصْدِقَاءَ قَبِيلِ الْإِلْتِجَاقِ بِمِهْمَةِ صِنَاعَةِ الْأَفْلَامِ. بَقِيَ الْبَعْضُ مِنْهُمْ وَقِيًّا لِي عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْلَمُوا مِنْ اخْتِبَارِ غُرُورِي الَّذِي تَرَاكَمَ بِدَاخِلِي، وَقَدْ أَلْقَى بِظِلَالِهِ السُّودَاءَ عَلَيَّ. إِجْدَاهُنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ مِنْ رَجُلٍ يَتَقَاضَى رَائِبًا مُرْتَفَعًا، فَحَكَمْتُ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا شَخْصٌ مَادِي. وَأُخْرَى أَسْرَتْ لِي بِأَمْرِ وُظُفِيَّتِهَا النَّيِّ أَرْهَقَتْ رُوحَهَا، فَشَعَرْتُ بِشِمَاتَةٍ تَجَاهَهَا، بَيْنَمَا رَسَمْتُ عَلَى وَجْهِي مَلَامِحَ التَّأَثُّرِ. صُدِمْتُ لِمَدَى سُوءِ أَفْكَارِي، وَلَكِنْ حَتَّى ذَلِكَ لَمْ يَدُمْ طَوِيلًا.

أضربت ساعات أكثر بمفردي في المنزل. لم أرغب في رؤية أحد أغلب الوقت، كما أنني لم أكلّف نفسي عناء الزيارة أو حتى الاتصال بأمي أو حدي. كنت مؤمنة أن أفلامي ستتناول الجواب لعمة للنفس الإنسانية، في نفس الوقت الذي كنت أبتعد فيه عن الأشخاص المعدودين الذين أحبوني بصدق. لم أكن أدرك وقتها كيف دفعهم عروري للشعور بالوحدة.

اتصل بي جدي في حدود الساعة الثالثة، لم أكن قد غادرت سريري بعد.
"مرحبًا".

"لا زلت نائمة؟ أقف أمام منزلك".

كان يومًا ممطرًا من أحد أيام شهر نوفمبر. أنهيت المكالمه ونظرت لهاتفي فإذا بخمس مكالمات واردة من قبل جدي، في محاولة منه للتحدث معي، منذ الساعة الثامنة صباحًا. لم أكن أعلم على وجه التحديد منذ متى وهو ينتظرنني.

كانت قنعة جدي اليريت ذات اللون البني المائل للحمرة رطبة مبللة، وأنفه وأذناه كانت حمراء.

"يا إلهي! كم عدد الأشخاص الذين يسكنون في الطابق الواحد من المبنى؟".

أبدي جدي استياءه، وهو يمر في الردهة المؤدية لشقني، من الغرف السكنية المتلاقصة. دخلت الشقة وجذبت نحوه مقعد المكتب.

'لا حاجة لي بهذا الكرسي. أفضل الجلوس على الأرض'.

قلدته في الجلوس على الأرض، ولكنه صرخ في وجهي بأنه ليس من الصّحّي للنساء الجلوس على الأرض، وطلب مني النهوض للجلوس على الكرسي.

"جدي، علينا أن نُبقي أصواتنا منخفضة في هذه الغرف. الجدران ليست عازلة للصوت".
"هذا هراء".

أحضر جدي معه علبة كاملة من مشروب الفيتامينات كمن حضر لعيادة مريض. أخذت زجاجة من العلبة وقدمتها له.

"لا حجة لي بهذا. اشربيه أنت. في كل مرة كنت نفولين بأنك مشغولة مشغولة؛ فحضرت بنفسني لأتحقق من مدى انشغالك. كم كنت أتساءل كيف تعيشين. في الواقع ليس هنالك ما أتفقده هنا. كيف تتوقعين أن بإمكانك مواعدة رجل بينما هذا هو كل ما تملكين من الملابس؟".

"إن كنت ستستمر على هذه الطريقة في الحديث فالأفضل لك أن تنصرف".

كانت هذه المرة الأولى التي يحضر فيها جدي لزيارتي في غرفه الإبحار التي أسكنها بسيوول. كان ينتمي أكثر لأريكته، أو الحلوس فوق حصيرنه الحرارية في منزلنا؛ لذا كانت جلسته في غرفتي غير مريحه. كان قد استقل القطار ثم مترو الأنفاق ثم الحافلة، كما أنه احتمل المطر لرؤيتي، ولم يكن أي من ذلك من طبعه. ربما طلب منك الحضور لزيارته، ولكنه لم يكن من ذلك النوع الذي قد يمد ساقيه ويبادر بزيارة أحدهم.

كُتبت عبارة "ليس من طبع جدي" عدّة مرات بالفعل، ولكن حين أفكر الآن في الأمر أجد أن جدي الذي أعرفه كان جزءًا فقط ممّا هو عليه بالفعل، وبحساب الزمن، فإن ثلاثة أخماس من حياته كان مجهولاً على أي حال بالنسبة لي.

وفي نهاية اليوم كان جدي بمثابة ضيفٍ يمرُّ بغرفتي. هذا الرجل العجوز العريب، الذي وقف عاجزاً تحت المطر في شارعٍ لا يعرفه ولا يكثرث له المازون، والذي سٌيذكر فقط بالفشل الذي يصاهي الفشل نفسه، جلس هنا في مواجهتي وهو يتظاهر بتفقدُ غرفتي من حوله. كان هو مَنْ ربّاني وحملني فوق ظهره حينما كانت تُضطرُّ أُمي للخروج لعملها. لحم جسدي وعظامي نَمَا بفضل رعايته، وحتى دُمائي تدفّقت بفضلِه. شعرت بالامتنان له رغم ادّعاء أن يرّ الوالدین هو مجرد أیدیولوجیا. لم أقدم له أي شيء على الإطلاق، سواءً كان مادياً أو غير مادي. ولربما كان ذلك السبب الذي دفعني دفعاً لتجنّبه بكل الأشكال الممكنة.

أخرج جدي شيئاً من جيبه ودسّه بين كَفَيَّ. كان ظرفاً مُغلّفاً.

"إنه من شيوكو. بدأت ترسلنا من جديد."

أخرج ظرفاً آخر من جيبٍ داخليٍّ وأراني محتوياته بكل فخر: كتيب صغير، صورة فورية من نوع "بولارويد"، وخطاب كانت الصورة لسيدتين ورجلٍ بزيّ الأطباء الأبيض، ومن خلفهم السماء الزرقاء تغطي الكُتيب الرقراق. بدت السيدة التي توسّطت الصورة في منتصف العمر، وبدا كأنها مديرة المشفى، بينما بدا الشاب والسيدة الواقفان بجانبها في العقد الثاني من عمرهما. تلك الشابة كانت شيوكو. زالت عن وجنتيها الاستدارة التي كانت تُميّزها بالملامح الطفولية، وقد صيغت شعرها وحاجبيها باللون البني، وقد أضافت الكثير من مسحوق الوجنة الوردي؛ فبدا وجهها كله وردياً. بينما كانت عيناها وفاها مفتوحين عن آخرها من أثر التَّبَسُّم المصطنع. ظهرت شيوكو في الصورة الفورية واقفةً وهي تضمُّ قطعةً سوداء ذات مخالب بيضاء. وكانت الأخيرة مغمضة العينين في استسلام تام

بس ذراعيتها. كانت شيوكو مبتسمة حتى بدت أسنانها في هذه الصورة أيضاً.

"سيوكو تعمل الآن كأخصائية علاج طبيعي في مسقط رأسها. ذكرت لي أنها تعمل بمشفى كبير. كما قالت بأنها ستمنحني بحفيظ حال فكرت في المجيء يوماً".

'هل أتيت كل هذه المسافة لتخبرني بهذا الأمر؟ كان بإمكانك الاتصال بدلاً من ذلك".

"أردت، أردت أن أمرّ عليك فحسب".

ساد الصمت من جديد. أخرج جدي لفافة تبغ من جيبه وأشعلها، بينما ركّز نظره صوبها.

"من ذا الذي يدخن داخل الغرف السكنية في عصرنا هذا؟ ستتسبب في طردي لو علم صاحب العقار بالأمر".

لم بأنه بتحذيري، وأخذ يُدخن لفافته الثانية، وأعقبها بالثالثة في غير كراث. فكرت أن أوّبه، ولكن عوضاً عن ذلك تظاهرتُ بأسغالي في بفحص وجه شيوكو المطبوع على الكتيّب. لم أعلم ماذا عني أن أقول، ولم أجد معنى لصمت جدي.

'أعلمين، هذه هي المرة الأولى التي أخبرك فيها بهذا الأمر، ولكن..،' بدأ جدي حديثه، بينما بقيت صامتة.

'لم أكن أعلم أنك ستكبرين لتصبحي هذه المرأة العظيمة التي أنت عليها اليوم. سافرت لسيؤول للدراسة، ثم أصبحت مخرجة أفلام. شققت طريقك دون أن تطلبي مساعدتنا. لم تكثرني لأي شيء، وعشت كما تريدين. بالنسبة لي، هذا أمر يثير إعجابي".

أطفأ جدي لفافته في علبة القهوة المعدنية، ثم أخذ يحدّق في. كان يحاول إخفاء شعوره بالشفقة من ملامح وجهه. كان رجلاً قليل

الخبرة فيما يتعلّق بأمر إخفاء المشاعر، فبدت جليّة على وجهه. كان يعلم أنني أغرق في الوحل. لا بُدّ أنه فطن أنني لا أتلقي دعمًا من أي أحد، ولرّما هذا ما دفعه لقول تلك الكلمات بغرض مواساني لم أجد ما أقوله سوى أن أنظر للكتيب وأعلّق:

"لماذا وضعت كل تلك المساحيق على وجهها فبدت كإحدى ممثلات الكابوكي؟".

"تبدو جميلة. يمكنها أن تفعل ما يحلو لها. سواءً كانت تشبه ممثلات الكابوكي أو ممثلات أوبرا بكين".

قال جدي جُمَلَتَه ثم نهض.

"ماذا؟ لماذا سترحل باكراً؟".

"حضرتُ فقط لأخبرك بذلك الأمر. لا أريد أن أعطُك أكثر من ذلك مع انشغالك".

كان جدي يعلم أنني لست مشغولة على الإطلاق، وللسبب ذاته كان بإمكانه الحضور على عتبة منزلي دون خبر مُسبق. يبدو أنه كان على يقين من أنني سأكون متواجدة بالمنزل في الساعة الثالثة عصرًا فشلت في إقاعه بالبقاء لفترة أطول، فصحبته للخارج.

عجزت عن فتح مظّلتَي الوحيدة ذات الطي المزدوج. جدي الذي لا يطيق الانتظار كان قد تحرّك بالفعل وتقدّم لمسافة بعيدة. كانت المظلة من النوع الذي يُفتح بمجرد الضغط على الزر، ولكن الزرّ كان مُعطّلًا، وكذلك طريقة الفتح اليدوية لم تفلح معها هي الأخرى. نزّلت حَبّات المطر بكثافة، فشعرت بالغضب تجاه جدي الذي لم يُحضِر معه مظّلتَه في هذا الجو الممطر. كان هناك محلّ استهلاكي بهاية الزقاق، ولكن لم يكن معي أي نقود لأشتري له مظّلة.

نَهَلْ جدي في خطوته السريعة واستدار نحوي وأخذ يلوح مبتسماً بلا سبب. حملت المظلة المعطلة وركضت نحوه، تحاملت على دموعي بصعوبة، وعهدتُ على نفسي ألا أدعها تنزل أمامه، ثم أعطينه المظلة.

"لا حاجة لي بها. السماء ليست ممطرة لهذه الدرجة. ما بالك بـيكن؟".

أخذت المظلة سريعاً من يد جدي مرةً أخرى، وحاولتُ بكل قوة أن أفتحها

"المظلة، المظلة مُعطلة. كانت تفتح جيّداً فيما سبق، ولكنها تتعطل بهذا الشكل بمجرد أن أحاجها".

"الأمر لا يستحق دموعك. ناوليني إيّاها".

فُبحّت المظلة بمجرد أن لمسها جدي، وهي ذاتها التي أبنت أن تُفتح منذ قليل. أخذ يضحك ثم ناولني إيّاها. طلبت منه أن يأخذها، لكنه رفض. بدأ المطر يهطل بشكل أقوى. فعرضتُ عليه أن أصحبه لمحطة الحافلات على الأقل، ولكنه أخبرني أنه بخير وأنه سيذهب بمفرده. بدأت عيناه في الاحمرار وهو يتحدث معي، كأنه أراد أن يخبرني "دعيني حتى أطلق دموعي الحبيسة". تركتُ يده. وعلى الفور تقدّم في طريقه دون أن يلتفت للخلف نحوي مرة أخرى.

ذلك الرجل العنيد المندفع، وطيب القلب، ذلك الرجل العجيب حدّي. يا له من رجلٍ فوضويٍّ! حملت المظلة التي تركها لي ووقفت أنظر لهيئته وهو يغادر حتى تلاشى من أمامي.

کیف حالک؟ أعلم أنك قد نسيتني بلا شك، ولكني سأبعث لك بخطابي هذا. قبل أن تأتي لمنزلي علمتُ من هانا أنك قد قابلتها في نيويورك. حصلت على عنوان بريدك الإلكتروني منها، ولكني فشلت في إرسال رسائل بعد عدّة محاولات من الكتابة والإلغاء والكثير من الهوامش.

سأضع الأمر بشكل مُبسّط. كنت مريضة حينها. يمكنك أن تسمّي الأمر عُذراً. ولكنها الحقيقة؛ ولذا أخبرك بها الآن. كان هناك أعراض منذ المرة الأولى التي التقيتك فيها، ولم أكن نفسي حتى فيل امتحان الالتحاق بالجامعة. كتبت لك حينها بشأن الكثير من الأشياء. كنت أهول في بعضها، ولكنها كانت أموراً حقيقة جميعها.

سألتني عن سبب عدم ذهابي لطوكيو. أردتُ الذهاب حقاً أكثر من أي شيء. ظننت أنه سيكون من الأسهل أن أموت هناك. لأنني لو بقيت في مسقط رأسي فإن جدّي وعمتي كانا يتناوبان على ملاحظتي طوال الوقت؛ خشية أن أقدم على الانتحار، أو أصيب نفسي بأى أذى. حاولت مرّة، ولكنّ جدي أنقذني حين كنت قد أوشكت على الموت أنقذ حياتي، ولكنني كرهته حينها بسبب ذلك الأمر.

كان يخبرني أن في هذا العالم أشخاصاً يتمنّون أن يعيشوا وليس ذلك باستطاعتهم فلم أفكر بهذا الخواء، وأن عليّ أن أتحدى بالعزيمة والإرادة النفسية القويّة. كان ينصّحني بالاستماع لمحاضرات عن روح الساموراي. لم يفهم أيّ منهم أن الاكتئاب مرضٌ يحتاج لعلاج. ثم ساءت حالتي في تلك الفترة.

لم يكن جدي السبب وراء قرار عدم السفر لطوكيو. لم يكن هو من يحتاجني؛ بل كنتُ أنا من أحتاجه. كنت أخشى من الإقدام على إنهاء حياتي بشكل فعليّ لو سافرت إلى طوكيو، حتى حينما

أقدمتُ على الانتحار في منزلي، كان عندي يقين داخلي مر أن أحدهم سيقبضني. كنتُ خائفة؛ ولذا بقيت في مسقط رأسي. كنتُ معتمدةً على حدي وعمتي، بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

كنتُ أشعر بالوهن معظم الوقت، وفي الأوقات التي شعرت بها بصفاء ذهني كنتُ أشعر كأن شُعلةً نيران تحرق دماغي من أحل الوفود. كنتُ غاضبةً من كل شيء في الوجود، حتى ذاتي. وحينما كان غضبي ينروي قليلاً كنتُ أشعر بجسدي وعقلي قد نحولاً لهشيم محتضر. كنتُ أمرُّ بهذه المرحلة مراراً وتكراراً. يقولون بأن سنَّ التاسعة عشرة والعشرين والواحد والعشرين هي سنوات العمر الوردية، ولكن كل ما أذكره من هذه السنوات أنني كنتُ أمسى الموت يوماً تلو الآخر.

أتذكّر بشكل ضبابي يومَ زيارتك لمنزلي. كانت حينما بدأتُ أتناول العلاج لحالتي. أذكر أنني كنتُ سعيدة برؤيتك (لو كنتُ كلَّنا لئلتُ نفسي تأثراً برؤيتك)، أطلعتُكِ على دفتر الرسم خاصتي، وتأنطتُ ذراعك، وقلتُ لك أشياء فظيعة. كنتُ في حالة دوار بعد أن أحدث دوائي ولم أشعر بشيء حينما دفعتني بعيداً. حتى عندما هرعتُ فجأةً للخروج من البوابة الأمامية لم يخطر ببالي أن ألحق بك. كنتُ أعتقد بأنك سنعودين بعد أن تقولي: "مفاجأة". نمتُ لفترة طويلة فوق المصطبة الأمامية، واستيقظتُ وكانت الشمس قد غربت بالفعل، وحينها فقط أيقنت -بشديد الأسى- ما فعلته بك. لقد خسرتُك للأبد. لا أطلب منك أن تسامحيني. يمكنك أن تلوميني على خطائي ظناً منك أنني أكتبه لأريح ضميري. لن أنكر الأمر كلياً. أتمنى أن أعم ببعض السلام الداخلي الآن. سأكتب لك بين الحين والآخر.

شيوكو

كان اليوم لا يزال نهارًا، ولم أتمكّن من النوم. قضيت الليلة على مقعد المكتب أحملق في الفضاء خارج نافذتي وهو يتحوّل مر اللوّن الأسود للكحلي، ثم إلى الأصفر الساطع. كنت أراقب طلبة المدارس المتوسطة والثانوية وهم يحملون حقائبهم على ظهورهم حينما نادتنى أمي. كان صوتها منخفضًا وغلِيظًا.

"هل زارك جدك بالأمس؟"

"نعم".

"أيتها الشابة، هل فقدت عقلك؟".

"رجل تخطّى الثمانين يسافر كل هذه المسافة لسيؤول تحت المطر والبرد. هل طرأ على ذهنك أن تسأليه المبيت، أو أن تُعْدي له وجبة على أقر تقدير، بدلًا من أن تتركه يرحل بمعدة خاوية؟"

أنهت أمي جملتها ثم تنفّست. وعلى الجانب الآخر من الهاف المحمول سمعت صوت جدي يخبرها بالتالي: "أخبرتك أنني مَن أراد السفر! أردتُ رؤيتها فحسب. فبأي حقٍّ توبّخينها؟".

"هل كن الأمر صعبًا لهذه الدرجة؟ فيم كنت مشغولة لهذه الدرجة، لدرجة تدفعك لترك جدك يسافر في البرد؟ وحني بالنسبة لك، فهذا تصرفٌ غير ناضج على الإطلاق".

لم أنبس بكلمة، وكل ما فعلته هو الاستماع لها فقط.

ما لاحظته من صوتها غير المستقر أن ثورتها تلك لم يكر القصد منها استهداف تقصيري الساذج فحسب. صحيح أنها صبت جام غضبها عليّ، ولكنها كانت نائرةً ضد جدّي بنفس القدر.

أظن أن جدي كان يشعر بالخزي من فكرة المرض.

لأنه، وكما حدث، فهو لم يفلح مطلقاً في تقبُّل فكرة التقدم في العمر ربما طنَّ أن فكرة الرجل العجوز المريض ليست بالأمر الحداث كيف سحرّاً المرض البائس في زعزعتة وتدميره؟ ولكن في واقع الأمر ذلك ما كان يحدث بالفعل، كل ما هنالك أنه لم يكن متقبِّلاً للفكرة. لم يكن مرضه من النوع الذي يمكن صراعه بإصرار وعناد.

كان ذلك في الفترة التي كنت أشتكي فيها من عدم قدرتي على كتابة سياريو جيد أثناء حضوري جلسات الشراب التي يعقدها بعض من المعروفين بأفلامهم الجيدة. وفي الفترة التي كنت أمضي أوقاتي في "الكتابة" على مكتبي، أو أتصفّح أخبار الفضائح الخاصة بالمشاهير، كان جدي قد بدأ في ارتياد العيادات الخارجية منذ عامين بالفعل. وهذا ما علمته فيما بعد. وحتى في اليوم الذي حضر فيه لشقّتي، كان لا يزال يتلقّى العلاج.

كنت في أحيان كثيرة لا أجيب على مكالماته، وفي أحيان أخرى أحييه وأنا غير منتبهة لما يقول. والسبب أنه كان موجوداً على الدوم. وحتى لو طراً أمرٌ ما، فإنه بطبيعة الحال، ودون أدنى شك؛ سيكون موجوداً. وكر ما شعني حينها هو أن أحسّن من وضعي، وأن أثبت في مكان محدّد حتى أشعر بالفخر حيال نفسي. جدّي لم يسبق له بأي حال من الأحوال أن أثار الضجة أو الشكوى حيال وضعه الصحي، ولو كان هناك أمرٌ ما يتباهى به فكان أنه نادراً ما يُصاب بالركام، بالرغم من أنه طاعن في السنّ.

أخبرتني أمي بكل شيء في مكالمة هاتفية في اليوم الذي خرج فيه جدي من المشفى. وقد طلبت مني أن أرجئ عملي قليلاً وأحضر للبيت، على الأقل مرة واحدة خلال أيام الأسبوع؛ لرعايته. كانت تخبرني أن عليها مسؤولية تأمين تكاليف المعيشة، وأنها ستعوّضني بمبلغ مُرضٍ، وكأنها لم تكن واثقة من أنني سأقبل حتى ولو لم تذكر

أمر التعويض المادي. ولكنَّ الفجوة بيننا كانت كبيرة بالفعل بحيث لا يمكنني أن ألومها على ظنّها.

كان حدي يتابع مباراة البيسبول في التلفاز وهو شارد، بينما جلس على الأريكة. رأي عندما حضرت، لكنه لم يحرك ساكنًا إلا من انتسامه ناهته. صار جلدًا فوق عظم، ووضع على رأسه قُبْعُته البربت التي ارتداها يوم زارني في شقتي. أجزاء من الأريكة القرمزية التي جلس عليها بدأت تتشقق حيث أسند رأسه، بحيث انكشفت معها بطانة الأريكة السوداء من تحتها.

جلست بجانبه أتابع مباراة لا أعلم حتى قواعدها. لاعب ذا وركٍ ممتلئة يتأهب لضرب الكرة، مُتَبِّيًا قدميه مع تحريك ردفه. "هذا مُملٌ. أريد متابعة شيء آخر".

"أوشكت المباراة على الانتهاء. دعينا ننتظر حتى نعرف كيف ستنتهي المباراة".

أخذت مُحَوِّلَ القنوات من يديه وبدأت أَقْلِبُ القنوات.

"كُفّي عن ذلك. أعيدي لي المحوِّل. سأكمل ما كنت أتابعه".

"وهل أُمسِكُ المحوِّل من قبل؟ كنتُ تُشاهد ما يحو لك حتى هذه اللحظة"

حاول جدي خطف المحوِّل مني، ولكنَّ يديّه لم تملك القوة الكافية. ملامح وجهه كانت توحى بالمجهود الذي بذله في سبيل الحصول على المحوِّل، وعلى الرغم من ذلك باءت محاولاته بالفشل حوِّلْتُ القناة على قناة الموضة، وتابعت برنامجًا يوضّح كيفية وضع مستحضرات التجميل. كانت الحلقة بعنوان "مكياج العيون لإغراء حبيبي". مشى جدي ببطء ناحية التلفاز ثم فصل الكهرباء عن الجهاز.

"إذا كنّا لن نشاهد مباراة البيسبول فلنطفئ هذا الجهاز اللعين".

"إلى متى ستظل على عنادك هذا؟ كيف لك أن تكون بهذه الأنانية ولا تراعي الآخرين؟ كل ما يهمك أن تسير الأمور وفق هواك فقط، أليس كذلك؟".

عاد جدي لجلسته على الأريكة بينما أحنى رأسه.

"لمادا لم تخبرني من قبل؟".

"اللجنة. هذا هراء".

"هل أنت سعيد الآن؟ سعيد لما آل إليه حالك؟".

رفع جدي رأسه ونظر في وجهي.

"ظننتُ حقاً أنني سأكون بخير".

أردت أن أجيبه ولو بكلمة، ولكنني لم أقوَ حتى على تحريك فكيّ. ظننت أنني لو حرّكتُ فكيّ لأتحدث لنزلت دموعي على الفور. حينها فقط، أدركت كم كان وجهه نحيلًا. أصبح جسده أكثر نحولًا، كنت قد لاحظت اصفرار جلده، وظننت في بداية الأمر أن هذه مرحلة طبيعيه مع تقدّم العمر، وكل ما في الأمر أن تلك العملية تسير بوتيرة أسرع. كيف كنتُ على وعي تام بحالي بينما لم أعلم عن جدي أي شيء على الإطلاق؟

خلع قبعته ووضعها على ركبتيه. كان ما تبقى من شعره الأبيض الخفيف خامدًا بسبب القبعة. كان يدافع عن نفسه بشدة كرجل يفترق عن حبيبته.

"أقسم لك، لو كنت أعلم أن الأمر سيصبح بهذا السوء لأخبرتكَ عاجلاً، ولأتيْتُ لزيارتك بشكل متكرّر".

ابتسم جدي ابتسامة مريرة.

"تُرى لو أخبرتكَ سابقًا فهل كنتِ ستزوريني أكثر؟".

احتضنت رأسه بقوة بدلاً من أن أجيبه، ففاحت من رأسه رائحة فروه الشعر الدهنية.

وهكذا مرّت على جدي خمس وستون ليلة ثم تُوفي.

لم أكن بِنِظَةً في حياتي كما كنت طوال تلك الليالي الخمس والستين.

وكانت حصصاً لقانون غير مرئي حكم علينا أن نبيت ثلاثتنا سوياً في العرفة الداخلية. نام جدي تجاه الخزانة، بينما نامت أُمي تجاه النافذة، ومُتّ بينهما. كنا نطفئ النور ونتبادل الحكايات بينما نحملق تجاه سطح الغرفة. أشياء لم نقدر أن نبوح بها من قبل أشياء كنا نظن أنه لا داعي لذكرها، ولكننا تحلّينا بالشجاعة، وشاركناها مع بعضنا البعض. كأننا كنا نتعرّف على بعضنا البعض للمرة الأولى، أو أننا نتعلم الحديث لأول مرة.

في بداية الأمر دارت حواراتنا بيني وبين جدي أو بيني وبين أُمي.

"أين نقلت خطابات شيوكو؟ تلك التي كانت في درج طاولة القهوة؟"

"تقصدين تلك الخطابات؟ لقد تخلّصت منها".

"لماذا؟"

"كنت مستاءً".

"لماذا تحبها كلّ هذا الحب يا جدي؟".

"إنها جميلة، أليس كذلك؟ كما أنها مبتسمة على الدوام".

تدخلت أُمي في الحوار قائلة:

"أبي لم يسبق له أن أخبرني أنني جميلة قطّ. أشعر بالخيرة".

وبعد مرور عدة أيام، بدأ جدي وأُمي أخيراً يتحدثان لبعضهما البعض، وكنت بينهما.

"أي. عشت أربعين عامًا بمفردك، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

"لماذا يا أي؟".

".. وماذا عنك؟ لماذا لم تلتقي برجل آخر بعد رحيل صهري السيد لي".

"يا إلهي! أنت لم تفتن للأمر بعد. بلى، لقد فعلت؛ واعدت الكثير من الرجال".

"إدًا فلنتوقفي الآن عن مجرد المواءمة، وانتقلي للعيش معه".

حقيقة احتضار جدي المؤكدة كانت مثل الترياق السام العلاجي لثلاثتنا. رغم ذلك فالسُّم يبقى سُمًا. زادت عدد جرعات مُسكِّن المورفين الذي يأخذه جدي، ثم بدأ يتقيأ كل ما يأكله، وفي أحيان أخرى لم يستطع تناول الطعام مُطلقًا. ولا حتى السائل المملح منه. أردت نادل أطراف الحديث معه، أردت أن أطفئ التلفاز لساعه أو اثنتين ونظر لبعضنا البعض. كان جدي طيلة حياته شخصًا غير ودود، لا يحبذ قول أشياء لطيفة للغير، ولكن من كان يدري أن السب وراء ذلك يُعزّي لخلجه؟ تذكّرت كيف تخلّص من هذا الحجل فقط مع اقتراب أجله، حتى إنه أخبرني بالكثير من الأشياء. كان فد ولد في عصر يشين الإفصاح عن المشاعر على اعتبار أن الأمر غير رجولي، وبالرغم من تلك التَحكُّمات إلّا أنه كان يُظهر بعض براهين المحنة بين الحين والآخر.

شهدت مع أمي اللحظات الأخيرة لجدي؛ ولهذا السبب وحده سامحتها، ونحسنت علاقتنا بشكل كبير، لدرجة تمكّنتنا من مشاركة حوار مع بعضنا البعض.

لم أكر فد سامحتها لفترة طويلة من الزمن. عادت أمي لمراولة عملها بعد ولادتي مباشرة، ويبدو أن كل ما أهمها حينها هو أن تُخفي

مر أمامي أمر وفاة والدي، وكأن الأمر كان مجرد إشاعه مُخزبة. شعرت أنها قد سلبتني حقّي في الحزن عليه على مرّ السنين. وفي الأيام الممطرة، كنت أمرُّ بالآباء الذين حضروا لاصطحاب أطفالهم من المدرسة وبحورثهم مظلاتهم، بينما ابتللت وحدي في المطر أثء عودتي للمنزل، كنت أُعلّق مفتاح الباب الرئيسي لمنزلنا حول رقبتني، وأسير في حيننا حتى أصل للمنزل الذي لطالما كرهته. أمي التي كانت تدخل غرفتها لتنام وتوصد الباب. أمي التي لم تكثر مطلقاً، لم توبّخني ولو لمرة واحدة حال كل الأمهات.

أعتقد أنها، قبل ثلاث ساعات من وفاة جدي، قامت بحجز دار لاستقبال المعزّين، كما جهّزت في حقيبتها مُتطلّبات العزاء؛ من أطباق وملعق وغيرها من الأدوات التي سنحتاجها في القاعة. أمسكت يدها حينما بدأ جدي يتنفس بصعوبة. كانت باردة وقاسية، دون أدنى ترطيب يُذكر.

طلّنت أمي سيارة الإسعاف حين توقّف جدي عن التّنفّس، ارتعش صوبها بعض الشيء، ولكن كان هذا كل شيء فحسب انحبست على جسد جدي النحيل وبكيتته بحرقة، بينما وقّفت أمي على بُعد، واكتفب بمرافقتي. لم تبك، ولم تبتلّ عيناها بالدموع.

وحتى في قاعة العزاء كانت تتناول وجبات صغيرة من الفول السوداني والحَبَّار المجفّف، وأشياء أخرى، في الفترات التي يتدوَّب فيها المعزّون على الدار، وكانت تُجري مع المعزّين أحاديث طبيعية عن الحياة اليومية وهي تضحك. سمعت تهاُمس بعضهم في دورة المياه. "هل رأيت أم سويو؟ إنها صُلبة كالسمار". "أشفق على الرجل العجوز؛ فابنته الوحيدة بلا قلب، عار عليها". "لو كان له ولد محترم، لَمَا كان الأمر باتسًا لهذه الدرجة..."

نَسْرَبُ العَصَبَ لِنَفْسِي تَجَاهَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَعْلَمُوا عَنْهَا شَيْئًا، وَرَغْمَ ذَلِكَ أَصْدَرُوا أَحْكَامَهُمْ ضِدَّهَا مِمَّا ظَهَرَ لَهُمْ عَلَى السَّطْحِ. كَانَ شَعُورًا غَرِيبًا عَلَيَّ، أَرَأَاهَا مِنْ خِلَالِ وَجْهَةِ نَظَرِهِمْ. كَانَتْ أُمِّي مِنَ النَّوْعِ الَّذِي يَكْبِتُ حَزَنَهُ، يَدْفِنُهُ بَعْمَقٍ حَتَّى نَسِيَتْ كَيْفَ نَحْزَنُ. شَحَصَ فُقْدَ وَالِدِهِ الَّذِي عَاشَ مَعَهُ طِيلَةَ حَيَاتِهِ، وَرَغْمَ ذَلِكَ لَمْ تَتِمَكَّنْ مِنَ السَّمَاكِ لِذِمَّةٍ وَاحِدَةٍ أَنْ تَنْزِلَ مِنْ مُقَلَّتَيْهَا دُونَ أَنْ تَخَافَ، لَمْ تَعْرِفْ كَيْفَ تَنْتَحِبُ وَتَجْفُفَ دَمْعُهَا وَمَحُو عَنْهَا آثَارَ الْأَلَمِ، كَانَتْ تَعَانِي فَقَطْ مِنْ خِلَالِ أَعْرَاضٍ غَيْرِ مَرْتِيَّةٍ، كَالْأَمِ الرَّأْسِ وَالْيَدَيْنِ وَقَدَمَيْهَا الْبَارِدَتَيْنِ. كُنْتُ مَمْسُكَةً بِكَفِّهَا الْمُتَجَمِّدَتَيْنِ مِثْلَمَا فَعَلْتُ مِنْذُ قَلِيلٍ فِي الْحَافِلَةِ الَّتِي أَقْلَنْتُنَا لِمَقَرِّ حِفْظِ رَفَاتِ الْمَوْتِ، وَرَغْمَ ذَلِكَ فَقَدْ عَجَزْتَ عَنِ تَدْفِئْتِهَا. كَانَتْ تَنْظُرُ لَوَجْهِهِ الْمُتَنَفِّخِ بِرُودٍ. كَانَ بَيَاضُ عَيْنَيْهَا أَبْيَضَ، وَبِهِ مَسْحَةٌ مِنَ الزُّرْقَةِ.

"أريد البكاء".

قالت أمي جُمَلَتها وهى تبتسم بصعوبة، وعلى كتفها انسبت بعض خصلات من شعرها الذي لم تحكم ربطه، فتطايرت هنا وهناك. استرحب بعض دبائيس الشَّعر من جيبي وثَبَّتْ نهايات الخصلات فى أماكنها

"حتى أبتِ تظنين أنني أتصرف بغرابة، أليس كذلك؟".

هزرت راسی، ثم أومأت قائلة:

"نعم. أنت غريبة بالفعل".

لم أكن لأجرؤ على قول ذلك من قبل، حينما كنت لا أزال متحفظةً
وأشعر بتلك الفجوة تجاهها. ضحكت أُمِّي قليلاً، ثم غَفَّت على
كتفِي.

نفقدنا ملابس جدّي، وتبرّعنا بأربع علب للمتجر العربي منّا. جوارب منقوبة، وملابس داخلية رثة، ومشط شعر بلاستيكي تعلوه طبقة من الدهون، وحذاء رياضي منحول من أسفله، وزوج من النعال الجلدية مغطى بطبقة قشرية بيضاء، وزجاجة عطر أوشكت على الفساد؛ كل تلك المحتويات جمعناها في كيس قمامة بلاستيكي سعة عشرين لترًا، ولم تتردد أُمّي في التخلص من كُتَيْب القصاصات التي جمعها جدي لأخبار كرة البيسبول من فترة الثمانينيات والتسعينيات. أخذت نظارته المكبرة التي كان يستخدمها لتصفّح الحرائد، وطقم أسنانه؛ بغيّة وضعها في الدرج الخاص بمكان حفظ الموتي الذي ستستقرّ فيه رفاتة. وضعت أُمّي قُبْعته البيريت المفضّلة، وقُبْعته التي كان يستخدمها في الموسم الصيفي من نوع الفيدورا، والقبعة الأخرى من نفس النوع ذات اللون الأزرق الداكن في غرفتي.

طلبت مني أن أختار ثلاث صور لنضعها في خزانة حفظ الرفات بجانب رفاتة، فاخترت صورتي وأنا رضية وجدي يحملني في غرفة أضاءتها أشعة الشمس، ثم اخترت أخرى وهو يقف على مسافة شبر من أُمّي يوم تخرّجها من المرحلة المتوسطة، وقد أنقيا ذراعيهما بشكر مسنّمين أمامهما أمام عدسة الكاميرا التي التقطت صورتهما، لم يكن أيّ منهما يحمل باقة الورود المتعارف عليها في حفلات التخرّج.

ولكن كانت هناك صورة واحدة فقط جمعت ثلاثتنا؛ أنا وأُمّي وجدي.

كنا نجلس في ارتباك وأمامنا نصف ثمرة بطيخ. توسّطنا جدي في الجلوس، وقد أظهر ابتسامة خفيفة بينما أطبق على شفّتيه، أمّا أنا فأمسكت شريحة بطيخ بإحدى يديّ، وبالأخرى أشرت بعلامة النصر، وعلى وجهي ابتسامة مُرتبكة. بينما أمسكت أُمّي بسكّين المطبخ ونظرت للكاميرا دون أيّ تعبير على الإطلاق. كانت شيوكو هي من التقط تلك الصورة.

لم يكن أيُّ منهما يحب التقاط الصور. تقول أمي إن وجهها في الصور بظهر متيئسًا، أمَّا عن جدي فكان يقول: "ما حاحه عجزور مبي لالنقاط الصور". أعتقد أن فكرة أمي عن صورتها الذاتية الحقيقية كانت صورة ذاتها المبتسمة، أمَّا جدي فكانت ذاه الشابة هي صورته الذاتية عن نفسه. كانت شيوكو تتبعهما في كل مكان على أيِّ حال لالتقاط صورهما، ولم يكن لهما خيار آخر سوى أن يدعاهما تصوّرهما.

أرقت شيوكو الصور مع خطاباتها حينما كانت ترسل جدي. وفي إحداها كنتُ أقف على مسافةٍ منها بجانب النهر، مرتدية نظارة ذات عدسة غليظة، وكان ذلك قبل أن أستبدلها بالعدسات اللاصقة، وبجانبني وقفت شيوكو بثباتٍ، وقد بدت أصغر سنًا. في تلك الفترة بدت شيوكو أكبر سنًا مني بكثير، ولكن شيوكو المبتسمة في الصورة بدت كطفلة.

كانت صور شيوكو مجموعةً برباط مطاطي أصفر ومُحرّنة في قاع عسة أحذية. كانت هناك صورة لأمي في غرفة المعيشة وهي ترتب عبدا البصل الأخضر التي فرشتها فوق صفحات الجرائد، وفي الشرفة كنت واقفة مع جدي أعلق الملابس المغسولة، وكانت هناك صورة أخرى لجدي وأمي وهما جالسان على الأريكة ويبتسمان في ارتباك كما كانت هناك صورة أخرى لجدي مرتديًا قبّعتة اليريت وهو جالس على مقعد بجانب النهر وفي يده مضرب لعبة تنس الريشه، بدًا وكأنه يهمُّ لضرب ذبابة.

سألت أمي ما إذا كانت شيوكو على علم بخبر مرض جدي، قالت إنها لا تعلم ما كان يكتبه كلاهما لبعضه البعض، ولم يكن هناك أي أثر لحطاباتها بين متعلقاته، يبدو أنه قد تخلّص منها جميعًا. عدا

كُتِبَ الصور خاصَّته، ومجموعة الصور السابقة، وفي المقبل لم ترسل شوكو على حد علمي أيَّ خطابات في الفترة السابقة لوفاته.

"لقد بقي والدي في المنزل وحده ثلاثين عامًا".

كانت أمي تقول كلماتها وهي تتحسَّس الجزء المتقتر من سطح الأريكة بفعل الاحتكاك مع رأس جدي.

"هل تصدقن ذلك؟ هذا يساوي عمرك".

أشارت أمي للنبته الصناعية في إحدى أركان الشرفة.

"لم يكن مختلفًا في شيء عن هذه النبتة. هذه.. تسبَّبت في اختناقي أكثر ممَّا تتخيَّلين".

في عمر العاشرة، بدأ العمل كمساعد للمبيعات في إحدى المتاجر. كان يدبر متجر عمِّه مستخدمًا إطار العدِّ الصيني حينما كان لا يزال صغيرًا وهو بعمر إلقاء نوبات الغضب الطفولية على الأهل كحال الأطفال في مثل عمره، وحيث إن عمه لم يُرزق بالذُرِّيَّة؛ فقد قرَّر جدُّه أن يعلم حفيده سرَّ المهنة، وبخلاف أيام الحرب، فلم يتغيَّب حدي عن دوامه مطلقًا حتى أتمَّ عامه الخمسين، حينما انهيار المنجر. وقد أُجبر وهو في الخمسين على بيع المتجر، وبناءً على ما اعترف به لأمي، فإن قرار البيع يرجع لأخطائه الصغيرة.

قالت أمي إنه ربما كان قد تعرَّض لواقعة احتيال من قِبَل صديق مُقرَّب كانت تكرر عليه السؤال ذاته على مدار عشرات السنين، ولكنه لم يجيبها مُطلقًا، وكان يتحاشى مقابلة الناس.

"لا أذكر أي من فترة طفولتي. كان يأتِي البيت للنوم فقط. ولم يقض وقتًا فيه سوى في الأيام الأخيرة قبل إفلاسه. لم يكن موجودًا على الإطلاق حينما كنت بحاجة إليه. ثم أصبح يمكث في البيت ولا يغادره حين أصبحت مستعدَّة للاستقلال بحياتي".

قال لي أمي إن أهل أبي كانوا يتراشقونها بكلمات اللوم وهم يرددون "لمادا على ابنهم الغالي أن يساعد حماه". حتى إنهم بالعوا في الأمر وقالوا: "لمادا لا يخرج للعمل مَنْ لا يزال يتمتع بالصحة بدلاً من المكوب في المنزل؟"، ولكن أبي كان يجيهم بأن جدي قد فاته من التعليم والاستمتاع بحياته ما يدركه غيره من الناس؛ ولذا فهو يقلُّ مساعدته طواعيةً. كان أبي عادة ما يكره المدخنين، ولكن حينما كان حدي يدحر والنافذة مُغلقة أو يجلس طوال اليوم ولا يفعل أي شيء، كان يقول إن للرجل عذره.

كان جدي دائماً ما يحكي لي أشياء طيبة حول أبي المنوَّى، كان يخبرني كم كان يفتخر بوسامة صهره في كل مكان يصطحبه فيه، وأنه كان عذب للكلام؛ ممّا جعله طيب المعشر، يدفع الجالسين على مائدة العشاء للضحك على حكاياته. حكى لي كم كان طيباً، لا يسهو مُطلقاً عن يوم ميلاد جدي أو أمي، وأنه كان يتذكرهما بهدية صغيرة.

فقدت أمي زوجها الحنون بعد أربعة أعوام من زواجها، وعاشت حتى الآن مع عجوز عنيد وطفلة محترقة في البكاء. كنت أقلب طقم أسنان جدي بين يدي وأنا أقول:

"هل تذكّر اليوم الذي زارني فيه جدي في شقتي بسيوول؟".

"نعم".

"هل تعرفين ماذا قال لي يومها؟".

"ماذا قال؟".

"قال لي بأنني عظيمة، وأنني أعمل ما أحب؛ لذلك يعتبرني عظيمة. وبأ اللغابة، فقد حسمتُ أمري بشأن صناعة الأفلام بعد هذا اليوم مباشرة!".

"حسمتِ أمركِ؟".

"نعم، قرّرت ترك هذه المهنة يا أمي".

لم نسفسر مني عن السبب. أخذنا نرتّب متعلقات جدي دون تبدّل أي حديث بيننا. سألتني أمي ما إذا كنت سأكمل حياتي في سيؤول أم أنني سأنتقل للعيش في مسقط رأسي من جديد، أجبته بأنني سواءً بقيت في سيؤول أو انتقلت لمسقط رأسي ففي كلنا الحاليتين لن أعيش معها. أخبرتها أن تستقلّ بحياتها وتعيش كما يحلو لها، وأن تسندعي حبيبها أو أحد أصدقائها للعيش معها لو ودّدت، دون الحاجة للقلق بشأن ضرورة الإنفاق على أحدٍ ما.

"أمي، أليس هذا ما أردت؟ كنت تتوقين للعيش بمفردك".

"... شكرًا لك".

ناولتي بعض النقود المغلفة في صفحة من الجريدة.

"هذا كل ميراث جدّك".

"لماذا تناولينني إيّاه؟".

"لا داعي لذلك، خُذيه فحسب. أوصاني جدك أن أسلمك إيّاه بشكل ضروري".

وضعت أمي النقود في حقيبتني ثم طلبت مني أن أضعها في حسيبي الشخصي بالبنك في طريق عودتي. وبالرغم من أنها كانت نستطيع تحويل النقود مباشرة لحسابي، إلّا أنها أرادت أن تُطلعني على العملات الورقية التي ادّخرها جدي، كل على حدة، يبدو أنه ادّخرها على مدار عدّة سنوات، هذا ما اتضح من شكل الأوراق السُفلية بشكل خاص.

وأثناء مغاردي لمنزل أمي، وضعت يدي أتفقّد صندوق البريد كعادة قديمة لديّ، وحينها علق خطاب بإصبعي، كان خطابًا أصفر كُتب اسم المرسل عليه باللغة اليابانية، بينما كُتِبَ محرر المتلقّي

بالغة الإنحليزية، وفي محل المتلقي كُتِبَ اسم "مستر كيم". وضعت الخطاب خلسةً في حقيبتني وفتحته في الحافلة المسافرة بين المحطات. أحرف شبوكو الصغيرة المدببة قفزت من ورقة الخطاب، لكي لم أفهم منها كلمة. كان خطاباً مُكوّناً من ورقة واحدة، وقد كُتِبَ بشكل طولي. أخذت صورة منه وأرسلته لأحد كُتّاب السيناريو (سألته بـ "راء") ممّن يجيدون اليابانية بطلاقة.

"هذا خطاب مُرسل لجدي. أريد أن أعرف معناه."

أرسل "راء" رسالة قال فيها ما يلي:

عزيزي مستر كيم

زرت جدّي بالأمس في دار المسنين، وقد أزهرت أشجار المغانوليا حتى عند المنطقة الغربية التي تُظلل الدار، واليوم تلقيت رسالة من مريضة كانت قد خضعت لعملية جراحية في عنقها بسبب ألماها المبرحة، واليوم فقط استطاعت أخيراً أن تغيّر ملابسها بمفردها دون الحاجة لمساعدة. قالت لي اليوم فتاة تبلغ السادسة عشرة تعاني من مرض القرص التنكسي بعد انتهاء جلسة العلاج الكهربائي "لا بُدّ أن العافية وعدم الإحساس بالألم لهو شعور رائع". لم أقترّف أيّ ذنب بحق تلك الفتاة، ولكنني شعرت بالأسف حيالها فاعتذرت لها.

مستر كيم، أخبرتني بالآأ أرسلك مجدداً، أليس كذلك؟ لأنه سيكون من الأسهل ألا تنتظر خطاباتي. طالما فكرت فيما قد أودّ أن أخبرك به منذ أن توقفتُ عن مراسلتك، وحينها شعرت بالأسف. كلما ضحكت، أو تحدثت، أو عملت أو تناولت طعاماً لذيذاً، شعرت بالأسف أشرك على كل شيء. مع تمنياتي لك بدوام الصحة والعافية.

شبوكو

كنت خطابًا مقتضبًا لنفس العنوان المكتوب على الخطاب.

عزيزني سيوكو

تُوفي جدي. كان ذلك في الخامس من إبريل، في حوالي الساعة السابعة مساءً. كان يصارع المرض على مدار العامين الماضيين، ولكن حاله ازدادت سوءًا خلال آخر شهرين. كنت آخر صديق يتواصل معه. كان حدي يحبك كثيرًا، وعتنى لو زُرته ولو مرة أخيرة. يبدو أنه قد صدّق وعودك الفارغة بزيارتك لكوريا لرؤيته مرة أخرى. الخطابات اليدوية مثل هذا الخطاب أصبحت أمرًا مثيرًا للضجر. إذا أردت التواصل معي بخصوص أي شأن فعليك التواصل عبر البريد الإلكتروني أو سكايب.

سو يو

نأكدت من كتابة عنوان بريدي الإلكتروني واسمي على تطبيق السكايب على ورقة، وأرسلت القصاصة عبر البريد السريع وهناك في غرفتي بسيوول، حيث لا يلتفت لي أحد، بكيث وحدي لمدة يومين. ندّرتُ كيف جلس جدي قبل عدة أشهر في ذلك الركن تحت شّماعات الملابس يدخن. أصبح الأمر جليًا بمرور الوقت، أنني لن أتمكن من رؤيته من جديد. وكلّما تجلّت هذه الحقيقة أمامي غلّني شعور يخبرني بأن الأمر ليس حقيقيًا.

أنا في الثلاثين من عمري، ومؤهلاتي الوظيفية تقتصر على شهادة نخرج من كلية الآداب، وفيلمين قصيرين من إخراجي. لم أجد صعوبة في اللغة الإنجليزية من حيث مهارات التحدّث والكتابة، ولكنني لم أملك شهادة أو وثيقة مُعدّلات تُثبت قدرتي اللغوية، ولا حتى أي خبرات في التدريب الداخلي. كنت أعرف أن التقديم لأي مكان يحتاج على الأقل لمعدلات مرتفعة في اللغة الإنجليزية؛ ولذلك فتحت كتب

"النوفل" الذي كنت أستخدمه أثناء المرحلة الجامعية. بدأت أراجع الفؤ عد وأحفظ مئات المفردات بشكل يومي؛ ومن ثَمَّ صف ذهبي، ووحّد أمر التركيز يزداد سهولة، تمامًا مثلما مارس الحباكة؛ التركيز على الحفظ البسيط أبعد الأفكار غير المرغوب بها تدريجيًا.

في السابق، حينما كنت أكتب السيناريو، كنت أضحك يومًا تم أنكي في اليوم التالي. في الأيام التي كنت أوفّق فيها في كتابه سيناريو جيد كنت أشعر أنني سأستمرّ على هذا المنوال، حتى أنخلى عن هذا التفكير بعدما يملكني الخوف من الفشل في كتابة مثل تلك الموضوعات من جديد. كانوا يقولون إنه عليّ الكتابة يوميًا بشكل منظم. كنت أكتب يوميًا لمدة لا تقل عن الخمس سنوات، ورغم ذلك لم تتحسن كتابتي، كأن عضلاقي قد أصابها الشلل من كثرة القلق، الفؤ مر أن أخلق مشاهد بلا هدف، حتى ولو كتبت لبقية عمري. لم يستغرق الأمر كثيرًا حتى أكتشفت أنني لست مبدعة، ولست اسنافئةً، وعلى العكس من ذلك، كنت أشعر براحة أكبر في العلم عن ظهر قلب. وربما شعرت براحة في نظام التعليم الذي لطالما كرهته. لم أنس أن أتفقد مواقع التوظيف بشكل يومي أثناء حفطي للمفردات الإنجليزية.

عندما أفنح عيني في الفجر فإن أول ما يطرأ في ذهني هو أن الناس ليسوا شيئًا وحتى الأرضية الصلبة التي وقفنا عليها، في نهاية الأمر لم تكن سوى ألواح مكسورة طافية فوق رداء متحرّك، وبالرغم من أن قدميّ كانتا واقفتين على تلك الأرض الهشة، ورغم أنه لم يكن بوسعي سوى ذلك القدر فقط، إلا أنني أوهمت نفسي أن بإمكانني التخطيط لمستقبلي.

تلقيتُ مكاملة من شيوكو في الساعة الواحدة فجرًا.

كنت قد غفوت فوق غطائي أثناء مذاكرتي للمفردات الإنجليزیه.
ظهر اسم المتصل "تیریساً" فنهضت من مكاني وأجبت الإتصال.
"مرحباً؟".

سمعت على الجانب الآخر من المحادثة صوت الراديو، والمتصل
طلَّ صامتاً لفترة من الوقت.

"تكلمي يا شيوكو".

بدأت شيوكو تتحدث بصوت منخفض وبطيء.

"أسفة لوفاة مستر كيم".

كان صوتها مكتوماً كأنها تعاني من الزكام.

"أسفة أنني لم أستطع الوفاء بوعدی، لكنی لم أستطع الذهاب".

"ماذا؟".

"لم يرغب مستر كيم أن أراه وهو مريض".

لم أفهم قصدها في بداية الأمر، لم أعتقد أن شيوكو كانت على علم
بمرض حدي.

"كنت على علم بمرضه؟".

"نعم، لم تعلمي بالأمر، أليس كذلك يا سو يو؟".

نعم، لم أكن على علم بالأمر، الجميع كانوا يعرفون عداي. مَنْ هي
لتعرف دُمر كهذا؟ شعرت بحرق يرتفع في حلقي.

"أسفة أنني أخفيت الأمر عنك، ولكن يبقى وفائي بوعدی لمستر
كيم أولوية بالنسبة لي".

لم تترك لي مجالاً لأتحدث، وتابعت كلامها، قالت بأنها ستحضر
لكوريا لرؤيتي مع جدي حتى لو كان الأمر متأخراً، أخبرته: "لا بأس"،

ولكنني لن أقدر على لقائها وأنا على تلك الحالة؛ الغيرة من أنها قد شاركت سرّ مع جدي ولم يشملي الأمر، الاستياء منها بسبب انقطاعها عن الاتصال بي كل تلك الفترة، النفور منها بسبب ما صدر منها أثناء زيارتي لها في اليابان، شعوري الدفاعي بسبب عدم استقراريّ؛ كل هذه المشاعر تركّزت وتجمّدت لبرودة صلدة.

"لن ألقاك".

قالت شيوكو إن هذه ستكون زيارتها الأخيرة لو كان هذا ما أردته، قالت لي إنها تحمل هدية لي.

"الخطابات التي أرسلها لي مستر كيم تزيد عن مائة خطاب، وستعني لك الكثير ولعائلتك، حتى أكثر مني. أريد أن أقابلك بشكل ضروري لأسلمك تلك الخطابات".

شعرت أن حلقي مختنق، فاكتفيت بإيماء رأسي.

قالت شيوكو بأنها ستبيت في نُزلٍ بمنطقة ميونج دونج. دعوتها لمقهى قريب من الحيّ الذي أسكن به. خرجتُ لمكان لفائنا قبل عشرين دقيقة من الموعد، فوجدتها قد سبقتنني وقد جلست بانتظاري، كانت تشبه تمامًا صورتها على الكتيب الذي أرسلته سابقًا؛ ركب شعرها طويلاً وقد صبغته باللون الأصفر، ولصقت رموشًا اصطناعية، ووضعت الكثير من مساحيق التجميل على وجهها كانت ترتدي معطف الخندق ذا اللون الكاكي وقد صنّع من قماش لامعه على حذاء كلاسيكي.

مشاعري السلبية تجاهها منعنتني حتى من الابتسام أدبًا، تحية لها. توجّه كل تركيزي تجاه أظافرها البرّاقة التي طلّتها باللون الذهبي اللامع. قالت شيوكو إنها تناولت معكرونة كال-كوك-سو الشهيرة في ميونج دونج، ثم توقّفت عند محل العناية بالأظافر وحصلت على

جلسة ندبلك. قالت بأن سيؤول مختلفة تمامًا عن قريتها بالمقاطعة ك.

"كلما فُكِّرْتُ في كوريا، تذكَّرتُ هدوء المقاطعة ك، وساءها الأربعميات اللاتي يركبن الدرجات الهوائية، والنباتات الطويلة التي تُطلُّ على جانبي النهر، وذبابات شهر مايو".

كنت أسمعها بالكاد، مددتُ يدي نجاهها، في إشارة لرغبتني في تسلُّم خطابات جدي. أخذت شيوكو بكفِّي في كفِّها، وغلَّفَتْها بكفِّها الأخرى. نظرت إليَّ وعلى وجهها استقرت ابتسامة لطيفة، وقالت إنها آسفة لخسارتي. ولشَدَّ ما أثار اندهاشي أنني شعرت بالمواساة من حركتها وتعبيرها.

تذكَّرتُ شعور الفوقية الذي بادرنى تجاهها حينما ررتها في اليابان، حينما شعرت بكل شفقة بأن حياتي أفضل من حياتها، حينما ظننت أنها مثيرة للشفقة لبقائها في منزلها مع عدم قدرتها على مغادرته لأي مكان، عندما راودتني القشعريرة حين مالت عليَّ ونأططت ذراعي كشخص فقد عقله، وحينما رأيت جدَّها المريض وشعرت حينها بالراحة لأن جدي بخير.

لم أستطع أن أرى خيال شيوكو.

"إليك هذه". أخرجت شيوكو حقيبتَي تسوُّق بلاستيكتين. "هذه خطابات السيد كيم".

أخذتُ حقيبةً منهما واستخرجت خطابًا. كان الخطُّ مُريعًا. كُتِب الخطاب بشكل رأسي، وقد كان مزيجًا من الكانجي والهيراجانا والكاتاكانا والأرقام. وفي جانب الخطاب كان هناك زوجان من عصفور الدُّوريِّ مبتسمان برأس مستدير ومنقار مدبَّب، وجناحين مفرودين كأنهما بتمددان. بالرغم من أنها كانت مجرد رسمة غير مكتملة، إلَّا أنني أحسست بسعادة الطائرين.

كن هناك على الدوام، بجانب أريكة جدي، كومود، تليفون، وممكّره وُصعت فوق طاولة القهوة. وكان يستخدم المفكرة لتدوين الملاحظات أثناء المكالمات الهاتفية، إلا أنها كانت أقرب لدفتر رسومات. كان يمضي وقته وهو يرسم أشكالاً ووجوهاً وأشجاراً وحيوانات وأشكالاً غامضة، ثم يلقي بكل رسوماته في القمامة، بحجة تنظيف مكانه

لاحظت شيوكو نظري المثبت على الطائرين فعَلَقَت قائلة:

"أراد مستر كيم أن يصبح رسّامًا".

هذه أول مرة أسمع فيها هذا الكلام.

"كان يريد أن يصبح رسّامًا يجول في البلاد ويرسم. ولكن حين كان في العاشرة من عمره..."

"بدأ العمل في متجر عمّه".

"هذا صحيح".

استخرجت خطابًا آخر، كانت هناك رسمة لفيلين، الأم وصغيرها منعانقان من خرطومهما في مرج.

"كان منفهّمًا لحالتي بشكل دقيق، كطبيب يعالج مرضاه، حتى دون الحاجة للقائهم".

"حقًا؟"

ناولت شيوكو الخطاب الذي كنت أحمله. فترجمته لي بالإنجليزية سطرًا سطرًا.

"مشيت اليوم بجانب ضفة النهر ورأيت شائبا نائمًا تحت الظل، على الأرجح كان في الثلاثين من عمره أو ما يقرب من ذلك، ترك ذقنه طويلًا بغير حلاقة لفترة طويلة، وقد كُسي بزغب متفرّق، وكذلك

حال باقى وجهه. توقفت ثم جلست بجانبه الفرفصاء، وأخذت أحملق طويلاً في وجهه".

بإمكانى أن أتخيل جدّي وهو يتمشّى على ضفة النهر لنمضيه الوقت، وكأن المنظر يترأى أمام عيني فأكاد ألمسه، كان يحملق في وجوه الناس في الشارع أو في الحافلات على الدوام، وكنت أصب غضبي عليه ليتوقّف عن تلك العادة.

استخرجت شيوكو مجموعة أخرى من الخطابات من الحقيبة الأخرى وناولتني إيّاها.

"هذه مجموعة الخطابات التي أرسلها لي مستر كيم أثناء فتره صراعه مع المرض".

استخرجت خطاباً وفتحته، وعلى جانب الخطاب رسم كلب وقد أخرج لسانه وهو يثبّ للأمام، بينما تطايرت أذناه الكبيرتان في الهواء. أمسكت شيوكو بالخطاب وترجمته.

'أكلت اليوم عصيدة مصنوعة من الأخطبوط. أحب هذه الأكلة، ولكنها ندت كالقيء، وكانت رائحتها بشعة، بالكاد أكلت منها. قالت لي ابنتي. 'عليك أن تأكل يا أبي لا محالة'؛ كانت كأم صارمة. أكلت من أجل انسي التي كانت تصرخ في وجهي وتسالني إن كنت أريد أن أموت جوعاً، أكلت وأنا أتقيأ".

لماذا لم يخبرني جدي بأيّ من هذا الكلام؟

"ألم يكتب عني من قبل؟".

قلّبت شيوكو قهوتها الأمريكانو المثلجة بماصتها وابتسمت.

"كان يتباهى بأنك نسخة طبق الأصل منه. أنت لا تعملين كم كان يتباهى بك، ذكر لي ذلك حينما استأنفنا المراسلات من جديد،

حتى إنه كتب لي عن زيارته لمهرجان الأفلام الذي عرض فيلمك الذي قُمت بإخراجه".

لم أمكر من دعوته للمهرجان السينمائي، لم أعتقد أنه من الصواب دعوة رجل فارب على الثمانين لسيؤول وأن أكلفه مشقة السفر فقط من أجل مشاهدة فيلمي، علاوة على ذلك أنني كنت قد وزعت بالفعل جمع التذاكر المجانية التي حصلت عليها للعاملين في مجال صناعة الأفلام من أجل الحصول على دعمهم لعملي. لم أسأله حتى لو كان بإمكانه الحضور للعرض الخاص بالفيلم. عرضت له الفيلم على شاشة حاسوبي فقط حينما ألح عليّ عدّة مرّات. كانت مدة الفيلم خمس عشرة دقيقة قصيرة عن فتاةٍ تخسر منزلها فتضطر للسكن في منزل مهجور تحت الإنشاء، قبل أن تتحوّل إلى فأر. الفيلم تلقى نقدًا لاذعًا بالطبع. قالوا بأن الحدود بين الخير والشر كانت واضحة للغاية، والتشبيه كان قويًا؛ ممّا أفقد العمل الثقل الفني المطلوب. ولكن جدي لم ينقده بأي شكل من الأشكال، وبدلًا من ذلك أخذ يسألني فحسب. سألني من أين أتيت بتلك الفكرة، وهدد سق لي أن قابلتُ مَنْ فقدوا منازلهم بالفعل، وهل من الممكن فعلاً أن يتحول أحدهم لفأر، كما سألني عن وجهة النظر التي فادب الكاميرا نحو الفتاة في الفيلم. أظن أنني كنت أبذل جهدي لأنحاشي مثل هذه الحوارات المؤرقة والمؤلمة.

كان جدی هو جمهوری الوحيد.

مضعت شیوکو ماضتها قبل أن تتحدث.

"هنالك ما لم يسبق لي أن أخبرته لمستر كيم".

"تعلمين أنني استأنفت مراسلاتي معه؟ كان هذا في اليوم الذي وافق مرور ستة أشهر على وفاة جدي. على الأغلب احتجت لسنة

أشهر لاسنجماع نفسي من جديد. أجاب مستر كيم مراسلاني أحبري أنه لم يكر بحير، وأنه يرتاد المشفى لتلقّي العلاج. لم أتجرأ لأحبره بأمر وفاة جدي".

نذكرُ حدّ شيوكو. جدها الذي ظل واقفًا في مكانه وهو يستمع لإهاناتها، واكتفى بالنظر للورود، بوجهه المحترق.

"لذا كدبت عليه فحسب. أخبرته أن حالته في تحسُّر، وأن الأطباء الذين أخروا أنه لا يوجد أمل في علاجه كانوا مخطئين، وهكذا".

جمعت شيوكو الرسائل المبعثرة على الطاولة وهي تتحدث. "الأمر مصحك، أليس كذلك؟".

مكتبة
t.me/soramnqraa

"فعلاً مضحك".

"سو يو".

"نعم".

"أصبحنا وحيدتين الآن".

هزّت كنيها ورسمت ابتسامتها المهذبة على وجهها.

فصت شيوكو بعد هذا اللقاء يومين في غرفتي. شاهدت معًا فيلمي القصير، وقد بدّوا لي ساذجين حين أشاهدهما الآن. طلب شيوكو طعامًا صينياً لتوفير وقت الطهي حتى يتسنى لها ترجمة جميع خطابات حدّي. قرأتهم جميعًا بنبرة وسرعة ثابتتين، وكانت تبحث عن مرادفات إنجليزية أخرى حال استعصت عليها إحدى الكلمات. كما ذهبنا سوياً لساونا قريبة من شقتي. وهناك رأيت وشم البرقة ذات اللون الأخضر الفاتح بالقرب من حلمة صدرها البنيّة. أشارت شيوكو للبرقة وهي تضحك.

ارندت شيوكو قبعة جدي المفضّلة من نوع الفيدورا، بينما ارتديت قبعته البريت. وفي الخزانة الزجاجية التي حوت رفاته وُضعت صورة

عائنتنا التي التقطتها شيوكو، وصورة لجدي وهو جالس على مقعد بحاب ضفة النهر. ثبتت شيوكو نظرها عند كلتا الصورتين، ثم وصعت بدها على زجاج الخزانة ونادت.

"مستر كيم".

ضحكنا سويًا بشكل مفاجئ.

لم تمرّ شيوكو بمنزل أُمي، ولم تذهب قرب ضفة النهر ولا لمدرستي القديمة التي كانت قد أخبرتني برغبتها في زيارتها.

"سأذهب لاحقًا؛ وبهذا سيكون عندي سبب للمجيء مرة أخرى".

اصطحبت شيوكو لمطار كيم بوه. تعانقنا للمرة الأولى عند طابق الرحلات المغادرة. كان عناقًا من النوع الذي يُبقي كل طرف ذراعه حول ظهر الآخر مع ترك مسافة بينك وبينه.

أذكر منظر شيوكو وهي تغادر صالة المغادرة، وجهها وهي تسلم بطاقة صعود الطائرة والباب الزجاجي يُفتح أمامها، حينها نظرت لي بنفسر ابسامتها المهذبة. قلبي، تجمّد تمامًا كيوم رأيت ابسامتها في فترة الطفولة

شين تشاو- شين تشاو⁽¹⁾

عدنا إلى ألمانيا مرة أخرى في يناير من عام 1995. وقد سبق لنا أن عشنا في برلين بين عامي 92 و93 قبل عودتنا لكوريا لمدة عام. وصننا لمدينة صغيرة تدعى بلاوين، والتي كانت تابعة لألمانيا الشرقية حتى قبل خمس سنوات. مبانٍ مهجورة، وساحات مواقف سيارات خاوية، ورجال جالسون عند مواقف السيارات تفوح منهم رائحة الخمر. كان المنظر بعيداً كل البعد عن ألمانيا التي أعرفها.

في اليوم الذي دعانا فيه السيد هوو لمنزله على العشاء، قامت أمي بكيّ ملابسها، وارتدت فستاناً جميلاً لا ترتديه عادة، ووضعت بعض مساحيق التجميل المبهجة. صققت شعري على شكل ذيل حصان ووضفرتة على الطريقة الفرنسية، كما ألبستني الفستان الأسود الذي لا أرتديه سوى في حفلات الأعراس، كما ألبست أختي الصغيرة،

(1) تعني مرحباً باللغة الفيتنامية.

دات العامين فستاناً جديداً. لم أر أُمي بمساحيق التجميل منذ زمن طويل، وكم كانت جميلة في عيني الطفولية حينها. تحققت أُمي من هيتها خلال زجاج المبنى عدة مرات، وكانت تلك المرة الأولى التي نتلقى فيها دعوة للعشاء في منزل أحدهم منذ وصلنا للمدينة قبل ثلاثة أشهر. ظن أن أُمي كانت تشعر بشيء من التوتر المحمود.

"شين تشاوو". أَلقت أُمي التحية القيتنامية التي حفظتها حنم ففتح السيدة إنج وين الباب الأمامي، فكررت التحية من خلفها، "شين تشاوو"، فابتسمت السيدة إنج وين مُرحبةً بنا، كان ترحيبها بنا كمن التقى بصديق قديم لم يلقه منذ زمن. وفي المطبخ وقف السيد هوو. أُعجبت به من النظرة الأولى بسبب وجنتيه الورديتين ووجهه الطفولي المرح. السيد هوو موظف زميل لوالدي في العمل، وقد قرّر دعوة أسرتنا لمنزله حين علم بأنني سأصبح زميلةً ابه توي في المدرسة.

كان الطعام الذي أعدّه السيد هوو بسيطاً ومريحاً. لا أعلم إن كان من الممكن وصف الطعام بكلمة مريح، لكنني لا أجد ما أصف به طعامه سوى هذه الكلمة. أعدّ لنا مسلوّق اللحم مع الطماطم المطهو على حرارة منخفضة، مع الأرز المبخّر، والفريديس المشوى، والخضار المقلي، والزلاية الصينية اللذيذة المحمّرة التي عصر عليها نصف ليمونة.

وبعد أن أنهينا وجبتنا بدأ الكبار في شرب الخمر، بينما نبعت توي ناحية المكتبة. "بدأت في جمع هذه المجموعة منذ أن كان عمري ست سنوات". اختار لي توي أحد كتب القصص المصوّرة، وقد كانت جميعها تنتمي لسلسلة قصص "سنوبي".

قال توي: "هل تودّين القراءة هناك؟"، مشيراً إلى الأريكة المنخفضة. كانت الأريكة مصنوعة من الجلد السويدي الناعم المريح.

بدأت أنحسّها بظهر كُفّي بينما أقرأ القصة. كان سويي، الكلب بطل القصص المصورة، جالسًا فوق سطح منزله يهشُّ وود ستوك، صديقة المفضل، بعصا خشبية، ذكّرني حينها بتوي، هكذا كن نوى في المدرسة، كان اجتماعيًا ومبتهجًا على الدوام، وكان عى ونام مع جميع الأطفال؛ طويلهم وقصيرهم، كبيرهم وصغيرهم، لسط منهم والانطوي. بدا بالفعل محبوبًا من الجميع.

"تشبهينه". أشار توي لود ستوكو وهو يضحك، ثم أضاف: "حينما قابلتك للمرة الأولى شعرت بأنك وود ستوك". هل كان يقصد أنني أشبهه لأنني قصيرة ودميمة. أردت أن أسأله إن كان هذا قصده، ولكنني لم أستطع أن أغضب من شخص يضحك بهذه البراءة.

قال توي "رأيتك في الشتاء الماضي، في سوق السلع المستعملة".

"هل كنت تعلم حينها أنني تلك الفتاة؟".

"رأيتك كذلك في الجهة المقابلة من الحديقة، هناك بقع منزلك
أليس كذلك؟"

"فعلاً، وماذا في ذلك؟".

حوّلت نظري مرة أخرى ناحية الكتاب، شعرت بالحجل؛ إذ ربما قد رأيته وأنا أسترق النظر إليه من نافذتي، وربما قد علم أيضًا كم كنت مسرورة في داخلي حين علمت أنه في صفّي.

ذكرتني عن ألمانيا الآن ضبابية، كمشهد خارج نافذه قد تجمّعت فوقها حَبّات رذاذ الماء. وبالرغم من ذلك، فحينما أسترجع ذكريان زيارة بيت توي أسترجع بالتفصيل المشاعر التي غمرتني حينها أتذكر الترحاب الحار الذي قابلنا به أهل توي، وسعادة أمي بضيافتهم، والشعور الدافئ التابع من القبول غير المشروط، وتلك المساحة التي تشاركتها العائلتان أثناء تناول الطعام سويًا. لم أعلم كيف تسنّى لكر

تلك القلوب أن تتألف بلطف. أمّا الآن، وقد أصبحت بالعةً أنواصل بالكاد مع الآخرين، أشعر بغرابة الأحداث التي عشتها وفيها.

عانى أُمّي بسبب جفاف الجو خلال صيفنا الأول في مدينه بلاوين. طبقة من القشرة البيضاء غطت ذراعيها وقدميها كجلد الثعبان، وكانت نشيتي من أنها تُضطرُّ للاستيقاظ من النوم عدّة مرّات أثناء الليل لحكّ جلدها.

"كنت كذلك أنا الأخرى حينما وصلنا ألمانيا أول مرة. صيف كوربا رطبٌ أيضًا، أليس كذلك؟ ولكن الجو هنا على النقيض تمامًا. مهما وضعت على جلدي فسيظل جافًا".

أعطت السيدة إنج وين أُمّي المرطب الذي صنعتها منزليًا. قالت لها إن الحكة ستقلُّ مع الاستخدام المستمر بعد الاستحمام، وبفضل ذلك المرطب تمكّنت أُمّي من قضاء ما تبقى من فصل الصيف براحة أكبر. كانت السيدة إنج وين تعلم ما يُقلقنا حتى دون أن نبوح به، وكانت تهتُّ لجدتنا كلما احتجنا أن نتصل بالسَّباك أو مالك العقار والأكثر من ذلك أنها كانت أنيس أُمّي الوحيد الذي تُحدّثه، وهي التي تفضي يومها بأكمله حبيسة البيت مع طفلتها ذات العام. كانت تقول إن أُمّي تُذكّرُها بها حينما كانت تعتني بتوي بمفردها، وأنه حينما نكون منعزلين عن العالم الخارجي لفترة طويلة فإن الأمر يدفعنا للغرق في أفكارنا السوداوية، كما أخبرتها أن بإمكانها الاتصال بها كلما أرادت التحدث مع أحدٍ ما.

اجتمعت الأسرتان، أسرتي وأسرة توي، على العشاء أسبوعيًّا، مرّة واحدة على الأقل. كنا نتناوب الزيارات المسائية، تارة في منزلنا وأخرى في منزلهم، ومع بداية فصل الصيف، حينما تطول فترة الصوء في النهار، كنا نقضي وقتًا أطول بداية من فترة ما بعد ظهيرة يوم السبت وحتى ساعات الفجر الأولى من يوم الأحد. كنّا بدأ بوجبة

العشاء، وبعدها يبدأ الكبار في لعبة الورق، بينما نلعب لعبة السارل، أو نقرأ كتب القصص المصوّرة. لم أكن مُدركةً للأمر حينها، ولكني أعلم الآن أن دائرة الصداقة كانت منغلقة على الأُسرتين فقط.

كان الكبار يتناوبون أدوار الغناء فيما بينهم في الأيام التي كانوا يجنسون فيها الخمر، وكانت أمي تغني الأغاني الكورية، بسما عني أبوا نوي الأغاني الفيتنامية. لا زلت أذكر منظر البالغين وهم بفجرون في الصحك كلما حاولت أمي تقليد الزوجين ومجاراتهما في غناء أغنية لا نفهم أيًا من كلماتها على الإطلاق.

"لا يمكنني التفاهم مع أبيك مطلقًا" كانت أمي تخبرني بذلك على الدوام. كانا يُهمّشان بعضهما البعض وكأن الآخر غير مرئي. حتى في وقت تناولنا للوجبات، أو حينما نشاهد التلفاز أو نذهب في نزهة بالسيارة على الأغلب أنهما لم يفهما مطلقًا كم كان الأمر جارحًا لي كطفلة.

نخصّص كلاهما في اللغة الألمانية، التقيا في الجامعة ونوعدا لعدة سنوات. لم أفهم حينها كيف لاثنتين يتجاهلان بعضهما البعض بشكل ناعسي وقد كانا يومًا ما يحبّان بعضهما البعض لدرجة الجنون كنت أدعو كل ليلة بأن يأتي اليوم الذي يتحدثان فيه مع بعضهما البعض وجهًا لوجه، وأن يبدأ حديثًا عاديًا، دون أن يحمل أحدهما صعبه تجاه الآخر، وألا ينفصلا.

كان ذلك ضمن الأسباب التي جعلتني أحبّ العشاء في منزل نوي. حينما كنّا في منزلهم، كان أمي وأبي أحيانًا ما تلتقي أعينهما ويتبادلان الضحكات، أو يشاركان الحاضرين بقصص عن الآخر بشكل طبيعي. أذكر أنني سبق لي أن رأيت أبي يرثي على كتف أمي قبل أن يخرج للتدخين في الشرفة. لا زلت أذكر نظرة أمي المتسامحة التي رمفنها لأبي وهو يتحدث في مرج من أثر الخمر. كان أمرًا لا يمكنني تحيّل

حدوته حينما كانت أسرتنا بمفردها. منظر أُمي الضاحكة شيء لم أره
قبر ذلك ولا حتى بعده.

كنتِ بارعة الجمال، حينما أخبر أُمي بذلك كانت تقول لي إنها لا
تذكر تلك الفترة، ثم تشكرني على مجاملتي.

ومع اننصاف أشهر الصيف، وحتى بعد العاشرة مساءً، كان الأفق
لا يزال مضيئًا ببعض مما تبقى من ضوء النهار، فبدأ المنظر كأننا لا
نزال في الفترة الأولى من الغسق. كنت أحب متابعة الضوء وهو يختفي
تدريجياً فتسعه زُرقة الليل لتغشى الأفق. حين تهبُّ نسمات الليل
من نافذة غرفة المعيشة، وتتعالى أصوات البالغين وضحكاتهم الوافدة
من المطبخ، وحين كنت أراقب توي، الذي أدرك تلك الساعة، فغلبه
النعاس ونام وهو فاتح فمه، ثم أجد مصابيح الإنارة في الشارع تُضاء
واحدة تلو الأخرى تزامنًا مع انقشاع اللون الأزرق من الأفق، كنت
أشعر حينها أنه ربما يأتي عليّ اليوم الذي أشتاق فيه لتلك الأوقات
كنت كثيرًا ما أذهب مع توي لشراء أغراض المنزل من الحليب
أو الخبز. وفي طريقنا للتبضع كان توي يركض بعيدًا عني حتى يختفي
عن نظري ثم يعود إليّ من جديد. في بداية الأمر أردت أن أهتم لألحق
به، ولكن حينما علمت بأنه يعود تجاهي من جديد حافظت على
نفس سرعتي في المشي. كنت أضحك حينما أرى وجهه وهو يجري
نحوي بعد أن غاب عن نظري قليلًا. وحين تتلاقى أعيننا كان يلقي
برأسه للوراء خلف كتفيه ويركض بطريقة هزلية.

أما في طريق عودتنا للمنزل فكان كلُّ منا يسير على الجانب
المقابل من الطريق. كنا نخشى من أن نصير مادة للتلامز بين أقراننا
في المدرسة لو أن أحدًا منهم رآنا نسير جنبًا إلى جنب في الطرقت. "وود
سنوك" كان هذا هو اللقب الذي يناديني به توي دومًا حينما نكون
مفردنا. وكلما مرَّ الوقت كانت سعادتي تزيد من هذا اللقب وما

أنني كنت أُغَيِّرُ محلَّ دراستي بشكل متكرِّر؛ فلم أجد مَنْ يكثرُ بإطلاق اسمِ مُزَعِّجٍ على طفلٍ سيمرُّ، على أي حال، مرورَ الكرام.

ثم إذا دخلنا الشارع الذي يسكن فيه توي عدنا للسير جنبًا إلى جنب. وحينها كنت أشم نفحة من رائحة عَرَقه، في بعض الأحيان كانت رائحته مثل قرص معدني احترق تحت أشعة الشمس، وأحيانًا أخرى كانت رائحته مثل البصل. لم تكن نتحدث كثيرًا، لكن المشي معه كان مريحًا.

لم يكن توي غريبًا ولا صعب المراس كبقية أقرانه في نفس المرحلة العمرية. كان يحكي عن يومه الدراسي بشكل تفصيلي مع السيدة إنج وين، وكان يغني دون الاكتراث للآخرين، وفي أحيان أخرى كان يقدم فصلًا مسرحيًا مُرتَجَلًا ومُتَمِّع الحاضرين. كنت أتحدث معه كأنني أتحدث مع أخي الأصغر، حتى إنني قد أبوح له بما يجول بقلبي دون أن أُلقي للأمر بالآ. والسبب أنني كنت أفعل ذلك طمأنينة أن عقله الطفولي لن يعي شيئًا مهمًا قلت. ومن جهة أخرى لم يبدو مهنئًا بما أبوح به له. حقًا هل هذا ما حدث؟ إجاباته غير المكتررة تلك هَوَّنت الكثير من الحنق العاطفي الذي كنت مشحونة به.

"أمي وأي ببغضان بعضهما البعض أكثر من أي شيء" ذات يوم، قلت له ذلك الكلام وضحكت في غير مبالاة. حينها توقَّف عن المتي ونظر لي مدهولًا. بدا لو كان غاضبًا. لم أكن أعلم ما عليَّ أن أقوله أمام رَدِّه فعله غير المتوقَّعة تلك.

"ما الذي يضحكك وأنت تقولين أمرًا كهذا؟" قال لي توي هذا الكلام ثم سبقني في المشي. توقَّعتُ أن يعود مرة أخرى حيث أقف، كعادته دومًا، لكنه لم يفعل. وقفت مشدوهة قليلًا فحسب، إلا أنني لم أفكر في الأمر بعمق. ولكن عند بلوغي للمرحلة الثانوية، وحينما

مررت بمعب المدرسة بعد انتهاء مذاكري الليلية، تدكّرتُ وجهه الطفولي وهو بسألني "ما الذي يضحكك وأنت تقولين أمرًا كهذا؟". لم أكر أعلم أي شيء عن توي، ولم أبدأ في تذكّره بشكل مختلف إلا بعد مرور مرحلة الطفولة.

قالت السيدة إنج وين وهي تضحك: "حينما أتيت لألمابا للمرة الأولى، كان الجو باردًا للغاية. كنت أرتعد من البرودة مهما ارتدبت من طبقات الملابس، ولا زلتُ حتى الآن. توي لا يعاني من مشكلتي لأنه وُلِدَ هنا، ولكن، ويا للغرابة، فلا زلتُ غيرَ قادرة على التأقلم على الشتاء هنا! لن تتخيلي مدى اندهاشي حينما رأيت الثلج للمرة الأولى. كان بديعًا لدرجة أنني كنت أعاني من البرودة وأنا ألعب في الجليد حتى تجمّدت يداي".

كانت أُمي تنظر خلسةً لوجه السيدة إنج وين المبتسم وهي تتحدث أذكر وجه أُمي المرتبك لأنها لم تشارك السيدة إنج وبين الضحك حينما كان عليها ذلك. كانت السيدة إنج وبين كلِّما تحدّثت عن موافق معاناتها السابقة تبالغ في الضحك، وفي كل مرة كانت أُمي ندل محهودًا لمجاراتها في الضحك.

كانت السيدة إنج وين تخبر أُمي أنها (وتقصد أُمي) ذات قلب كبير، وأنها تمتاز بالتعاطف الجَمُّ تجذّه الناس. وأضافت أن العالم في أشد الحاجة للمزيد من أمثالها من ذوي الشخصيات الرقيقة، وقالت إنها شخص بألم لمن لا يعرف كيف يتألم.

كانت السيدة إنج وين تظن أُمي بكلمات المديح كلما تواجذت معها. كانت تقول لها إن ابتسامتها جميلة، وأن الغرفة تزدد إشراقًا حين تشاركها الضحك، وأن جبهتها مستديرة وجميلة، وأنها تمشي الهوينيا في رُقّة بالغة، وأنها أنيقة، وأن أسنانها الأمامية جميلة، وأن صوتها مريح للاستماع... كانت السيدة إنج وبين لا تتردّد أبدًا في ذكر

ذلك الكلام أمام أمي، وفي كل مرة كان وجه أمي يحمرُّ خجلاً. حينما كنت أسمع مديح السيدة إنج وين لأمي كنت أرى صفاتها الحميمة بعيني، وأشعر بعدها بالفخر كونها أمي. كانت أمي والسيدة إنج وين تتبادلان الزيارات بشكل شبه يومي. وكانت أمي تعطي السيدة إنج وين رفائق طحالب البحر المملحة، التي تحبها السيدة إنج وين، التي أحصرنها معها من كوريا بعد أن تُحمَّصها، وفي المفاسل كانت السيدة إنج وين تعدُّ طبق عصيدة الأرز الحلو لأمي، التي تحب الأكلات الحلوة.

كنت أزور منزل توي كل يوم تقريباً خلال فصل الشتاء الثاني لنا في بلاوين. كان منزلنا بارداً بسبب مدفأتنا التي كانت معطلةً على الدوام، إلا أن منزل توي كان دافئاً، بحيث أشعر بجسدي يذوب دفئاً فيسري فيه شعور لطيف، كنت أشعر بالراحة في وجودي مع أسرة توي أكثر من منزلنا.

السيدة إنج وين كانت تسأل عن الكثير من الأشياء التي نحضُّب. كأن نسألي كيف كانت مدرستي، وما إذا كنت راضية عن حياتي في برلين، وهل سبق لي الذهاب إلى البحر، وما لون البحر في كوريا، وأكلاقي المفصلة من بين الأطباق الألمانية. كانت أسئلتها تخلف ثمناً عماً يسأله غيرها من البالغين، الذين كانوا يسألونني مثلاً إن كنت مجتهدة في دراستي، وماذا أنا قصيرة بهذا الشكل، وماذا سأفعل حينما أكبر. كنت سعيدة بتلقي مثل هذا الاهتمام الصادق، فأخذت أحكي عن نفسي بلا توقُّفٍ حتى احمرَّت وجنتاي.

"هلاً كتبت لي اسمك بالرموز الصينية؟" سألتني السيدة إنج وين. كتبت اسمي فابتسمت السيدة. "كنت متأكدة. تحمل كلانا نفس لقب العائلة".

كُتِبَتْ وون 阮 (والتي تعني اسم بلدة)، وقرأتها إنج وبن وقالت إن اسم العائلة "هوو" 胡 الخاص بزوجها يعني وحدة قباس بينما كان رمز اسم توي 翠 ويعني "أخضر يانع". "تشبهين كثيراً صديفتي من الطفولة. كان رمز عائلتها إنج وبن أيضًا. سكنت صديفتي في نفس قريتي". بدا عليها الحزن رغم ابتسامها. كانت حين تحكي عن أكثر الأشياء التي تحبها ترسم تلك الملامح على وجهها. حتى وهي تنظر لأحتي دو بون الصغيرة البالغة من العمر ثلاث سنوات. وكلما مر الوقت شعرت بالألم بسبب تلك الملامح؛ لأنني شعرت أن سعادتها كانت على اتصال وثيق بحزنها.

وفي يوم ما طلبتُ منها أن أرى صورتها في مرحلة الطفولة، ولكنها أرخت رأسها وقالت: "فقدتها جميعًا. ليتَه بقي معي ولو صورة واحدة". سألتها عن السبب، ولكن كل ما فعلته كان أن مسحت على رأسي. "لم أفقد الصور فحسب" قالت لي هذا الكلام بصوت منخفض للغايه لم أفهم معنى كلامها على وجه التحديد، ولكن رعشة قلبها وهي تقول هذا الكلام انتقلت لي أنا الأخرى فتوجستُ خيفة.

كان المكعب هو المكان الوحيد في بيت توي الذي لم يكن مسموحًا لنا بالدخول إليه. لم يحذرنِي أحد من الاقتراب من المكان؛ لذا لم أفكر يومًا في الدخول؛ لأن الباب كان مُغلقًا على الدوام بطبيعة الحال.

وفي يوم ما، كان باب الغرفة مفتوحًا على مصراعيه، فشعرت بشيء يجذبني للداخل. وهناك رأيت مذبذبًا صغيرًا بجانب الباب مباشرة. كان المذبذب مُقامًا على خزانة خشبية، وقد بُني على شكل منزل بعمد متصلة من الأرضية وحتى سقفه، وبداخله خمس إطارات بصور ومبخرة ملئت بالرمل والرماد. في كل إطار كانت هناك صورة بالأبيض والأسود لشخص ما، وفي المبخرة كان هناك عدد من أعواد البخور الفرمزية المحترقة وقد احترق بعضها للمنتصف، وأحرى اشتعلت

حتى آخرها، وبجانب المبخرة كانت هناك أعواد بخور ملفوفة في ورقة بيضاء وبجانبيها علبة كبريت صغيرة. سبق لي أن رأيت البحور من قبر، ولكن كانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها أعواداً مشتعلة أمام صور للموتى. انتابني الخوف من التحديق مباشرة في الصور، فاسندرت وخرجت على الفور.

بدا الأشخاص الخمسة الذين رأيتهم في الصور كعائلة واحدة. لو كنت أذكر بشكل صحيح فقد رأيت رجلاً عجوزاً وفتاة في مثل عمري وطفل في عمر أختي ديه يون. ورغم أنني رأيت تلك الصور بطريقة خاطفة، إلا أن تلك الوجوه لاحقتني وقد تشبَّت بظهري.

أردت أن أعرف من هم، ولماذا وُضعت صورهم في ذلك المذبح في بيت توي. شعرت بالفضول؛ فلماذا لم يخبرني أيُّ من توي ولا السيدة إنح وين بأمر المذبح، ولكن خوف غامض منعني من إخبار أي شخص بما شاهدت.

سمعت توي يقول أمراً مفاجئاً حينما كنا ندرس الحرب العالمية الثانية في المدرسة. كان ذلك في بداية الفصل الدراسي بالخريف.

"لحسن الحظ أنه لم تندلع حرب بعد الحرب العالمية الثانية فتحلّف وراءها ذلك العدد الرهيب من القتلى". رفع توي ذراعه وفاض المعلم. "هذا غير صحيح" كانت تلك كلمات توي الأولى "غير صحيح؟".

"قُتل العديد من الأشخاص أثناء الحرب في فيتنام؛ جدي وحتي وأخت أمي وأخت أبي، وأعمامي، الجميع. دخل الجنود وقتلوهم جميعاً. حتى جميع الأطفال. قتلوا القرية بأكملها. سمعت أمي تتحدث عن الأمر" كان ذلك كلام توي.

"كلامك صحيح يا توي. أغلبكم لم يسمع بموضوع حرب فيتنام. توي، هل نودُّ إخبارنا بالمزيد؟" كان المعلم يشعر بالرضا حيال تعبير توي عن وجهة نظره، ولكن يبدو أن توي قد قال ما قاله كردُّ فعلٍ عربي علمتُ ذلك لأن وجهه كان أحمر كمن أوشك على السكاء هم ليتكلم، ولكنه صمت وأرغى رأسه.

"توي، احكِ لنا أكثر. علينا أن نعرف نحن كذلك". حرَّك توي رأسه بالسمي. كل ما يتعلق بتلك الحادثة بدا ظالمًا بالنسبة لي، على الرغم من أنني لم أكن مستوعبةً السبب وراء ذلك الشعور في ذلك الوقت، حينها رفعت إنجا، رائدة الصف، ذراعها.

"فيتنام هي البلد الوحيد التي غلبت الولايات المتحدة في الحرب. مات ستون ألفًا من الجنود الأمريكيين، وعلى الجانب الآخر مات مليون شحص من الشعب الفيتنامي من المدنيين. شاهدت الأمر على ششمة التلفاز. القوات الأمريكية ألقت القنابل من الطائرات والمواد الكيميائية التي قضت على الأشجار". علت ابتسامة فخر على وجه رائدة الصف. رأيت وجه توي وأذنيه الصغيرتين اللتين بدأن في الاحمرار

أنسى المعلم على دقَّة كلام الرائدة، وبدأ يشرح لنا سبب دخول الولايات المتحدة حرب فيتنام وأحداث الحرب، وقال إن الحكومة الأمريكية قد أخطأت في المشاركة في تلك الحرب لأنها لم تجس منها أي شيء. ولكن هذا لم يكن ما أراد توي قوله، وشرَّح الأمر على ذلك النحو كان مؤلمًا بالنسبة له، أذكر أنني أردت قول ذلك، ولكنني، ولسبب ما، أبقيت فمي مغلقًا. كان توي موجودًا في غرفة الصف بلا أدنى شك، ولكن وفي هذه اللحظة بالذات، شعرت وكأنما يتم التعامل معه وكأنه غير موجود. تابعته من الخلف وقد انحنى بظهره في مقعده. لا علم

لي كيف يشعر توي الآن، هذا ما فُكِّرْتُ فيه حينها، حتى إني شعرت
بالحق نجاه الأطفال الألمان بالصف.

وفي ذلك اليوم اجتمعنا في منزل توي لتناول العشاء الذي أعدّه
السد هوو المكوّن من المعكرونة والزلابية الصينية. ولا أذكر على
وجه التحديد كيف تحوّلت دقّة الحوار لذلك الاتجاه.

كنت في العاشرة من عمري، ولم أكن جميلةً، ولم أتميّز حتى في أي
شيء. ومذ أن وُلِدَت أختي الصغرى، وأنا في الحادية عشرة من عمري،
وكان يُطلب مني على الدوام أن أكفّ عن التصرفات الطفولية حيما
أقوم بأي أمر مهما كان. ومثل كثير من الأطفال الذين لا حضور لهم،
كنت متعطّشةً لنيل تقدير البالغين.

لذا، وحين تحوّلت دقّة الحوار للحديث عن الاحتلال الياباني؛ قفز
قلبي بداخلي إثر ما كان يقوله البالغون. وظننت أنني أخيراً سأحظى
بفرصة ذهبية للتعليق على الحوار ولو بكلمة. وحين نتحدث عن
تاريخ كوريا فأنا أعلم به من أهل توي، وإذا حدّثهم عن معلومي
فأهلي بلا شك سيفخرون بي.

"لم يسبو لكوريا أن غزت أي دولة مُطلقاً" قلت هذا الكلام، ثم
نظرتُ لأمي وأبي ليؤكّداً على كلامي. لم يحوّل أبي نظره تجاهي وكأنه
لم يسمع شيئاً، بينما نظرتُ لي أُمي نظرة تعني أن أصمت. غير السيد
هوو موضوع الحوار قائلاً: "أتمنى ألا تكون المعكرونة مالحةً للغاية".
شعرت بالاستياء حينما تجاهل الجميع كلامي، فأردفت قائلة "هذا
حقيقي، لم تُسبّب الأذى لأحد قط". أردت أن أعطيهم انطباعاً جيّداً
عن كوريا، وأنها دولة مُسالمة، كما أردت المشاركة في موضوعات
البالغين وحواراتهم وأن أسمع تقديرهم. نظرتُ بأمل في وجه أبي الذي
كان جالساً في مواجهتي.

"لا نتدخل في الحوار حينما يتحدث البالغون. أبقِ فمك مغلقاً لو لم نعرف ما تتحدثين عنه!" صرخ أبي في وجهي بالكورية. نوفس الجميع عن حمل عصي الطعام، ثم حوّلوا نظرهم تجاهي. شعرت بالخرج والظلم الشديدين من توبيخ أبي لي بهذه الطريقة أمام أسرته نوي، وبدأت أحس بطنين في أذني واغروقت عيناي بالدموع، وقد أخذ وجهي ينوّهج بالحرارة. استجمعت ما تبقى لي من قوة وفلت بالألمانية: "هذا ما تعلّمته في كوريا. لم نوذ أحداً قط، وكنا دوماً الطرف الذي يقع عليه الاعتداء. هذا ما قاله معلّمي..."

فأل توي: "قالت أمي إن الجنود الكوريين هم مَن قتلوهم". كان صوته منخفضًا، ولكن كلماته كانت كفيّلة بأن تُحيل جوًّا المائدة لصدت مُطْبِق. "الجنود الكوريون قتلوا جميع أفراد عائلة أمي؛ جدّي، حتى خالتي الرضيعة، قتلوهم جميعًا بدم بارد. تقول أمي إن قرينها بها شاهدٌ حجري⁽¹⁾ يوثّق جرمَهم". كانت نبرة كلام توي كمن يسنهجن ما فُلت، ولكنني لم أفهم كلمة ممّا قال.

"توي. لا تتحدث دون تفكير" قالت السيدة إنج وين هذا الكلام، ثم نظرت لي وقلته: "لا تُلقِي لهذا الأمر بالآ. لا دخل لك به مطلقاً". كلام السيدة إنج وين كان تأكيداً على أن ما ذكره توي حقيقة. "صدِّفني، لا دخل لك بالأمر مطلقاً". عيناها قَلَقَتان؛ إذ ربما بتسبب ذلك الكلام في جرح قلب طفلة صغيرة، لا يمكنني نسيان ذلك الوجه

(١) شاهدٌ حجريٌّ بقع مقاطعة كوانج أي بفيتنام، حيث وقعت مدحة على أيدي القوات الكورية راح صاحبها ما يقرب من 430 مدنيًا من أهالي القرية، بينهم نساء وأطفال وشيوخ وكُتِبَ على الشاهد الحجري ما يلي: "سوف تتذكرون ذلك الإثم، الذي سح عبر السماء، لعشرة آلاف رجل قُتل في المذبحة 430 شخصًا، بينهم 268 امرأة، و109 أشخاص تتراوح أعمارهم بين 50 و80 عامًا، و82 طفلًا، و7 نساء حوامل، وأُحرق اثنان وهما على قيد الحياة، وقطعوا رأس رجل، وشقوا بطن آخر، واغتصبوا سيدتين. أبادوا العائلتين ولم يُبقوا منهم أحد".

مطلقًا إن كنت قد جُرحتَ حينها فسيكون السبب هو شعوري
بإلذنب الذي أحسسته تجاه السيدة إنج وين. همست السيدة إنج
وين قائلة: "أمر قد وقع قبل ولادتك".

قالت أمي: "لم أكن أعلم بالأمر حقًا". وأضافت: "لم أكن أعلم شيئًا
عن الأمر الذي مرَّرت به سيدة إنج وين، وبالرغم من ذلك أريد
أن أقدم اعتداري. أنا آسفة". انحنى أمي أمام السيد هوو وزوجته
السيدة إنج وين.

"شاهدت الأمر كله بأم عيني، كنت في عُمر توي" قال السيد هوو
ذلك الكلام وعيناه حمراوان مستعدتان للبكاء، وقد بذل مجهودًا
ليبتسم. "لكن شكرًا لكِ على ما قُلتِ" قال السيد هوو جملة
ثم توقَّف بعدها وضحك بقوة. همست السيدة إنج وين لزوجها
بالقِيتنامية. لم أفهم كلمة ممَّا قالت، ولكنه كان كلام تعزية له بلا
شك، والسبب في اعتقادي هذا أن وقع كلامها بدا مطمئنًا لقلبي هو
الأخر.

نابح أبي شرب الجعة كأنه لم يسمع الحوار الذي دار بين أمي
والسيد هوو.

قالت أمي لأبي بالكورية: "علّق على الأمر ولو بكلمة".

"ماذا عساي أقول؟ هل تطلين مني أن أعترف بأننا أخطأنا؟ لماذا
أفحمت نفسك في الأمر واعتذرت؟ مَنْ أنتِ لتتصدّري الأمر؟" ردَّ أبي
على أمي برشقاته الكلامية.

"هكذا حالك دومًا. لا تطيق الاعتذار حتى لو كلّفك الأمر حياتك،
فلن تعتذر حينها حتى. هل تجد الأمر صعبًا لهذه الدرجة. لو كنت
مكان السيدة إنج وين لما استقبلت أسرتنا من الأساس"

أسد أي ذراعه فوق السترة المعلقة على كرسي مائدة الطعام، ثم قال: "شكرًا لكم على العشاء". تردّد أبي برهة، ثم قال: 'توفي أخي الأكبر هو الآخر في تلك الحرب. كان حينها في العشرين من عمره. وكان من الجود المرتزقة'. كان أبي ينظر للأرض بينما يتحدث، كما فصد تحبّب التقاء عينيه مع الجالسين.

قالت السيدة إنج وين: "لقد قتلوا الرضع والعجائز".

"الوضع كان صعبًا لدرجة تجعلك غير قادرة على التفريق بين الفيت كونج⁽¹⁾ والمدنيين".

أكمل أبي حديثه وهو مُصِرٌّ على ألا تلتقي عيناه مع السيدة إنج وين.

"وهل عساهم يخطئون النظر في رضيع لم يكمل أسبوعه الأول ويحسبونه من عناصر الفيت كونج؟ وهل أخطؤوا التقدير في عجائز لا يستطيعون الحركة وحسبهم ضمن عناصر الفيت كونج؟".

"كنت حريًا".

قالت السيدة إنج وين: "حرب؟ لم تكن سوى مذبحة مُفرّرة" كانت نرتها تقريرية، وقد خلت من أي مشاعر.

"وماذا تتوقعين مني أن أقول؟ أنا فقدتُ أخي أيضًا. ألبس الأمر منتهيًا؟ هل تظنين أن الأمر يستحق أن نتأسّف بسببه بل وبطلب الصفح أيضًا؟".

قالت أمي: "هل أنت في وعيك؟".

نهضت السيدة إنج وين وتحركت ببطء تجاه غرفة المكتب، ثم أغلقت باب الغرفة بحذر. شعرت بالخوف، ولكني لم أجرؤ على الدخول خلفها. حملت أمي أختي الصغيرة ونهضت من مكانها "أنا

(1) لجهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام.

أسفه للغاية". انحنيت أُمِّي أمام السيد هـوـو. "توي، أنا أسفه" قالت أُمِّي كلمتها تلك ثم خرَّجت. حملتُ حقيبة الحفاصات والسُّتره وخرجت خلفها.

"لم تكن سوى مذبحة مُقرَّزة". كان وجه السيدة أنج وبن الذي خلا من الانسامة وهي تقول جملتها تلك طافياً فوق وحيي وأنا مستلقية أحاول النوم. كانت في مكان آخر غير الذي كنَّا فيه حين قالت ذلك الكلام، تائهة في مكان وزمان آخرين لا يسعني تخيلهما مهما حاولت. لم يكن كلامها بدافع رغبة منها في إقناع أي، ولم يكن بغرض الدفاع عن نفسها كذلك. ولم يكن كلامها موجَّهاً لأي في الوقت ذاته، كان الأمر عبارة عن ابتسامة مريرة تفتعلها أمام نفسها بعد مرور كل تلك السنوات منذ حدوث ذلك الأمر. حتى إن موقف أبي لم يُشعرها بالإحباط. في تلك الليلة، وقف شعورها القائر: 'على أي حال أنتم لن تستطيعوا تفهِّم موقفي' ليفرِّق بين علاقتنا كان اختياراً تقليدياً من قِبَل البالغين الذين لم يرغبوا في كُره بعضهم البعض أو التماذي أكثر في جرح بعضهم البعض.

بدلت أُمِّي قصاري جهدها حتى نُصلح علاقتنا بأسرة نوي. وحتى بالنسبة لفتاه في الثالثة عشرة من عمرها، مثلي، كان حدي يخرني أن الأمور لن تعود كسابق عهدها، لكن أُمِّي ظنَّت عكس ذلك. كانت تردُّد على السيدة إنج وبن وتصحبني أنا وأختي الصغيرة معها. وعلى السطح، لم يكن هناك أي تغيير. كانت السيدة إنج وبن تُحضر الشاي مع الوجبات الخفيفة فتتحدث عن مختلف الأمور كما كنا نفعل في السابق. ولكن لسبب ما كنت أشعر أن السيدة إنج وبن تتعامل على نفسها لتمضية ذلك الوقت معنا. كانت أُمِّي تتحدث أكثر من المعتاد وكأنها تدفع الحرج دفعاً. في تلك الأوقات كانت جملها بالألمانية غير المتقنة تتفتَّت منها، بينما عجزت كلماتها المرتبكة في تكوين جملة مفيدة ذات معنى، فطفت على السطح بلا هدف، مع حُمَل ذات

أرملة وجنس وأعداد غير متطابقة، دفعت بالكلام كله ليصبح أسبه
سكنه مُفعلة. بدت السيدة إنج وين كأنها متعبة من الاسماع
لأمي. ورُغم محاولاتها لإخفاء مشاعرها، فتعابير وجهها لم تفلح في
الإفلات من ملاحظتنا.

وبحلول الوقت الذي بدأنا نرتدي فيه معاطفنا الشتوية، نوقفت
أمي عن ربرة السيدة إنج وين، ولم تذكرها بعد ذلك مطلقاً. وحتى
أمسيات السبت التي كنّا غمضها في منزل عائلة توي، تحولت إلى
وقت مُربكٍ لمتابعة التلفاز فيما بيننا. ومع قصر فترة النهار بحلول
ذلك الوقت، كان الظلام يحلُّ في كل مكان بحلول الساعة السادسة
فأُضطرُّ للذهاب لغرفتي في الساعة الثامنة. وكان النوم عصياً في تلك
الليالي. كنت أرقد في فراشي بلا حركة أستمع لأمي وهي تجذب أحد
مقاعد غرفه الطعام، أو صوتها الهامس وهي تحدّث هاتفياً أحداً ما
في كوريا. ودات مرة، خرجت من غرفتي للذهاب إلى الحمام فرأيتها
حالسة على مقعد مائدة الطعام وقت الفجر وهي تحدّق طويلاً
في الحائط. لاحظت تعبيراتها المتألمة، وعدم ملاحظتها لدخولي، نم
مفاحنها حينما أدركت وجودي، ومحاولتها لرسم ابتسامه لطمأننتي
رغم جفونها المرتجفة.

تخلصت أمي من أحمر الشفاه الذي لم تستعمل سوى بصفه
فقط مع كريم الأساس في القمامة، بينما ألقت طقمها المفضّل المكوّن
من ثُورة وقميص، وفستانها، في سلة جميع الملابس المستعملة.
كانت تَمضي أيام الأحد في تعبئة أغراضها والذهاب للغابات القريبة،
أو سوق الأشياء المستعملة، أو سوق الزهور، ولكن كل ما تفعله الآن
هو البقاء في غرفة أختي الصغيرة والتحديث طويلاً في حوائطها.
وحتى في المواقف التي اعتادت أن تتشاجر فيها مع أبي حول شيء
فاله أو فعله، أو محاولة تصحيح كلامه، كانت حينها تلتزم الصمت. لم
نكر تَأكل بانتظام، وكانت تحيك حتى تحمرُّ أناملها

في تلك الأيام، وحينما كانت أُمي مستغرقة في النوم بغرفة أختي الصغيرة كنت أتفقد سلة المهملات. لاحظت بداخلها صوراً قد مُزقت لفصاصات صغيرة ثم أُلقي بها. وجدتُ من بينها صورة أُمي بحملني وأنا رضعة وبجانبها وقف أبي ضاحكاً، وأخرى وأنا أنحس بطنها التي أوشكت على الولادة... كانت قصاصات صغيرة يستحيل معها ترميمها لما كانت عليه من قبل. أخذت أحقق في صمتٍ في وجهه أُمي البائسة بجوار أختي ديه يون. بدا لي أنها قد ابتعدت بالفعل، وكان كـر خوفي من أن تنجرف لأبعد من ذلك.

ناولتني أُمي صندوق هدايا مُربّعاً، وطلبت مني أن أسلمه لتوي، بعد أن أخبرتني أنه هدية لأسرتـه. وضعت العلبة على حافة النافذة. الهدية كانت مُعلّقة بغلاف ورقي باللونين الأصفر والأخضر، مع شريطة حمراء لُفت العلبة من الأعلى.

كـف نعيش كسكان المنازل الفارغة بعد أن أرسلنا معظم أثاثنا وممتلكات شقتنا ولم يعد بالمنزل الكثير. كنا نفترش الجرائد على الأرض لناول الشطائر وننام ليلاً في حقائب النوم. وكنت قد ازددت طولاً في العامين الأخيرين، وقد تخلّصتُ أُمي من ملابسها التي اعتدت ارتداها في ألمانيا في حاوية تجميع الملابس المستعملة. لم أرغب في البقاء في ألمانيا، ولكنني لم أرغب في العودة لكوريا كذلك. كان من المفترض أن ألتحق بالصف المتوسط في كوريا بعد شهر، وكان من الصعب عى تقبل شكل فَصّة شَعري القصيرة التي تصل لثلاثة سنتيمترات تحت أذني، أو أن أقف في طابور صباحي وأنا مرتدية الزي المدرسي. تخيلتُ كيف يمكن لهذا التغيير أن يكون مُخيفاً، ولكن ما شعرت به حينها كان استسلاماً أكثر منه خوفاً.

كان الثلج يهطل بكثافة في ذلك اليوم، فيتراكم الثلج الحديث فوق القديم، قل أن يذوب ويتجمّد على أرضية الحديقة، بينما أزبح الثلج

عن حراء ضيق فقط من الطريق للسماح بعبور المشاة. جلست على حقيبة سَفَر كبيرة مُلئت بالملابس، وأخذت أراقب خارج النافذة. المرة الأولى التي رأيت فيها توي كانت من خلال تلك النافذة أيضًا. حضرتني صورته وهو يقفز بشكل متعرج أسفل الشارع، فشعرت بحزن مكسوم. كان الوقت مُنذرًا بحلول موعد الغروب، فبدأ الثلج المتراكم في الحديقة مائلًا للزُرقة.

حينها رأيت صبيًا خارج النافذة يرتدي معطفًا أسود من نوع النورك الشنوي وقد أطلق غرثه الطويلة. كان يخطو خطوات واسعة. وعلى الرغم من أنني لم أتبين وجهه بدقة إلا أنني كنت متأكدة من أنه سيكون مبتسمًا ابتسامة هزليّة. استدار الصبي تجاه النافذة ونظر إليّ، ثم مدّ ذراعه ولوّح لي بيده. كان ذلك توي. حملت صندوق الهدية الذي ناولتني أمي إياه، ثم نزلت الدَرَج وعبرت الشارع.

لم يبق في المكان الذي برحه توي منذ قليل سوى آثار أقدام. وقفت هناك أنظر من حولي، ولا أدري كم مرّ من الوقت عليّ في تلك اللحظة، ثم ظهر توي من بعيد مُسرّعًا تجاهي. وقف أمامي مباشرة وانفجر في الضحك.

قال نوي: "ما هذا التعبير الذي أراه على وجهك؟ ألا رِلتِ ننخدعين بالاعبيبي؟".

"إيّاك أن تتلاعب بي مجددًا". كان عليّ أن أقول ذلك ثم أضحك، ولكنني عجزت عن حمل نفسي على الضحك، فقد صدمتني كلمة "مجددًا" والتي لم يكن لها معنى الآن. شعرت بعدها بغصّة في حلقي. "ما بك؟ هذه ليست المرة الأولى ولا الثانية. حسنًا، لن أعيدها من جديد".

بدا مشدوّهًا حينما شاهدني وأنا أكتُم دموعي وأخذ يتمخّصني برّهة.

"هل أنت من كلاب الزُّلَّجات؟ لتقفز على الجليد بهذه الطريقة؟".
تمكَّنتُ من الابتسام بصعوبة بعدما لفظت بتلك الكلمات في وجهه.
جمع توي كفيه أمام جسده وقلَّد شكل الكلب، فأضحكني

أدركت لاحقًا أن تصرفات وكلام توي الهزليين لم يكونا سوى خدعة
يستخدماها الناضجون الذين يراعون مشاعر غيرهم من الأطفال.
أولئك الأطفال سيقوا أقرانهم في مرحلة النضج فكان عليهم أن يمثِّلوا
دور الطفل البريء الذي لا يعرف شيئًا. كانوا يحملون على عاتقهم
مسؤولية لعب دور الطفل الهزلي الضحوك حتى يتسنى للأحرز أن
يزيحوا بعضًا من همومهم خلالهم، وينسوا تلك الهموم للحظات
وبضحكوا. حينها، كنت أظن، حتى تلك اللحظة، أن الأطفال الجادين
والمتهكِّمين وحدهم هم الناضجون؛ ولذا غفلت عن حقيقة مراعاة
توي لغيره

قال توي: "أمي ستأتي من هذا الاتجاه بعد قليل. بدأن مؤخرًا في
حضور بعض الفصول الدراسية. وقد أوشكت حصتها على الانتهاء". لم
نكن قد نادلنا الحديث منذ فترة، فشعرت أنه غريب. لم يأت لزيارة
منزلي، ولم أذهب لزيارته في منزله. أما في المدرسة فقد بقيت معرِّل
عن بعضنا البعض، ولو تصادف واصطدمنا أثناء طريق عودتنا للمرل
كما نكتفي بالإيماء فقط ثم نعاود من بعدها استكمال طريقنا ببرود.
وفي تلك الأوقات لم يكن توي الصبي الذي عرفته. كان أطول كبيرًا ممَّا
سبق فلم يبدُ كصبيٍّ صغير لمن يراه من بعيد. حديثي معه مثل
الأيام الخوالي، وكأن كل شيء على ما يرام، جعلني أدرك أن وقتًا طويلًا
قد مرَّ بالمعل. جلسنا جنبًا إلى جنب على إحدى مقاعد الحديقة.

قال توي: "لم أقصد الإساءة إليك يومها". تردَّدتُ لبعض الوقت،
لا أدري ماذا أجيب، فبادر توي بالكلام قائلًا: "لم أقصد أن أهاجمك
بكلامي".

بعد أن سمعت كلامه أدركت بشكل تلقائي أنني أردت أن أقول له نفس الشيء. أغمض عينيّ الواسعتين مرة واحدة. كلما هنت الرياح أسقطت معها كومة من الجليد من التي تراكمت فوق أعصان الأشجار فسقطت متهشمةً فوق رأسيّنا.

قلت ببطء: "آسفة أنني لم أكن أعلم شيئاً". كنت خبيرة كهذه الرياح التي توشك أن تزيح كلماتي بعيداً. كنت أعلم أن تلك الكلمات لن تغير شيئاً ممّا سبق، ولكنني أردت أن أقولها على أي حال. تلاقى أعيننا، ثم أخذ يضرب الأرض عدة مرات بمقدمة خذائه. بعده رفع رأسه ونظر لي مجدّداً، بدا عليه الإحراج. ثم تباعدت شفتاه ببطء، ومن بينهما خرج نفّس أبيض تَبَعَثَ في الهواء. أخرج كيساً ورقياً من حقيبة ظهره.

"هذا لك وود ستوك".

حوى الكيس الورقي كتاباً مصوّراً، وعلى الغلاف كار وود ستوك وسوي يجلسان وفق سطح منزل الكلب يكشّران في وجه بعضهما لبعض. لن يكون باستطاعتنا أن نجلس سوياً مثلهما مجدّداً، ولن أنادي باسمي السخيف مُطْلَقاً.

جلّسنا هناك نتبادل أحاديث غير مجدّية حتى موعد وصول السيدة إنج وين. لماذا يبقى روث الكلاب موجوداً في الحديقة مهما حاولوا تنظيفه، ورغم ذلك فإنه يبقى في مكانه على الدوام. تُرى، كم عدد أكوام الرّوث المدفونة والمتجمدة تحت هذه الطبقة من الجليد. كنّا نسقط مغشياً علينا من الضحك إذا ما بدأنا الكلام في أمر الرّوث، ولكننا، ولسببٍ ما، ما عدنا نضحك على نفس الأمر كما كنّا في السابق. لم يعد الأمر مُضحكاً.

لَوَحَت السيدة إنج وين بيدها لنا ونحن جالسين جنبًا إلى جنب
جلست السيدة إنج وين بجانبني.

"متى سترحلين؟"

"أرحل غدًا مساءً".

أخذت السيدة إنج وين تحملق في صندوق القمامة دون أن ندي
أي تأثر شعرت بالخجل، فحللت ذراعي المتشابكتين وناولتها صندوق
أمي على حجرها.

"طلبت مني أمي أن أسلمكِ هذا".

بدأت تمزق الغلاف الورقي المغلف للصندوق، ثم فتحته. بداخله
كان هناك ثلاثة أطقم من الأوشحة والقبعات والقفازات الصوفية،
كانت أمي قد شغلته منذ الخريف الماضي. سألتها لمن هذه؟ تذكرت
وجهها غير المبالي حين أجابتنى بأنها كانت تشغلهم لشغل فراغها
فحسب. أخرجت السيدة إنج وين القبعة الصوفية الحمراء وارتدتها
لم يكن بها أي اختلاف كبير بينها وبين قبعتها الصيفية دان الحواي
الضيقة التي اعتادت أن ترتديها سوى أنها شُغِلت من الصوف. كما
شُغِلت حواي القبعة بوردة عُلِّقت عليها. أخرجت القبعات والأوشحة
والقفازات وأخذت تتفحصهم واحدًا تلو الآخر في ضوء الشمس. كأنهم
جواهر كان عليها أن تفحصها جيدًا في الضوء الشاحب. أمسكت بقبعة
كحلية نُقش عليها حرف التاء باللون الأصفر وأخذت تحدق فيها
لوقت طويل قبل أن تضعها على رأس توي.

"رأسه كبير لذا لا تناسبه القبعات عادة ولكن...". توقفت السيدة
إنج عن الكلام، وسدت فمها بيديها، ثم سحبت دمعة كادت أن تمر
منها. كانت المرة الأولى التي أرى فيها السيدة إنج وين تحاول أن
تكتم دموعها. لم أكن أعلم كيف علي أن أظهر التأثر على وجهي وأنا
جالسة بجانبها، وخاصة حين حافظت على هدوئها وصرانها حتى

وهي تتحدث عن الحرب دون أدنى تبدُّل في ملامحها. السبدة إنج وبر. نظرت لوجهها.

عينان نُبَّان كبيرتان مع أنف صغير، بينما تدلَّى جانب شفيتها لأسفل مر أثر كتم بكائها، وعلى جبهتها خطًّا تجاعيد عموديان.

نفخت كرات الثلج الصغيرة التي تساقطت على قبعتها الصوفية

قلت لها وأنا أنظر لوجهها الصغير: "شين تشاو".

أجابتني بنفس تحيتي، وقالت: "شين تشاو".

رفعت صوتي قليلاً وقلت: "شين تشاو، توي". كان مرتدياً القبعة الصوفية الكحلية وقد احمرَّ أنفه وهو يضع يده في جيبه، ثم نظر إليّ وقال بصوت منخفض: "شين تشاو".

لست متأكّدة ما إذا كنت قد توقّعت هذا المشهد. ومشهد السيدة إنج وبر وهي تصعد لمنزلنا لتلقي التحية الأخيرة على أسرتي. ومنظرها هي وتوي وهما يرتديان القبعات التي حاكتهما أُمي لهما ليعرصاها عليها لربما نُمِسْتُ لو رأيت وجه أُمي الذي سيرتسم عليه علامات الرضا بعد رؤية نتيجة عمل يدها عليهما. ولكن لم يكن لهذه المشاهد الدرامية أي وجود. لم يكن هناك حتى الأحضان والقبلات ولا حتى حُمل الوداع المشحونة والمعتادة في مثل تلك المواقف وداعاً. كانت الكلمة الوحيدة التي قلناها. ثم نهضنا من مقاعدنا وأزحنا حبات النلج المتراكمة على معاطفنا، وسار كلٌّ مِنَّا في طريقه. عبرت الشارع، بينما لم يعر الآخرين. انتظروا حتى وصلت أمام عتبة منزلنا لأمامية ثم تحرّكا من مكانهما. لن أتمكن من رؤيتهما بمجرد عبورهما لتلك الزاوية. تسمّرتُ في مكاني أمام عتبة منزلنا وتابعتهم وهم يمشون بعيداً تلفّت توي خلفه ونظر تجاهي مرة أو مرتين، ولكنه لم يتوقف عن السير. التّفّوا ناحية الزاوية وما عدت أراهم من بعدها. ربما يعودون من جديد. جلست القرفصاء أنتظرهما أمام عتبة منزلنا.

ولكنهما لم يعودا مطلقاً؛ لذا مشيت حتى منزل نوي. لكن الشارع كان قد خلا من أي شخص.

مرور الوقت، وكلّما ذنّت علاقة لنهايتها تأملت الطرف الذي ترك والاخر المتروك. أحياناً كنت أنا من يترك أولاً، وأحياناً أخرى كنت المتروك، ولكن حين تنتهي علاقة كنت أعترّ بها، لم أكن أعلم حينها عني وجه التحديد من ترك ومن المتروك. كلاهما ترك في أحيان، وفي أحيان أخرى وقفوا موقف المتروك. الخط الرفيع بين أن تترك أو أن تكون متروكاً كان ضبابياً في معظم الأوقات. ورغم سفري لعدد من رحلات العمل لألمانيا؛ إلا أنني لم أنزل مطلقاً ببلاوين تعمّدت أن أتجاشي المكان حتى ولو أقمت في لايبزيغ لمدة عشرة أيام، وقد كانت تستغرق ساعتين بالقطار وصولاً للمكان. في بلاوين عاشت طفلة ترتعد حتى روحها، تحت أبوين يكرهان بعضهما البعض، وكان هناك وداع فاتر دون أي أحضان، والطريق الذي بكيت فيه وحدي. هذا كل ما فكّرت فيه طوال ذلك الوقت. هنالك أشخاص قد نفرق عنهم، ولكن حين يقابلهم من جديد فسندلقاهم بابتسامة، فبعض العلاقات قد تجعلك نبسم لمجرد ذكرها في قلوبنا، بغض النظر كيف انتهت. ولكن هناك فراقاً لا تريد أن تتذكره، حتى بعد مرور وقت طويل؛ لأنه لم يترك سوى قلب مكلوم.

رُرتُ ببلاوين في العام الذي تلا وفاة أمي. كان ذلك بعد مرور أسبوع من ذكرها السنوية الأولى، في بداية فصل الربيع حين كانت الشمس دافئة والنسيم بارداً. كانت المدينة أصغر ممّا أحفظ به في ذاكرتي، وقد انحدرت أكثر ممّا كانت عليه قبل عشرين سنة، حتى بدت وكأنها قد تصحّرت بشكل غريب. تحوّلت مدرستي القديمة لمصنع صغير، وفي الفناء الخلفي كان هناك رجال من كبار السن يدخنون ويتابعونني بشرود. أما عن الشقة التي كنا نسكنها فهي الشيء الوحيد الذي لم يتغيّر. المبنى لا زال منتصباً في مكانه مواجهاً

للحديقة. نظرت لشرفة الطابق الثالث التي كنت أتمسّر عندها وأنا طفلة. وأذكر كيف كنت أتلصص على توي من خلف النافذة وأنابعه وهو يركض في الحديقة، وحينها ارتسمت على شفتي ابتسامة ناعمة.

كتاب الفصص المصورة الذي يحمل اسم سنوبي لا يزال في خزانه الكتب بغرفتي. كان كتاب قصص مصوّرة باللونين الأبيض والأسود، أمّا شخصية وود ستوك فكانت ملوّنةً باللون الأصفر. وود ستوك طائر الكناري الذي لا يجيد الطيران. كلما فتحت الكتاب ورأيت طائر الكناري الأصفر، شعرت بدفء قلب توي قريباً مني وهو الذي كن يقلّب الصفحات ويضيف الألوان للطائر.

العثور على منزل توي لم يكن بالأمر الصعب. جلست على المقعد المقابل لمنزله وأخذت أحدّق في نافذته. كانت تلك نافذة المطبخ بالفعل. حاولت تذكّر منظر الحديقة من تلك النافذة بشكل ضبابي، والسيد هوو واقفاً يعدّ طعام العشاء. رائحة الأرز المسلوق ومذاق توابل الحنّان التي كانت تقع تحت أسناني وأنا أتناول يحة اللحم، والمذاق الحو لعصيدة الأرز الذي كانت تعده السيدة إنج وبن، والأوقات التي قضيتها مع توي ونحن مستندان على الجدار بفرأ فصص سنوبي المصورة. تلك الأوقات كانت تسري خلال فنوات قلبي الضيقة بحلاوة امتزجت بالمرارة. حين شاركت أسرتي الغباء مع أسرة توي، وقد أصرتُ الأسرتان على ألا يقضي التوتّر الأخير على علاقتهما الصلبة ببعضهما البعض، وألاً يتسبّب ذلك التوتّر في إحداث ندبة أو الإمعان في جرح الطرف الآخر.

حينما توفّيت أُمي، لم يبكِها الكثيرون. "كانت في طفولتها حساسة على الدوام وكثيية". "لم تتمتع بذكاء مميز". هكذا تذكّروها، حتى أخوتها الكبار والصغار. ولكنني تذكّرتُ كيف وصفتها السيدة إنج

وير كشخص طيب القلب. كانت السيدة إنج وين الوحيدة التي استوعبت الصفة التي حكم بها الجميع عليها بشكل سلبي، وهي الحساسية والكآبة، وحدها أدركت أن الأمر نابع من قدرة مميزة على التعاطف مع الآخرين. وخلال نظرتها الحانية، بدت أُمي كشخص يسئح أن يحصل على الحب.

هل رأت السيدة إنج وين الجانب الجميل فقط من أُمي بينما لم تنبه لنقاط ضعفها؟ كانت تدرك جميع نواقصها البشرية، ورغم ذلك فقد تقبَّلتها في حياتها كما هي. أُجزم بأن أُمي قد صانت محبة السيدة إنج وين بكل حرص بعد أن أهدتها إياها. ولكم كان ألمها شديداً حين تبعثرت من بين يديها دون أن ترتكب أي ذنب من جانبها. على حد علمي، فقد فشلت أُمي في تكوين صداقات حميمة من بعد السيدة إنج وين، وعلى الأغلب فقد افتقدتها كثيراً. قالت أُمي إنها لا تتذكر تلك الأيام جيداً، ولكن على الأرجح أنها اشتاقت لها طويلاً، تلك السيدة التي أحبَّتها لذاتها.

على الأقل وجب عليّ أن أكون الصديق الذي ينصت لصديقه. كان عليّ السماح لها بالتواجد في حياتي بشكل أكبر. ليس لأنها أُمي، ولكن لأنها كانت وحيدة لزمان طويل. الآن فقط أدركت حقيقة أن السعادة ليست بالضرورة النتيجة الحتمية للتصميم وبذل الجهد. وحقيقة أن أُمي لم تكن سعيدة معنا، ولم يكن السبب في ذلك عدم تحملها للمسؤولية أو إهمالها لذاتها.

حينما تواصلت مع السيدة إنج وين أخذت تكرر أنها لا تصدق أنها أنا. "لا زلت أقطن مع زوجي هنا. توي يعمل في هامبورج". تحاشيتُ اطلاعها على كل الأخبار؛ مراعاةً لفرحتها بالتواصل معي، ولكي لم أستطع أن أكذب حين سألتني "كيف حال أُمكِ؟".

وقفت على الجانب الآخر من الشارع وأمام المدخل كانت هناك سبده قصيرة ترتدي قبعة حمراء. نهضت من مقعدي ومشيت لعبور الشارع ثم عبرت حين تبدلت الإشارة للون الأخضر رأيت في عين السيدة إبح وين صدمة عجزت عن إخفائها؛ لأنني كنت أشبه أُمي تمامًا، لدرجة بظن الراي أنني هي نفسها وهي بعمر الثالثة والثلاثين. ورأيت في عين السيدة إنج وين أُمي تقف معي هنا في هذا المكان. السيدة إبح وين، تنادي بسعادة وهي تعبر الشارع. شين تشاو، شين تشاو. رددناها مرارًا وتكرارًا، وكأننا نسينا جميع الكلمات الأخرى.

أختي، أختي سوون إيه

جاءت حالتني لجناح غرفة أمي بالمشفى قُرب وقت الفجر، كان الوقت لا يزال مُظلمًا، ولكن أمي تمكّنت على الفور من نبئ وجهها رغم الظلام. لا زالت محتفظة بشكلها وهي ابنة السادسة عشرة؛ شعر طوبل مربوط من الخلف على هيئة ذيل الحصان، ونظيره ذات إطار أسود، وفتان صيفي مُرقط كانت قد حاكته بنفسها وصعت خالتي يدها على ركبة أمي اليمنى، التي أجرت عليها العملية لتكيب مفصل صناعي، وقد ارتسم الهدوء على وجهها. وحين نظرت لها أمي، ابتسمت وبدأت تتحدث.

"أرى أن ركبتك قد جلبت عليك المتاعب أنت الأخرى ي هيه أوك. هل تصدّقين ذلك؟ حتى أنت تتقدّمين في العمر يا عزيزتي."

"كيف وجدتي هنا يا أختاه؟"

"اشتقتُ إليك، فطرتُ لرؤيتك."

"كيف تطيرين وليس لك أجنحة؟".

"بلى، لدي... انظري لهذا".

بسّطت خالتي أجنحتها التي كانت على شكل مروحة هلالية الشكل كانت مثبتة في ظهرها، أخذت ترفرف بها في شكل دائري حول سقف الغرفة ذات الثماني أسرة. في البداية، تابعت أمي الماطر دندهاش، ثم ما لبثت أن تحوّلت دهشتها إلى قهقهة كالأطفال. ملّمت خالتي جاحيها بعد أن أنهت عرضها ثم نزلت إلى الأرض.

"سعيدة برؤيتك يا هيه أوك".

"وأنا كذلك".

"ألم يكن من الأفضل لو أبقينا الاتصال قائماً بيننا؟" استندت خالتي على سرير المشفى وحدّقت بوداعة في وجه أمي.

"لا زلت أشعر بأننا ما زلنا أطفالاً صغاراً، ولكنها جلودنا هي من يشير إلى أننا أصبحنا جدّات الآن".

أومأت أمي برأسها وهي تمسح ظهر كفّ خالتي الناعم.

خالتي سوون إيه هي الابنة الكبرى لابنة خالة جدتي. كانت جدتي تبحث عن فتاة صغيرة تساعد في محل تصليح الملابس فأرسلت لخالتي سوون إيه، التي كانت تبحث هي الأخرى عن فرصة عمل في سيؤول في الوقت ذاته. احتجبت أمي خلف ظهر جدتي وأحدثت تسترق النظر للفتاة الواقفة عند ساقية الماء.

"أصبح لديك أخت كبرى الآن".

أحبّت أمي الخالة سوون إيه منذ اللحظة الأولى التي رأتها فيها وهي نقف صامتة في حديقة المنزل. وأحبّت معها وقع كلمة "أختي"، وم حملته الكلمة من حميمية ومودّة مُحبّة. لماذا بدت الفتيات اللاتي يكبرنّها بعدة أعوام فقط، أكبر سنّاً منها وهي في عمر الطفولة؟

لم تحررُ أُمِّي على المبادرة في الحديث مع خالتي سوور إِيه بسبب ضربات قلبها المتسارعة. أما خالتي فكان كلامها قليلًا، وكانت وجبتها تحمرُّ خجلًا. كانت في السادسة عشرة من عمرها، إلا أنها كانت أقصر من أُمِّي، التي بلغت حينها الحادية عشرة؛ لذا، فكان عليها أن تُقَصِّرَ ملابسها أو أن تحيكها بنفسها. لو كنت تبحث في الحي عن أقصر وأحف فتاة في السادسة عشرة من عمرها، لكانت خالتي هي المطلوبة.

كلما طرأ شيء مثير للاهتمام في المدرسة، كانت أمي تبحث أولاً عن خالتي سوون إليه لتخبرها بالأمر. كانت تهرع لمحل تصليح الملابس بمجرد انتهاء يومها الدراسي، فتلقي بحقيبتها، ثم تصبّ جعبتها المليئة بالأحجار أمام خالتي، التي كانت تستمع لحكايات أمي وهي تخطّط الأقمشة بفلم الطباشير وتؤلج الخيط في فم الإبرة وتحرك ماكينة الحدكة

كان المحلّ يبعد خمس دقائق سيراً على الأقدام من المنزل، إلا أن أمي وخالتي كانتا تتخذان الطريق الأطول عن عمد. وفي أحبان أحري كانت حالتي تقف وتحقق في فتايات المرحلة الثانوية أثناء عودتهن لمنارلهن، أو ربما تقف متسمة في مكانها أمام محل الأدوات المكتبية، أو تقف لترت على ظهر كلب مربوط في عمود كائسة الهاتف العمومي. وفي تلك الأحيان كانت أمي تتابع أشعة الشمس المنسدلة بضائهم على رأس خالتي. كان الزمن يمرُّ في تلك الأوقات بسلاسة، وكانت قلوبهما مملوَّها تفاؤل عجيب بأن كل شيء سيكون بحير.

سمعت أمي من جدي أن خالتي قد افترقت عن أهلها أثناء الحرب، وأن جدتها، التي سكنت معها طوال تلك المدة، قد توفيت. لم نتحدث خالتي قط عن خسارتها لأهلها وموقف الفراق، ولكن في الأيام التي اشتدَّ عليها ضغط العمل أو حين شعرت باضطراب عقلها،

كانت كثيراً ما تذكر كلبها الذي كانت تربيّه في مسقط رأسها. كانت قد أطلّفت عليه اسم "دبدوب"، الذي بدأ يعيش معها من بعد الحرب. أنصت أمي باهتمام لقصتها، وكانت تلك اللحظات من بين المرات المعدودة على الأصابع التي تحدّثت فيها خالتي عن نفسها "دبدوب كان مريضاً في أيامه الأخيرة، حتى إنه كان يأكل بالكاد ورغم ذلك فحينما كنت أناديه 'يا دبدوب' كان يتكبّد العناء في حمل رأسه وتحريك ذيله. وحين كنت أقول له 'خُذْ يا دبدوب تناوّل هذا' كان يدسُّ أنفه وسط الطعام ويتظاهر بأنه يأكل كما لو لم يكن مريضاً. حينها كنت أبكي أمامه. فهمت حينها أنها لم تكن مجرد وعكة صحية عاربه، بل كان يحتضر. قضيت ليلتي، وفي الصباح ذهبت لمنزله أتفقّده لأجده وقد اختفى. بعد اختفائه بكيته لمدة شهر كامر أثناء ذهابي للمدرسة. بكيته ثم بكيت. وظننتُ حينها أنني أخطأت حين بكيت أمامه فدفعته لهجر منزله. ملتُ نفسي ظنّاً مني أنه ترك منزله ليموب بعيداً عني حتى لا أتألّم لألمه. ما كان ينبغي أن أسيّر له نلك لدموع مهما كنت حزينة. ما كان عليّ أن أبكي مطلقاً .

كانت أمي تستمع لقصة دبدوب وتتخيّل نفسها مكانه وحالتي تتحدّث عنه. "خُذْ يا دبدوب تناوّل هذا". كانت أمي تتابع حالتي وهي نفصّر الأمر وتتحبّب. ثم صارت خالتي أغلى إنسان على قلب أمي حين أنصرتها من خلال قلب دبدوب. حتى وبعد مرور وقت منذ أن فضّت خالتي الأمر، كانت أمي أحياناً ما ترى خالتي بعين دبدوب الذي رحل. كانت تدرك كيف خسرت خالتي كل شيء رعمًا عنها، ورعم ذلك كان لديها المزيد لتخسره.

أمي أحبّت خالتي.

زوج خالتي كان الأخ الأكبر لصديقة أمي ناني، أعجّب بها حينما رآها تمرُّ من أمامه، فكتب لها خطاباتٍ، وأوصى أخته أن تناولها إيّها.

أبقت خالتي على خطاباتهِ في جيبها، وكانت تقرأها كما دخلت الحمام أو مشيت للبيت مع أمي.

في تلك الأوقات لم تكن خالتي الفتاة التي تدير ماكينة الحياكة وتتعامر مع نساء الحيّ، ولا الفتاة التي وقفت بجانب ساقية الماء وبضرب الملابس المتسخة بعض الغسيل لتنظيفها. حينما كانت تقرأ رسائله كان وجهها يتحوّل لوجه فتاة عشرينية مثلهفة لحب عادي. وعلى الرغم من محاولات خالتي لإبقاء تلك المشاعر الفياضة بداخلها فحسب، مع الحفاظ على هدوء ملامحها، إلا أن أمي لاحظت على وجهها وحدة غريبة. وقد ارتسمت الحيرة والخوف على وجهها، وقد امتزج معهما شعور السعادة ورغبة مُلحّة للحصول على شيء ما يصحبه الشعور بالتردد.

ارتبطت حالتي بحبيبها لفصلين ثم تزوّجا.

كانت أمي غالبًا ما تلتقي بخالتي في محل معكرونة الكال كوك-سو المفضل لمقرّ عملها. لم تُعدّ خالتي تهتمس بالكلام كما في السابق، وأصحت ترفع صوتها حينما تريد أن تطلب طعامها، وكانت عيناها تلمعان حين تتحدث. كانت ترتدي قميصًا بدّا جديدًا، ومن تحته ثُورة وصلت لأعلى ركبتهَا، وعلى شفّتيها طَلّت أحمر السفاة بلون زهري داكن أضاف بريقًا لوجهها.

كانت تنتقي لحم المحار من طبقها، وتضعه بأكلمه في طبق أمي، بينما تأكل المعكرونة فقط.

"نوقّفي عن منح غيرك أشياءك في كل مرة؛ وإلا نَمَت لديك عادة العطاء بغير حساب".

وصعت أمي ملعقتها في طبقها واستخرجت لحم المحار الذي أعطته لها خالتي منذ قليل وردّته في طبق خالتي.

"هيه أوك".

"نعم؟"

"أريد حقًا أن أعيش في سعادة. أريد لحياقي أن تستمر على هذا النحو، تمامًا مثل حياقي الحالية. قد تظنين أن ذلك مر باب الطمع، ولكنني أريد أن أحاول وأن أعيش حياة جيدة".

قالت خالتي إنها ستدخل الامتحان المكافئ للثانوية العامة قريبًا، كما أنها كانت تستعد للحمل كذلك، وحينما يصل طفلها ستمنحه من المحبة والحنان ما لم تحصل عليه من أبويها. شعرت أُمي بالغيرة من طفل لم يولد بعد.

تردّدت خالتي لبرهة ثم قالت: "لم يحبني أحد قط كما أحببتني يا هيه أوك؛ كنت في صفّي مهما حدث، وقبّلتني بلا أي شروط، وتفهممتني ربما شعرت بعراية ما سأقوله لك، ولكنك كنت أُمًا بالنسبة لي".

معامسة أسرة أُمي تجاه خالتي كانت شديدة البرود على الدوام، ولكنها أبدًا لم تترك خيبتها فيهم تظهر على وجهها؛ ليس من أجل العائلة؛ ولكن حفظًا لكرامتها، كانت تظهر عدم انزعاجها أو تأثرها مهما بدا منهم.

"خذي يا أختاه".

ناولت أُمي خالتي محفظة مصنوعة من جلد البقر، كانت تلك المرة الأولى في حياتها التي تشتري فيها شيئًا من المركز التجاري.

"هدية زواجك. أعتذر لك عن تأخري في إحضار هديتك، كما أعتذر أنني لم أشتري لك أي شيء بعد حصولي على مُرتبي الأول".

"لديّ محفظة بالفعل. لماذا تهديني شيئًا غاليًا كهذا؟".

تذكّرت أُمي محفظة خالتي المثقوبة، تلك التي أصلحتها مرارًا وتكرارًا حتى أصبحت مهترئة بالية.

"عليك استخدامهما. لا تكوني غبية فتهديهما لزوجك. هذه هديتك
أنت".

"هل يمكنني أن أستعمل مثل هذه المحفظة؟".

"بالطبع. أعِدْكِ أن أشتري لك أفضل منها في المرة القادمة حين
أنفاسي أجراً أكبر".

صمّت خالتي المحفظة بكل رفق بين كفيها وأخذت تمسح عليها
كأنها تمسح على ظهر حيوان صغير. كانت أُمي كثيراً ما تدخل في
ذكر بانها وتري خالتي في تلك اللحظة، وهي تنظر للفتاة الصغيرة
التي تجلس بجانبها وبحوزتها محفظة جلدية، فسألتها أُمي لِمَ هي
سعيدة ومندهشة من شيء تافه كهذا، وأخبرتها أنها تستحق أفضل
من ذلك.

حينما وصلت أُمي لمنزل خالتي كانت الأخيرة جالسة على
السُّمّ المؤدي للمطبخ، وعلى ساقها كدمات زرقاء بحجم كفيها،
وعلى دراعها كانت هناك آثار دماء تحت الجلد حبب كُشِطَت
ذراعاها، ووجدت أرضية المنزل قد اتَّسَخَتْ بباقي مخلل الكيمشي
وعظام سمك المكاريل وقشر البيض، وأعقاب السجائر، وحنّات الفول
المبقوعة، ورؤوس براعم الفول، وجذور الكراث، وقشر البصل. دخل
بصيص من نور شمس الغروب من خلال فرجة في شرفة المطبخ
الصغيرة، فانعكست على أرضية المطبخ، وبَيَّثَتْ بكل وصوح منظر
المكان المتسخ.

تركت أُمي خالتي في المطبخ وتوجَّهت ناحية غرفة النوم، وهناك
وجدت أطقم الملابس الداخلية مُبعثرة، وقد مُزَّقَ الغطاء والحصير
بألة حادة، وتُرَّكَّت فجوة بهما؛ وعلبة كريم الأساس مهشَّمة، وقد
غطَّت بودرة مستحضر التجميل الغرفة بأكملها؛ وعلى الأرض عطَّت
آثار حذاء الأرضيَّة بأكملها.

صَبَّ أُمِّي بعض الماء في صحن الأرز لتسقي خالتي وتبقيها رطبه، ثم أمسكت بالمشقة وبدأت في التنظيف؛ بداية من غرفة النوم. بعد أن أنهت مسح الغرفة أحضرت خالتي للمكان وساعدها لتستلقي فوق الحصيرة الممزقة. كانت خالتي ترتجف. كان بإمكان أُمِّي أن نقول لها بأن الأمر ليس خطيرًا، أو أنه لا داعي للقلق؛ ولكنها لم تستطع أن تفتح فمها بكلمة. عادت لمنزلها لإحضار بعض قطع الملابس وبعض مستحضراتها، ثم رجعت لمنزل خالتي لتضع أغراضها. وحين عرّضت عليها أن تبقى معها على الأقل لحين عودة زوجها رَفَضَتْ خالتي وأعادت أغراض أُمِّي في حقيبتها وألقتها خارج المنزل ثم أغلقت الباب الخارجي.

كانت أُمِّي تذهب لتفقّد خالتي كل يوم بعد انتهاء دوام عملها كانت تطرق الباب وتناديها. ثم تدقُّ على شرفة غرفة النوم طالبةً منها السماح لها بالدخول. أرادت أن تثبت لخالتي، ولو بشكر بسيط، أنها ليست وحدها. لم يكن لخالتي أي أصدقاء مقربين بخلاف زوجها. وقد أخبر أبوا أُمِّي خالتي بالأمر واعتبرهم أسرة واحدة، وأن ترحل ولا تنظر للخلف أبدًا. حقيقة أن خالتي لم يكن لها أي شخص تركز إليه أَلَمَ قلبها بشدة. جلست أُمِّي أمام منزل خالتي ولا تدري كم من الوقت بقبت في مكانها. بينما وقفت جدتي في حديقة المنزل ترافبها "سوون إيه رحلت اليوم. مالك المنزل سلّمني المفاتيح، وطلب مني أن أنظّف المكان".

فتحت جدتي الباب الأمامي؛ الخزانة، التلفاز، المُبرّد، وباقي قطع الأثاث الكبيرة كانت غير موجودة، بينما كانت الملاءات الفطنية وملابس خالتي مطوية بعناية. لم يكن هناك أي أثر لملابس زوجها، تمكّنت خالتي بشكل ما من أخذها جميعًا. جمّعت جدتي ملابس خالتي المتروكة وباقي الأشياء في المنزل في حقائب قماشية.

"سوون إيه لا وجود لها بعد الآن. لا علاقة لها بنا، ولا علاقة لنا بها منذ هذه اللحظة، هل فهمتني؟".

وثقت جدتي الحقيبة القماشية برباط قوي سيععب على خالتي حلّه. عجرت أُمي عن حلّ العقدة، ولكنها استسلمت في نهاية الأمر وحسّت على الأرض وهي تحتضن الحقيبة بقوةٍ لبعض الوقت كأنها تحتضن حالتي. كانت تفوح منها رائحة كرات النفتالين.

"بإمكاننا مساعدة سوون إيه مادّيًا، وهذا يكفي. لماذا لا تدرकिन أن ما تقومين به لا يفيد أيًا منّا على الإطلاق؟ لا تتدخلِي أرجوك. لا تفعلِي أي شيء".

"المحاكمة لم تبدأ بعد. لماذا تتعجلين في معاملة صهرنا كمجرم؟"

"لا نحتاج لمحاكمة لمعرفة كيف ستنتهي هذه القضية الكلام منتشر بالفعل بين أرجاء المدينة كلها. تقول بأن زوج سوون إيه كان يتحرك بناء على أوامر الشمال" قالت جدتي ذلك الكلام بصوت خافت. "لا دليل على ذلك".

"إر كنت لا تعلمين فالأمر قد نُشر في الجرائد بالفعر فالوا بأن أولئك الرعاع يقرؤون كتب الاشتراكية ويستمعون لمحطات الراديو التي نُبِت من الشمال".

"حتى أب يا أُمي تردددين نفس الكلام؟".

"لو صرحت الحكومة بذلك فلا بُد من أنه صحيح، وحيها عليك أن نعلقي عينيك وتسدي أذنيك وتثقي بهم فحسب. ولا نذهبي في كل مكار وتطلقني عليها أختك وزوج أختك؛ إنها ليست شقيقتك الحقيقية. الأقارب من الدرجة الثالثة بالكاد يُعتبرون أقارب على أي حال. إيّاك أن تثرري في كل مكان".

أحدث حداثتي الحقيقة من يد أمي وألقت بها بعيداً في أقرب جدول نهري.

"منى اعبرنيها ضمن أفراد أسرتنا؟ استغللتها فقط نحت مسمى الأسرة؛ أليس كذلك؟".

"هذا صحيح. أردت أن أعيش أنا الأخرى. لم أفكر بها يوماً على أنها أحد أفراد أسرتنا. وعليك أنت الأخرى فعل الشيء نفسه بداية من هذه اللحظة؛ وبهذه الطريقة وحدها سننقذ أرواحاً".

كانت جدتي امرأة بخيلة، بلا قلب، وهذا الحال وحده هو ما مكّنها من تحمّل حياتها الصعبة. لم تتمكن أمي من فهم شخص مثلها، كما أنها احتقرت هذه الطباع، ولكن مرور السنين بدأت تفهم أسباب قسوتها إلى حدّ ما. إذا لم تتمكن من مشاطرة أحدهم ألمه، وإذا لم تملك الشجاعة لتقاسم أحدهم جزءاً من حياته، فمن الصواب أن تحترق القسوة على أنصاف المواساة. تلك كانت طريقة جدتي.

أصدر المدّعي العام أحكاماً بالإعدام بحق ثمانية من المتهمين، وسجن مدى الحياة بحق سبعة آخرين، والسجن عشرين عاماً بحق عشرين آخرين، وخمسة عشر عاماً بحق خمسة عشر منهم. مُت المحاكمة بعد أسبوع، حيث قِيل القاضي جميع أحكام المدّعي العام، واستدّفت جميع المتهمين. بناءً على وقائع الاتهام، لم يكن أولئك المتهمون بخرق قانون الطوارئ الرئاسي، وقانون الأمن القومي والقانون المناهض للشيوعية فحسب، والأكثر من ذلك أنهم اسنعدوا وتأمروا وحرّضوا على التمرّد. والخبر الوحيد المطمئن في الأمر أن زوج أختي قد أولت من عقوبة الإعدام والسجن مدى الحياة.

كنت أمي خطاباً بدأنه بعبارة "سيدي الرئيس"، وأرسلته للبيت لأزرق (مقر الرئاسة)؛ ظنّاً منها أنه لو علم الرئيس برأي الشعب؛

لأدرك سوء التفاهم في الأمر، ولصَحَّح الظلم الواقع على السُّجَّان. هذا الأمر إن كنَّ بدلًا على شيء فهو بدلٌ كم كانت أمي ساذجة وجاهلة وهي في عمر العشرين. كانت فتاةً صغيرة لا تتخيَّل ولا حتى في أعرب أحلامها كيف للإنسانية أن تقود أبرياء لهلاكهم بعد أن نتهمهم ظلماً، وكر ذلك مدفوع بالسلطة.

سَمَّ تنفيذ الحُكم بعدها بشهرين، ولم يتم التراجع أو العدول عن أيٍّ من الأحكام الصادرة. بقي المحكوم عليهم بأحكام الإعدام أو السجن المؤبد في مركز الاحتجاز بسيوول، أما الباقون فقد تمَّ ترحيلهم لسجن آن يانع. حضرت أمي اجتماعاً للصلاة من أجل المتهمين. وكان من بين الحضور أهلي المتهمين، والقساوسة الكاثوليك، والوزراء البروتستانت، وكثير من الأجانب الذين تجمَّعوا في المبنى المسيحي الكوري. كنت صلواتهم للمطالبة بإتاحة محاكمة علنيَّة شعبية بدلاً من المحاكمات العسكرية، نم صلُّوا من أجل المتهمين المحتجزين في الرنازين الباردة ممَّن مُنعت عنهم الزيارات، حتى لعائلاتهم.

وبينما كنت أمي تتناول المعكرونة مع من تجمَّعوا للصلاة سمعت فصصاً عديدة؛ قصة أطفال من أبناء الحيِّ ممَّن لقوا حبلاً حول رقبة طفلة في الرابعة من عمرها وسحلوها مثل الكلاب وهم يطلقون عليها اسم ابنة الشيوعي ثم تظاهروا بإطلاق النار عليها، بينما تجمَّع حولهم البالغون الذين اكتفوا بالمشاهدة فقط، وقصة فتاة أخرى، ابنة أحدهم، كانت قد ذهبت في نزهة فوجدت غملاً في علبة طعامها كان قد دسَّه زملاؤها في الصف؛ وقصة أخرى لأُم في طريق عودتها لمنزلها بعد شراء حاجتها من السوق، وقد تَلَقَّت على رأسها ضربة بحجرة قد ألْقَاهَا أحدهم فشجَّ رأسها. حبل نام... كان الجميع يلتمسون الصمت حين تُذكر تلك الكلمة وكأنَّ الأمر نتيجة اتفاق مسبق بينهم. كانت أمي تتمنَّى لو كان بإمكانها استعادة تلك الرسالة التي أرسلتها للرئيس وتمزيقها إرباً إرباً في لحظتها.

أختي، نا آسفة. كان اعتذار أمي لخالتي بداخل رأسها فقط، خالتي النى لم تعلم حتى مكان تواجدها.

خرجت أمي من المبنى المسيحي الكوري هائمةً على وجهه لا تعلم إلى أين تذهب. وعلى الفور وصلت لشارع ديه هيج نو. كان الناس مجمعين في الساحة في تجمعاتٍ ثنائية وثلاثية، بنضاحكون ويتبادلون الأحاديث بصخب. بدت القصص التي كانت نستمع إليها منذ لحظت كشيء بعيد كالأحلام. تمامًا كوجه زوج أختها المبتسم في هدوء وهو يقول: "هيه أوك، أخت زوجتي"، وحتى وجه أختها الذي كان يشع نورًا حينما كانت معه. أحنّت أمي رأسها.

وزعت أمي كتيبات خاصة بجمعية القساوسة الكاثوليك للعدالة في مقر عملها. وفي كل مرة همت بنفس الفعل تحوّل الحو العام في المكان فجأة ليصبح ثقيلًا، وأحيانًا كانت تسمع ضحكات مكتومة وراء ظهرها.

"أسفة لي، لم لا تدّخرين جهودك في البحث عن زوج لك؟ اقبلي النصيحة من شخصٍ ذي دراية بالأمور. العالم لن يتورّع عن سحقك حتى لو كان رأسك محنيًا يا أنسة لي" كانت تلك كلمات رئيس القسم الذي تعمل به أمي ممّن يفخرون بمشاركتهم في نورة الناسع عشر من إبريل، ثم أضاف برفق، حتى يضيفي بعض المنطق على كلامه: "لر ينعبّر شيء مهما فعلت؛ لذا فلتبقي بعيدة عن هذا الأمر، وتوقّفي عن التصرف كطفلة".

تردّدت أمي على حيّ ميونج دونج كل خميس، حيث شاركت في تجمعات الصلوات الداعية لاستعادة الديمقراطية، كما رافقت أسر المتهمين لتوزيع الكتيبات التي تنادي بمحاكمات علنية. كانت تذهب في بداية الأمر من أجل خالتي وزوجها، ولكن بمرور الوقت أصبحت تذهب وكأن هناك ما يجذبها للمكان لا إراديًا، وفي التجمعات كانت

تحرص على الوقوف في أبعد مكان للاستماع للخطب، كما كانت تتبع جميع المسيرات، حتى إنها وضعت مبلغ إيجار منزلها الذي افترضته من أبونها في تمويل الأنشطة ودعم اجتماعات الصلوات يوم الخميس من خلال توفير سعر تذكرة الحافلة والسير لمعظم الأماكن.

نمّ تنفيذ أحكام الإعدام بعد ثماني عشرة ساعة من إصدار حكم المحكمة العليا.

لم يكن الأهالي على علم بأن أحكام الإعدام قد نُفِّذت بالفعل، حينما كانوا في طريقهم لمناقشة الإجراءات الاحترازية المضادة لتنفيذ عقوبة الإعدام، وحين علموا بالخبر سقطوا على الأرض في أماكنهم. لم تُنَح لهم حتى الفرصة الأخيرة للمس وجوه أزواجهم وأبائهم، أو حتى توديعهم الوداع الأخير، أو حتى أن يخبروهم بالأمر يخافوا ولا يفلقوا، لم يحظوا بتلك المرة الأخيرة لتتلاقى فيها أعينهم، خسروا أحبّاءهم في غمضة عين قامت الدولة بإحراق جثث السجناء الذين نُفِّذت فيهم أحكام الإعدام دون حتى أخذ الموافقة من ذويهم، ثم أرسلوا لهم رُفائهم 'أردت على الأقل أن ألمس جثته' إحدى زوجات السجناء، الذين نُفِّذ فيهم حكم الإعدام، تمكّنت بصعوبة من تجميع تلك الكلمات سوية بعد أن أعيأها الحزن. لم تتمكن أمي من البقاء في العرفة لمدة أطول وخرجت.

العالم يسخر من محبة الإنسان لأخيه الإنسان، من تلك الرغبة اليائسة لتهب حياتك مرة تلو الأخرى لو كان الأمر يعني أنك ستنقذ حياته. يقول العالم: المحبة بين البشر وتلك الأشياء لا وجود لها، ومن الأفضل لكم أيها الضعفاء أن تتوخّوا الحذر، ما المشكلة لو أزهقت أرواح تسعة من التكرات، والقانون هو ما غلبه عليكم، والشيوعيون هم مَنْ نطلق عليهم ذلك، وحينما نأمركم بالركوع فعليكم بالسمع

والطاعة، بإمكاننا قتلكم بسهولة بالصاق التُّهم بكم؛ لذا أخِرسوا
ألسنتكم وافعلوا ما تؤمرون.

قتلهم الدولة.

لم نفهم أُمي أنها لا تعلم شيئًا عن العالم، وأنها لم نعرف أفضل
من ذلك إلا بعد أن نُفِدت أحكام الإعدام. أخذت تبكي بكاءً مكتومًا
وهي في الحافلة في طريقها للعمل وأبقت قمها مُعلَّقًا حول الأمر
برُمته للأبد. أخبرها الجميع بأنها عادت لصوابها أخيرًا، وأضافوا
أنها بهذا أصبحت من البالغين. لم يتورَّع أحدهم في الاطمئنان على
ندوبها الداخلية. حيث لم يكن لها صلةً بالحادثة، وهذا ما كان يظنُّه
الآخرون؛ ولذا لم يُشكَّ أحد في أنها ربما تكون قد تصرَّرت.

اعترفت أُمي بأنها أصبحت شخصًا قليل الكلام من بعد ذلك
اليوم. قالت بأنها شعرت بالخزي من كَم تعليقاتها الساذجة حول
الحادثة ومن مُعتقداتها المثالية حول العالم، وصلابة العالم وذلك
الحائط الفولاذي الذي لن يُخترق، تلك الأوهام أخرستها تمامًا، ولكن
حاجز الصمت هذا لم يخرقه إلا شخص واحد.

"هيه أوك، هل أنت بخير؟".

وففت أُمي متسمرةً في مكانها تحدِّق النظر فيه وهي تحمل
فجأً قهوتها بين يديها. سألتها: "ماذا تقصد؟"، ثم رحلت. ولكن
تلك الكلمات التي انبثقت من وجهه البارد علقت معها لمدة طويلة.
كان ذلك أول حوار شخصي بين أُمي وأبي، بعد مرور عام من انضمامها
للشركة.

توفيت زوجة أبي الأولى وهو في سن الخامسة والعشرين، ولم يتعرف
على أحد من بعدها طيلة خمس سنوات. كان يلزمه ذلك التعبير
الجامد على وجهه على الدوام؛ الأمر الذي جعل أُمي عاجزةً عن
قراءة مشاعره أو أفكاره. وحتى عندما كانت توزع الكتيبات على

زملائها في العمل وتشرح لهم وقائع الحادثة كان ينظر لها برود، تمامًا كعادته سؤاله لها ما إذا كانت بخير جعلها في حيرة مر أمرها، وفي الوقت ذاته انتابها الفضول لمعرفة قيم يفكر.

قال أبي:

"كانت من النوع الذي يتحمل الكثير".

حينما ساءت الحالة الصحية لزوجتي أبي الأولى بعد مجرد نزلة برد تحولت لالتهاب رئوي، أخذت تُخلّل الكيمتشي الذي سيكفهم طيلة فصل الشتاء. ولم تذهب للمشفى سوى بعد أن دفنت جميع قدور الكيمتشي في حديقة المنزل ليتخمر، ولكن حينها كان الألوان قد فات بالفعل.

"تزوّجنا بعد أسبوع واحد، بعد أول لقاء توسط فيه وسطاء الزواج. وقد استغرق الأمر قليلًا لنألف بعضنا البعض، خاصة أننا كنا أغرابًا، ثم صرنا أسرةً بشكل مفاجئ. حتى إنه لم يسبق لنا أن مشينا جنبًا إلى جنب. كانت تقول إنها تربّت على أن المشي مع الرجال أمرٌ مُحزٍ. كانت تنصف ببعض الحماقة، وكان يعجبني ذلك؛ جانبها الساذج، وإلا ما كانت لترضى بالعيش معي. ويا للهول، كانت نعدّ أطننا من الكيمتشي. كنت أكل قطعة واحدة مع كل وجبة، وبالرغم من ذلك كان يتبقى الكثير. عليّ أن أعترف أنه كان لذيذًا للغاية. طنبتُ أنه ربما تشعر أنها خدّعت لأنها لم تحظْ بفرصة لتذوّق صنع يديها الذي تكبّدت من أجله كل ذلك العناء، تلك الحمقاء!".

كان أبي يورد تلك التفاصيل بينما كانت تعابير وجهه صامتة كرجل يناقش جدول أعمال الاجتماع. وحين كانت أُمّي تستمع إليه وهو يحكي دون مبالغة منه أو ادّعاء تذكّرت على الفور خالتي سوون إيه. كان والداي يتناولان العشاء سويًا بعد انتهاء دوام العمل، ثم يتوجهان لملاعب المدرسة المتوسطة الذي يقع خلف مقرّ عملهما.

كأن يجلسان على المدرجات ويتحدثان فيما يشبه الهمس، ولأول مرة نجرأت أُمي على طرح موضوع كانت قد تحاشت الكلام فيه منذ واقعة الإعدامات.

"هذه الدولة قتلت أناسًا أبرياء."

"أعلم ذلك. كان قتلاً قضائياً."

"إذاً لما كان وجهك كذلك فيما سبق؟".

"هيه أوك، في مسقط رأسي... مع اقتراب الحرب من نهايتها، جمّع الجنود نساء وأطفال القرية وأطلقوا عليهم الرصاص جميعاً بحجة أنهم عُملاء للشمال. بعد أن حشدوا الجميع في ملعب المدرسة، أوقفهم الجنود في هيئة صفوف وقتلهم جميعاً. نجت أُمي من الحادثة لأنها اختبأت في مخزن وهي تحتضني، ولكنها حملت معها إحساساً بالذنب رافقها طوال حياتها. قالت لي إننا نجونا لحسن حظنا ومنذ أن كنت طفلاً كنت أفكر دومًا لِمَ قُتل أولئك الأشخاص بينما نجوت. وكيف للإنسان أن يقتل غيره بهذه السهولة وكيف يفلتوا طفلاً حديث الولادة أمام عيني أمه؟ وكيف يمكنهم التكتم على مثل تلك الأمور وكأنها لم تحدث، بل ويستمرّون بشكل طبيعي. يستمرّون لبعثروا على ماذا؟ ما الذي ينتظرهم بالتحديد فبجعلهم ليهثون وراءه، ناسين ما اقترفوه بحقّ بني جلدتهم، ثم يكملوا حياتهم بشكل طبيعي؟ كل ما فعلته كان التفكير. وبما أنني لم أفعل أي شيء على الإطلاق؛ فكنتُ لا أمانع حينما يتّهمني أحدهم بأنني متواطئ مع العالم، ولن أنكر هذا. لا أملك شجاعتك يا آنسة هيه أوك".

لم يُقِم والدائي عرسًا، واكتفيا بتسجيل زواجهما قانونيًا، ثم انتقلا للعيش معًا. رفضت عائلة أُمي زواجها من رجل يكبرها بكثير ولا يملك الثروة ولا المؤهلات التي تسمح لهم بالتباهي بظروفه أمام الناس. والأدهى من ذلك أنها ستكون زوجته الثانية بعد وفاة الأولى.

بزواجها من أي أصبحت أمي مصدر عارٍ لأسرتها؛ فقرروا مقاطعتها.
وفي تلك الأثناء عادت خالتي سوون إليه للتواصل مع أمي.

"أرجو ألا أكون قد فاجأتك باتصالي. اتّصلتُ بمكتبك وهم من
أخروني برقم هاتفك المنزلي. مبارك عليك زواجك".

كان هناك صوت تَكَّة على الجانب الآخر من المكالمة نشي بابلع
عليه الهاتف للعملة المعدنية لاستكمال المكالمة.

"رُزقت بطفلة في يناير الماضي".

"حقًا؟".

"تعالى لزيارتنا في آن يانج وقتًا ما".

بالرغم من أن أمي سمعت بأن خالتي قد رُزقت بطفلتها، إلا
أنها لم تتمكن من حمل نفسها على تهنئتها. حقيقة أن خالتي قد
أنجبت طفلتها دون وجود مَنْ يساعدها قد أدهشها ودفعها للصمت.
وأدركت بعد أن أنهت المكالمة أن خالتي كانت تتوقع مه أن نُهنئها
بولادة طفلتها. لا بُدَّ أن هذا هو السبب الوحيد الذي دفعها للاتصال،
وإلا فَلِمَ تتواصل معها من جديد؟

التفت أمي بخالتي عدة مرات أمام محطة آن يانج للحافلات التي
تربط المحافطات الداخلية. وفي كل مرة التقيا فيها لم تسنطع خالتي
النظر مليًا في وجه أمي. كانت تسترق بعض النظرات الطويلة، نعاود
من بعدها الشroud إذا ما تلاقى أعينهما. وحينما كانت تتحدّث
كانت تثبّت نظرها تجاه أظافرهما، أو تجاه أصابع قدميها البارزتين
من حذاءها المفتوح، أو تجاه أعقاب السجائر الملقاة على الرصيف، أو
تجاه غطاء طفلتها. كان صوتها منخفضًا حتى أكثر ممّا كانت عليه في
السانق، فكان على أمي أن تعيد عليها السؤال أكثر من مرة. كما كان
كعباها مغطيّين بشقوق بيضاء وبثور دموية.

كانت حالي فخورة بطفلتها. التي كانت تنام في هدوء بالنظام في الليل. وستطيع الوقوف لدقائق معدودة، ولم تكن كثيرة البكاء، وكانت تعرف كيف تصير ريثما تعمل أمها. حينما كانت خالي تحدث بشأن تلك الأمور كان صوتها يعلو بثقة تستقيم معها كنفاها المحدثان. كانت تضع كل آمالها على طفلتها. لم تتمن لها أن نسا بطريقة معننة، أو أن تصبح شيئاً بعينه، مجرد حقيقة أن نبقي الطفلة على قيد الحياة بجانب أمها أعطى لخالي الطاقة لمواصلة الحياة. اعتبرت أمي تلك الطفلة المعلقة على ظهر خالي، والتي تتنفس ببطء، بمثابة قلب خالي الذي ينبض خارج جسدها.

لم تذكر خالي ما حدث في العام الماضي، وأمي لم تستفسر كذلك. وعلى أي حال طلبت خالي من أمي عدم زيارة زوجها في السجن. وأوصحت لها أن إرسال كتب له سيكون كافياً، وأنه من الصعب عليه رؤية وحوه معارفه القديمة. "أصيب قليلاً وهو في السجن" كان ذلك كل ما ذكرته خالي.

سمعت أمي خلال تجمعات صلوات يوم الخميس الأسبوعية كيف تم سحل الناس لجبل نام وتعذيبهم. سمعت بمن خُرفت طسه أذنه، ومن هُشمت ضلوعهم وسيقانهم. لم يكن الأمر بسبب تعرضهم لحادث سيارة أو لأنهم هُؤوا من فوق جُرف؛ ولكن لأن إنساناً آخر فعل بهم ذلك. لم تستطع أمي النظر في وجه خالي حينما ذكرت لها إصابة زوجها بالعرج في ساقه في مفر محبسه.

لم تتحدث أمي ولا خالي عن قتلوا. قالت خالي إنها قد حضرت المحاكمة الأخيرة، ولكنها لم تُصف على كلامها أي شيء آخر. كانت تريد تحويل دفة الحديث، أن تُغيّر الموضوع، ولكن يبدو أن اصطدامها بالفكرة جعلها عاجزة عن تحويل الحوار لشيء آخر. كنت أمي تتحدث عن نفسها في تلك الأحيان بشيء من الغربة. كانت

نجمع كل الأمور المُزرية في زواجها وكيف أنها أصبحت منقطعة عن والديها؛ حتى نوحى بكلامها أنها تمرُّ بفترة صعبة هي الأخرى. كانت ترص لها تلك الأشياء حينما كانت في حقيقة الأمر في غاية السعادة؛ ظناً منها أنها لو أيدت ولو جزءاً صغيراً من سعادتها لتسببت لحالي في غصّة في قلبها من المقارنة. ولكنها أدركت فيما بعد أن مثل هذا التصرف كان بمثابة إهانة لمن يتجرّع الألم.

في بداية الأمر كانت أمي تذهب لزيارة خالتي مرتين شهرياً، ثم تقلصت تلك الزيارات لمرة واحدة شهرياً، ثم أصبحت مرة واحدة كل شهرين، ثم مرة واحدة مع كل فصل. وحتى مكالماتهما العرضيّة كانت مجرد محادثات سطحية؛ لأنهما ببساطة لم يكن لديهما شيء آخر يتحدثون عنه. لم تُعدّ خالتي صريحة مع أمي، وكذلك كانت أمي كانت تحاول جاهدة ألا تقترب من المواضيع التي لم تُصلها الندوب بقلب خالتي، كمن يمشي على طبقة جليد رقيقة، وكذلك الحال بالنسبة لخالتي، التي حاولت ألا تستدعي مواضيع مؤلمة ود تدفع أمي لإظهار شفقتها عليها على أقل تقدير. لم تكن أمي تعلم على وجه الحديد كيف تُدبّر خالتي أمورها المالية ومصدر دخلها أن بانج. حالهما الذي استرعا مراعاة إحداهما الأخرى قادهما بعيداً عن بعضهما البعض، حتى ذلك الرابط الوثيق الذي تكوّن في الفترة التي عاشاها سوياً لم يفلح في الإبقاء على علاقتهم. الأكثر من ذلك أن علاقتهمما نبغدت أكثر حينما حملت أمي ورزقت بطفلتها. كانت أمي مترددة من مشاركة خالتي تفاصيل حملها، وتغيّرات جسدها بفعل الحمل، واستعدادها للولادة؛ خشية أن تُذكَر خالتي بأبامها المظلمة. كانت تفكر في الاتصال بخالتي، ولكن كلما تأخّرت في التنفيذ كلما صُعّب عليها الاتصال فعلياً. "أختي العزيزة..." كانت تبدأ خطاباتها بتلك الكلمات، ثم تنفد كلماتها ولا تجد ما تقوله فتستسلم وتعدل عن كتابه الحطاب.

بعد أن بدأت حياة أُمِّي تستقرُّ أصبحت خالتي تشكُّل عبئًا عليها لم نعد أُمِّي تشعر بالراحة معها؛ وجهها الشاحب الخالي من مساحيق النحميل، أصبح قدميها البارزتين من حداثها المكشوف الرخيص، عدم تفتتها بنفسها البادية في مظهرها وصوتها، تفكيرها المُركَّز فقط على طفلها، آثار دموعها الجافة على زجاج نظارتها، ورغبتها المُبلَّح في كل مرة لدفع حساب الطعام رغم حاجتها الماسَّة للمال، تَظَاهُرها بعدم حاجتها في تنفي المساعدة من أي أحد، عَجْزُها عن الشكوى بصوت عالٍ من الظلم الذي يعاني منه زوجها... أُمِّي، التي كانت تطن أن تصرفات خالتي تلك كفيلاً بأن تثبت الكلام الذي يتداوله الناس على زوجها بأنه مُتَّهَم. وعلى الجانب الآخر كانت خالتي تحاول أن تَلْقَى وجه أُمِّي البارد بدفء وحرارة، وأن تخبرها بشكل غير مباشر عن حاجتها الشديدة لها. وجه خالتي المتعرق خلال زيارتها النادرة لسيؤول، ونظراتها الحزينة وهي تهدد طفل أُمِّي. تلك العينان. استعادتُها الغيبة لذكرى كلبها الميت.

'هيه أوك، هل تذكرين كلبي دبذوب الذي حدَّثك عنه سابقاً؟ هل أخبرك بأمْرِ ما؟ لا زلتُ أذكره!'

لم ترغب أُمِّي في الاستماع للمزيد من حكايات خالتي.

لم تبادر أُمِّي في التواصل معها، وكانت، تجيئها ببرودٍ إذا ما انصلت هي. توقفت خالتي عن الاتصال بأُمِّي منذ فترة. حقيقة أنها بدأت تشعر بأنها أصبحت تُشكُّل عبئًا على أُمِّي أصبح أمرًا ضاغطًا بالنسبة لها، ولكن الأمر نفسه كان ضاغطًا لأُمِّي، كذلك لمدة طويلة وحتى الآن تفكَّر كيف أمكن لها أن تتخلَّى عن خالتي سون إيه. تفكَّر لماذا كان الأمر صعبًا في أن تنظر بإنصاف لشخص عانى بشكل يفوق تصوُّرها. بعض الأشخاص يفترون بعد شجار كبير، والبعض الآخر يجرفون

بعيداً عن بعضهما البعض بحيث يصعب عليهما المواجهة مر جديد.
الحالة الثانية من الفراق تبقى طويلاً في الذاكرة.

في بداية العشرينات من عمر أمي كانت تظن أن بإمكانها - في مرحلة ما من حياتها - اكتساب أصدقاء مميزين. كانت تعتقد أن بإمكانها أن تصادق العديد من الناس، وأن تعاملهم بالصدق والشفافية، ناهيك عن تلك الصداقة التي التصقت بها في سنوات شبابها الأولى، ولكن الآن لم تستطع أي علاقة أن تعوّض تلك التي فقدت؛ فأهم الأشخاص بالنسبة لها ظهروا فجأة في مستقبل شبابها. وفي مرحلة ما، بات من الصعب عليها أن تتنقل من جديد لعلاقاتها الأولى التي بدأتها في عمر أصغر حين كان أمر تكوين الصداقة أيسر من ذلك؛ فالناس يغلقون أفئدتهم في مرحلة معينة من حياتهم، وكأنه فِعْرٌ باتفاق ضمني مُسَبَق، ثم يبدوون التّعارف خارج تلك الأفعال مع أناس لن يجرحوهم أبداً، ولن يتسببوا لهم بجرحهم. أصدقاء ممن يمكننا الذهاب معهم في العطلات مع أزواج آخرين، أو نسلّق الجبال سوياً، ويخبرون بعضهم البعض بعدم رغبتهم في العودة لسرّ العسرين. يقولون بأنهم لم يكونوا يدرون أي شيء حينها. ألم يكونوا كذلك بالفعل؟

قابلت أمي خالتي مرة أخرى، كان ذلك في الشتاء الذي أُطلق فيه سراح زوج خالتي.

يقع منزل خالتي في الطابق الثاني من مبنى صغير يقع خلف مصنع للأحذية. صعدت أمي السلم المعدني ثم وقفت أمام المصراع الذي كان مغلقاً، ونادت على خالتي. سمعت صوت وقع أقدام، ثم تحرك المصراع. لاقت خالتي أمي بابتسامة مجهدة، ثم دعته للدخول، وسألته لو وجدت أي صعوبة في العثور على المنزل. كانت رائحة العفن تفوح من منزلها، ففتحت خالتي النافذة عندما همت

أمي بالدخول. تسرَّب الهواء البارد للغرفة، إلَّا أن أمي لم نطلب من خالتي أن نوصد النافذة؛ لأنها فهمت رغبة خالتي في التَّخلُّص من رائحة العفن التي سيطرت على المكان. أرضية المنزل كانت تهتزُّ كلَّما مرَّت سيارة بالخارج.

جلست ابنة خالتي خلف طاولة صغيرة سهلة الإغلاق تنجر بعض الواجبات المدرسية الخاصة بالعطلة. كان أسفل جوربها أسود من تراكم الأوساخ. أَلقت الطفلة التحية على أمي، ولكن تحاشت النظر في وجهها. وفي مواجهة الطفلة جلس زوج خالتي. كان يجلس في مكانه كشيء هامد بلا حياة وقد مدَّ ساقيه أمامه محدِّقًا في ركن من أركان الغرفة. كان شديد الشحوب، لدرجة أن جلده كان بالكاد يستر عَظْمه. لم يكن الأمر بسبب فقدانه للكثير من الوزن فحسب، بل بدا كأن بنينه قد ثَقُلَّت بالفعل. كما بدت عيناه غير طبيعيتين، كأنه أبقاها مفتوحتين عن قصد، وعلى وجهه علت ابتسامة غريبة.

"عزيزي، هيه أوك عندنا بالمنزل. أختي الصغيرة هيه أوك... هر بذكرها؟" حدَّثت خالتي زوجها بدفء، بلهجة من تُحدِّث طفلًا صغيرًا؛ فانتسم لأمي ابتسامة جَعَدَت وجهه.

"عزيزي على الأقل ضع عليك بعض الملابس".

ناولت خالتي زوجها، الذي كان يرتدي ملابس النوم، معطفًا أزرق. حاول ارتدائه بصعوبة بالغة، وقد بدأت يدها ترتعشان. حوَّلت أمي رأسها تجاه خالتي التي تحاشت نظراتها.

أمسكت ابنة خالتي ذراع أبيها وبدأت تُدْخِلُها في كُمِّ المعطف. تم عدَّلت نظارته التي انسلَّت من مكانها فوق أنفه، وبعدها ساعدته في إدخال ذراعه الثاني. وبعدها نجحت في إدخال كلتا ذراعيه بدأت تغلق أزرار المعطف. ثم أحضرت السروال المكوَّم في إحدى أركان الغرفة وساعدت والدها في ارتدائه. كان يتجاوب مع مساعدة ابنته

كطفل صغير، ورغم ذلك كان مثبِّتاً نظره تجاه باب الدخول، رافصاً أن تتلافى عيناه بعينيها.

"اشتريت لك الدجاج المقلي. كنت تحبّين هذا الطعام يا أخاه، أليس كذلك؟".

أخرجت أمي الدجاج المقلي الذي غُلِّف بورقة من داخل الكيس البلاستيكي. امتزجت رائحة الدجاج المقلي الشهية مع رائحة العفن المسيطرة على المنزل، فأنْتَجَتْ مزيجاً من رائحة الخنزير التَّيْنَة. فرشت خالتي ورق الجرائد على الأرض، بينما فتحت العلبة الورقية ووضعت فوقها قطع الدجاج.

قالت خالتي: "لا زالت ساخنة" وهي تهمُّ بقضم قطعة من اللحم، قصمتها فور أن وقعت عينها على الدجاج. كان المنظر غريباً على أمي التي اعتادت رؤية خالتي، حينما كانتا تتناولان الطعام سوياً، دوماً ما تُؤثِّر الآخرين على نفسها وتدعوهم ل تناول الطعام أولاً بدت حالتني وهي تمضغ اللحم كأنها تصوّرت جوعاً على مدار عدة أيام، وأخذت تلهث وتتنفّس بصعوبة بينما تمضغ اللحم. كانت نأكل بشراهة وقد سال لعبها من قمها، ونسيت آداب الطعام، ولم تسنح حتى من منظرها وكأنه لا يوجد غيرها بالغرفة.

أشارت أمي لابنة خالتي أن تأتي وتتناول بعض الدجاج رفعت آخر قطعة دجاج متبقية فخطفتها منها الطفلة ونفخت فيها عدّة مرّات ثم قرّبتها من فم والدها، فأدار رأسه بعيداً، ولكنها أصرت على وضع القطعة أمام فمه، دون أن تنطق بأي كلمة. أخذ يحرك ذراعيه وعبس بوجهه. وفي تلك الأثناء كانت خالتي تنتزع غضاريف الدجاج عن العظام وكأنها لا ترى شيئاً آخر. وقد تجمّعت دهون الدجاج، التي امتزجت مع لعبها، على جانبي فمها. حاولت الطفلة بإصرار

دفع قطعة الدجاج بداخل فم والدها، وفي اللحظة التي قطعت فيها قطعة من الدجاج وحشرتها في فمه حتى هدا جسده الثائر.

ثم تسرّب بوله على الأرض، انساب البول الساخن وقد لامس أصابع أمي وجوربها ونهاية فستانها، ثم انساب ليبلل الحريدة المفروشة على الأرض وقطع الدجاج المتبقية عليها. كيف يمكن أن تخرج هذه الكمية من السوائل من جسد نحيل كهذا؟ جلس في مكانه مستسلماً للبلل. أرضية المنزل كانت مائلة في الاتجاه الذي تجلس فيه أمي؛ فانساب البول ناحية الحائط. أخذت الطفلة خرقة صفراء وبدأت تمسح الأرضية، ثم أخذت خالتي قطع الدجاج المتبقية والتي لم يصبها البول ونقلتها سريعاً فوق الطاولة الصغيرة، ثم نظرت لأمي، وكأنها عادت أخيراً لوعيتها، وقد بدأت أذناها تحمرّان.

"ما العمل؟ لقد أفسدنا ملابسك الجميلة. أسرع بالذهاب لصنبور الماء واغسلي فستانك أولاً، وفي تلك الأثناء سأنظف روجي وأغريّ ملابسك".

ذهبت أمي لصنبور الماء وبدأت تغسل يدها التي ابلّت ببول الرجل، وكذلك جوربها وفستانها. أعادت أمي ارتداء جوربها من جديد وقد غسلته بماء بارد؛ فارتعشت من البرودة. ثم شمّت رائحة طبق يحة الدوين جانج (معجون الصويا) التي صدرت من إحدى المسازل. لم تكن أمي حزينة، ولم تكن غاضبة إزاء أولئك الذين حطّموا ذلك الرجل. كل ما فكرت فيه حينها أنها تكره ذلك المنزل، حتى ابنة خالتي؛ تلك الطفلة الصغيرة، لم يكن لدى أمي رغبة في رؤيتها هي الأخرى. كانت تريد الخروج من ذلك المنزل، أن تذهب لمنزلها وتنظف نفسها. أرادت أن تدثر نفسها تحت غطاءها. أرادت أن ترى طفلها الذي يرتدي جوارب نظيفة. حتى وبعد عودة أمي للغرفة مرة أخرى كان من الصعب عليها أن تستأنف حوارها مع خالتي.

اعتذرت حالتي لأمي أكثر من مرة لأنها لا تملك لها جوارب نطيفة
يمكنها أن تسبدها بها بدلاً من جوربها المبتل.

قالت خالتي لأمي بوجه صارم: "أَنْ لَكَ أَنْ ترحلي".

"ولكنني حصرْتُ للتو..." قالت أُمِّي ذلك، وفي حقيقته الأمر هي لم
تعب ذلك الكلام.

"ولذلك أخرتك بالآ تحضري. أرجوك انصرفي".

قالت خالتي ذلك الكلام وعينها على زوجها. رفعت أُمِّي حقيبته
يدها ونهضت وقد ساد الجو غرابية. اهتزت الأرض من تحتهم بشكل
عنيف وكأن المنزل يوشك على السقوط، يبدو وكأن شاحنه قد مرّت
أسفل منهم. رأى الرجل أُمِّي تلقي تحية الانصراف فردّ تحيتها بشكل
آلي. بينما كانت شفتاه المبتسمتان ترتعشان.

"لا أستطيع أن أبتعد عن المنزل".

قالت حالتي ذلك وهي تخرج من الغرفة. لم تدرك أُمِّي ماذا تقول،
فاكتفت بالصمت وهي تحملق في خالتي، ثم أشارت لها التحية
ببدها واستدارت ورحلت.

"هيه أوك!".

نادت خالتي على أُمِّي. كانت واقفة وقد ضمت كتفيها وهي
تضع يدها بداخل جيب سروالها. شعرها الذي لم يُقصر بعنايه،
وجسدها المكتنز بدرجة أخفت عنقها، وصوتها الأجش. أختي سوون
إيه، أكرهك. وأكره منزلك، وأكره كل ما يتعلّق بك.

كانت خالتي تنظر لأُمِّي وهي على هذه الحال، ثم همست.
همست بصوت خافت. أجابتها أُمِّي بأنها لا تسمعها، وطلبت منها أن
تعيد عليها الكلام.

"لستُ دوّمًا على هذا الحال. لا أعيش في هذا الحال على الدوام"

أومات أُمِّي رأسها واستأنفت سيرها.

هيه أوك، اعتني بنفسك.

كبت أُمِّي تعي كلام خالتي، ولكنها تظاهرت بأنها لم تسمعه، ثم شكت دراعيهما وأكملت سيرها. لم تستدِر خلفها ولو مرة واحدة، ولكنها كبت متأكدة أن خالتي لا زالت متسمرةً في مكانها حتى تغيب أُمِّي عن النظر. هيه أوك اعتني بنفسك. قالت خالتي كلماها نلك وكأنها تدفع بقارب رسا على الشاطئ تجاه البحيرة.

تمامًا كما تمّنت جدتي، فقد انقطعت الصّلة بين أُمِّي وخالتي للأبد. ولكن أُمِّي كانت تذكر خالتي في بعض الأحيان. مثل الأوقات التي تحضّر فيها العشاء وتراقب مشهد الغروب من نافذة المطبخ، أو حينما كانت ترى الأمهات اللاتي يحملن أطفالهن على ظهورهن ممّن لم يبلغوا عمهم الأول. كانت تسرع في خطواتها إذا ما مرّت صُدفَةً بالمبسى المسيحي الكوري أو كاتدرائية ميونج دونج، وعلى الرغم من أنها فكّرت في الاتصال بخالتي أكثر من مرة، ولكنها لم تفعل ذلك مُطلقًا. سحل الزمان خالتي كشخصٍ مرّ بحياة أُمِّي ثم رحل، ومن ههته فقد نقبلت أُمِّي هذه الحقيقة.

سبق لأُمِّي أن سمعت بالقصة التي تقول إنه بعد الوفاة مباشرة، فإن روح الإنسان تذهب لرؤية الأشخاص الأعزاء البعيدين عنها. حينما أتت خالتي لتعيد أُمِّي في غرفتها بالمشفى، وكانت تشبه ذاتها في السادسة عشرة من عمرها، كانت أُمِّي تعلم أن خالتي قد سامحتها بالفعل منذ زمن طويل. كان وجه خالتي وهي تنظر لأُمِّي به نفس الوحدة والبريق الذي كان يكسوه حينما كانت تقرأ الخطابات الغرامية التي كانت تصلها من زوجها. وفي كل مرة لامست نظرات أُمِّي وجه خالتي كانت تتضاءل أكثر فأكثر، كصابونة تذوب في الماء.

"ارددتِ جُفّةً يا أختاه" قالت أُمّي ذلك لخائتي النّي بحفت وأصحت بحجم كفّ اليد.

"هيه أوك، تذكّري...".

كلّما صغر جسدها كلّما ازداد صوت خالتي عُمقًا.

"لا يقدر أحد على قتلنا".

قلّدت أُمّي شكل شفّتي خالتي المتحرّكتين وقد صعدت فوق إحدى نقسيمات الغرفة. لا يقدر أحدٌ على قتلنا. أومأت خالتي بالإيجاب بعنقها الرّفيّع ورأسها الصّغير.

"لا ننسي هذا الأمر مُطلقًا يا هيه أوك".

انسابت أشعّة الشمس من النافذة، فبدّت خالتي في حجم عقلة الإصبع، ثم رحلت فوق الشعاع الذي حملها بعيدًا. أخذت أُمّي تنظر طويلًا لشعاع الشمس النافذ من النافذة، ثمّ لمست موضع ركبتها اليمنى تتحسّس الموضع الذي لمسته يد خالتي. كانت متأكّدة أن ما حدث لم يكن حُلْمًا. أيقظتني أُمّي وقد كنت نائمًا على سرير المرافق بعانها، وأحرّرتني أن أختها التي كانت تعرفها من فترة الطفولة قد زارنها في العرّة منذ قليل. كنت متفاجئًا من ردّة فعلها، ومن ناحية أخرى انابني القلق من ذلك الأمر، ولم تكن لديّ رغبة في الاستماع للمزيد، ولكي لم أملك طريقة لإيقاف أُمّي التي انفجرت بالكلام.

رغم أنها كانت متأكّدة أن كل ما شاهدته في ذلك اليوم كان حقيقيًا، فهي لم تكن واثقة من ذلك الشعور الذي انتابها من أن خالتي قد سامحتها بالفعل. كان ذلك قبل أن ترى الصورة التي تركتها خالتي ضمن متعلقاتها بعد وفاتها لفتاتين ارتدتا معطفين جلدَيْن.

كانت الفاة الأطول تضم الأخرى التي بدت أصغرهما من الخلف أما الفتاة القصيرة فكانت ترتدي فستانًا مرّقطًا حاكنه نفسها، بينما

ارتدت الفناه الطويلة شورت وقميصًا ذا قَصَّة عنق واسعة. وففت
الفتانان أمام حائط صخري مبتسمتين في انشراح، ولم يكن لهما طل.
كان ذلك في اليوم الذي ذهبنا فيه لاستكشاف متحف سيؤول لوطني
الذي لم بُعد له وجود الآن. وُجِدَت الصورة، التي لمعت عند الأطراف،
بداحر حيب محفظة جلدية. لم تستطع أُمي أن تخبر به حالتي
الكثير حين حضرت الأخيرة لتسليمها المحفظة. كل ما فعلنه هو أن
حملت في الصورة وهمست بصوت خافت أختي: "سوون إيه".

هانجي ويونج جو

أفكر فيك وأنا أشاهد انعكاس الضوء على النهر المتجمد.
مائة ليلة بيضاء.

الأضواء تُسحر الناس ولكنها تُبقيهم يقظين كذلك. وها أنا أحلم
رغم أن عيني مفتوحتان. كأنك تقف أمام هذا النهر الجليدي. بينما
يشعُ جسدك ضوءًا أزرق تحت أشعة الشمس.

وليس معي في عزلي هذه إلا الضوء، عقدت عزمي على أن أنقب
في قلب القارة القطبية الجنوبية، وأن أستكشف خمسة وستين ألف
سه من الذكريات المحفورة في الجليد. وأعلم أنني لا أملك القوة ولا
الشجاعة لذلك.

ورغم ذلك فأنا هنا بالفعل.

عندما سمعت بقصص القارة المتجمدة والليالي البيضاء والسوداء،
فكرت حينها: إذ ربما لم تكن في نيروبي، بل هنا، في أرض الجليد هذه.

أنت، واقِفْ مُتَسَمِّرٌ في مكانك أمام النهر الجليدي. وهذه الرؤية
عك، وحدها من قادتنى لهذه القارة المتجمّدة.
أريد أن أسلّمك دفتر ملاحظاتي هذا.

كانت أوروبا في خضم الحرب العالمية الثانية حينما أقدم شابٌ في
الخامسة والعشرين على بناء هذا الدير. كان قد جاب القرى النائية
في فرنسا بحثًا عن موقع لإقامة الدير، قبل أن يصل لقرية صغيرة
مهذّمة بالقرب من ليون، قرية رحل عنها الشباب ولم يبق بها إلا
العجائز الذبن كانوا يكابدون الوحدة الناجمة عن الحرب. وحينما
وصل القرية دعتّه سيدة عجوز قائلة:
"شكرًا لقدمك لهذه القرية المهجورة".

لم يستطع أن ينسى كلماتها، وعاد للقرية من جديد وقد اشترى
مرلًا مهجورًا وأقام ديرًا. أطلق على المكان "دير"، إلا أنه كان الراهب
الوحيد به، وكان يعيش على ما يحصل عليه من تربيّة بعجوتين.

كان رجل مُهذب يتسم بالحياء، يسلك حياة بسيطة قوامها الصلاة
والكفاح والراحة. لم يكن مؤمنًا بوجود إله منتقم غيور وغضب، كان
يؤمن بأن الحب هو الشيء الوحيد الذي يمنحه الرُبُّ للبشر. كان
عنده بقين بحب الرب، رغم علمه بشكل قاطع بما اقترفه الإنسان
بحق أخيه الإنسان وقت الحرب. وفي ديره كان يخفي اليهود الفارين
من جرائم النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد انتهاء الحرب
كان يخفي أسرى الحرب من الألمان.

كان مَن يرغب في السكن معه يحضر لمنزله المتهالك ويتعهّد
له بنذر الرّهنية. كان الرجل ذا خلفية بروتستانتية، إلا أن ذلك لم
يمع الوافدين ممّن نذروا البقاء تحت خدمته في الدير. وكان من

بين الذين خدموا في الدير قساوسةً كاثوليك، ومسيحيون روس من الطائفة الكاثوليكية، ومسيحيون يونانيون من نفس الطائفة، وكذلك من الطائفة الإنجيلية. كان الرجال بمختلف طوائفهم يصلُّون ثلاث مرَّات يوميًا، بمصاحبة أناشيد قصيرة ومتكررة ينشدونها في الكيسة الأورثوذكسية الروسية، ومن بينهم من كان يؤلِّف أناشيد جديده كر عام ممَّن قد درس الموسيقى. وقد تشابَّهت الأناشيد فيما بينها. بعض الأغنيات كُتبت باللاتينية وبعضها بالألمانية، والفرنسية والروسية والبولندية. نلِكَ الأناشيد مع عشر دقائق من الصمت شكَّلت رونين صلواتهم الثلاث اليومية. في الصباح كان الأساقفة يقرؤون من الكتاب المقدس، أو يتأملون في صمت، أو يتناولون القربان المقدس لم يقلوا عطايا أو هباتٍ من أي نوع، وعوضًا عن ذلك كانوا يجمعون التبرعات التي يحتاجها الدير من خلال تأليف الكتب وصنع الآنية الفخارية.

وكانت هناك قاعدة عامة، وهي أنهم لا يردُّون الزائرين، فكل من ممَّن زبارة المكان للصلاة أو العمل كان مَرْحَّبًا به للبقاء. كان الكثير من الأوروبيين يقدون للدير من جميع أنحاء أوروبا في فصر الصيف. حتى إن العدد قد بلغ أربعة آلاف في بعض الأسابيع بينما كان من الصعب على الأساقفة المائة استقبال كل تلك الأعداد، ومع زيادة أعداد الزوار، بدأ المقيمون منهم إقامة أطول يساعدون الأساقفة على ضيافة الزوار الأحداث. ذلك الدير الذي بدأ مهجورًا أصبح الآن مزارًا سياحيًا ومَقصدًا لما يزيد عن مائة ألف سائح سنويًا.

في بادئ الأمر كان أغلب المتطوعين من الأوروبيين، وكانوا يفيمون في الدير لمدة تتراوح بين شهر وقد تصل لعامين. وفي نهاية الأمر بدأ الدير يدعو المتطوعين، ويتكفَّل بتذاكر الطيران لعشرين من الدول النامية ممَّن منعتهم ظروفهم، سواء المادية أو بُعد مسافة السفر من دولهم لفرنسا. وحينما كان الدير مزدحمًا بالزوار في موسم الصيف كانت ننم دعوة زوج من المتطوعين من دُولٍ من كافة أنحاء إفريقيا

أو آسبا أو أمريكا اللاتينية؛ للإقامة والعمل والصلاة في الدير لمدة ثلاثة أشهر فترة الصيف.

ولا أعلم حتى الآن لماذا أقمت هناك كل تلك الفترة.

سبعة أشهر على وجه التحديد، بينما كانت نيتي في بادئ الأمر أن أبقي لمدة أسبوع واحد فقط. المرة الأولى التي أدركت فيها بأنني لا أرغب في ترك الدير كانت بعد أسبوع، بعد أول صلاة جماعية لي في الدير. كنت في منتصف رحلة لمدة أسبوعين في فرنسا. وقد ساعدني الدير في الحصول على تأشيرة الدخول، ثم تمكّنتُ من الحصول على عطلة دراسية من الجامعة.

كنت في السابعة والعشرين من عمري حينها.

وبذلك كنت أكبر النساء المتطوعات في الدير، حين كان الدير يختار من المتطوعين للإقامة الطويلة ممّن تتراوح أعمارهن بين التاسعة عشرة وأقل من ثلاثين عامًا. كانت معظمهن ممّن بلغت أعمارهن الرابعة أو الخامسة والعشرين من حديثات التخرّج، ممّن يحاولن استكشاف سُبلهن في الحياة. كنت أقابل بصمتٍ حينما أخبر الجميع أنني في السابعة والعشرين. حتى أبواي وأختي، التي رُزِقْتُ حديث بطفل قبيل سفري مباشرة. وقد تركت من خلفي أستاذي المشرف على رسالتي وزملائي بالمعمل جميعهم يُظهرون لي ردّة الفعل ذانها. فترة العشرينات، والتي يتحتم معها جدية السعي أكثر من أي فترة أخرى في العمر، وتلك الشراسة كانت تعني السعي الجادّ لبناء حياة مهنية ثابتة وآمنة، والأمر في المجمل مسألة حياة أو موت.

قالت لي أختي: "أنت لا تعلمين أي خطأ تقترفين في حق نفسك! هذا إهدار لحياتك. لو قضيت فترة العشرينات من عمرك على هذا النحو واستمررت على فعل ما يحلو لك فسينتهي بك الأمر كأُمّك وأبيك اللذين عاشا عمرهما دون تملُّك منزل. حتى ولو عملت عند

أحدهم طلبه حياته حتى يصبح شكل كفيك كقدميك، فحسب حينها لن نتمكن من ادّخار ولو قرش واحد لزفاف أولادك. طننت في بادئ الأمر أن لديك هدفاً وخطّة حينما أخبرتني برغبتك في الالتحاق بالدراسات العليا، وأن تصبحي أستاذة جامعية. وإلا فلماذا استثمرت أموالك ووقتك في الأمر؟ ماذا سيظن أستاذك وزملاؤك الآن؟ أنت فعلاً لا نعلمين شيئاً عن الحياة. على الأقل فإن لم تمكي مدخّرات فحريّ بك أن تحصلي على شهادة جامعية. استمري على هذا الحال من التراخي وسترين ما يحل بك. سيتتهي بك الأمر وأنت نكرة. ستعيشين حياة صعبة لدرجة لا تستطيعين معها أن تضمّي طفلك الذي خرج من أحشائك لانشغالك بتوفير لقمة العيش".

كنت أتفق مع ما قالته أختي. كان صوتها الممزوج بالغضب والخوف الذي كان سيدي لفترة طويلة. هذا الخوف الذي لازمني طوال فترة الطفولة وربّاني لأصبح هذه البالغة التي تبدو في ظاهرها وكأنها لا تأخذ حيّطتها. هذا الخوف حثّني لكي لا أكون ما أنا عليه، لكي لا أنوِّف عن التطور لأصبح شخصاً أفضل. وإن لم أغير، وإن لم أطور، فسأُمحي من هذا العالم.

ورغم ذلك اخترت البقاء هناك.

حيبي كان صامتاً.

في آخر مكالمة لنا حينما أخبرته رغبتني في الإقامة بالدير وأنتي لا زلتُ غير متأكدة من مدة إقامتي، حينها زفر زفرة قصيرة ثم قال: "حسناً". وكان هذا كل شيء. أغلق الخط قبل أن أتمكن من الاعتذار له

لقد لحنا لجميع الوسائل -عدا الشجار- لتحمل بعضنا البعض. لم نكن لدينا حتى الرغبة في التنفيس عن مشاعرنا أو التعبير بالإساءة اللفظية نحاه بعضنا البعض لنختبر ردّة فعل الآخر. الشجار يلزمه

على الأقل ذرة من العاطفة. لم أكرهه ولم يكرهني. لم تحرجني كلمانه ولا أفعاله. ولم تجرحه أفعالي ولا كلماتي كذلك، أو هذا ما طننته. لم نكن نعرف كيف نكون سيئين تجاه بعضنا البعض. ولكن بنظرة للماضي، وكان سوءاً ما في الأمر جھلنا بكيف نكون سيئين تجاه بعض البعض. كان كلُّ منا يغمض عين الآخر بطريقة مؤدّبة. وفي النهاية كنتُ أنا أوّل من راح يده عن عين الآخر، ثم افترقنا في هدوء. وهذا الوداع أثبت أنه لم يبقَ بيننا أي ذرة حب؛ لأن اللحظات الأخيرة بين المحبّين لا تنتهي بهذه الطريقة السليسة. انتقلنا ببساطة من نقطة لغيرها. تلقّيتُ منه رسالة هاتفية بعد مرور أربعة أسابيع على مكالمتنا الأخيرة.

"شكراً لأنك سمحت لي أن أواعدك طوال تلك الثلاث سنوات الماضية. آسف، لكن علينا أن نتوقف الآن عن رؤية بعضنا البعض." كان دومًا يستخدم لفظ "سمحت لي بمواعيدك". الجملة أربكتني، جعلتني أشعر ببعض الاحتقار تجاهه، والأكثر من ذلك أنها جعلتني أظن أنه مضمون. وعلى الأغلب كان سيستعمل تلك الجملة مع أي فتاة يواعدها وليس أنا فحسب. كان يقلّل من نفسه على الدوام، وكان فاسياً على ذاته، بخيلاً معها، ولم يكن الأمر من باب التواضع. كنتُ أول حبيبة له، وكان حينها في السابعة والعشرين من عمره. "لم يسبق أن أبدت أي فتاة اهتمامها بي. مواعدة الفتيات كانت أمراً ممكناً في أحلامي فقط".

لم يكر وسيماً بشكل استثنائي، كان مقبولاً من النظرة الأولى. وكان كثير الاطلاع، ويجيد عزف البيانو، وكان بارعاً في التقييل كذلك. ورغم ذلك كان مقتنعاً في قرارة نفسه أنه ليس أهلاً لتلقّي الحب والاهتمام لم يجرؤ على البوح بتلك الأفكار بصوت عالٍ، ولكنه أرسل

رسالات مشابهة من خلال لغته وتصرفاته على مدار الثلاث سنوات التي تَوَاعَدْنَا فيها، وفي النهاية تَغَيَّرَت أفكارِي تجاهه؛ تأثُّراً بمعقداته عن نفسه. كيف كان ذلك ممكناً؟

في وقت ما شعرت تجاهه بعاطفة أكثر ممَّا شعرتُه لاحقاً تجاه هانجي. ولكن تلك العاطفة تَبَخَّرَت عند نقطةٍ ما حينما بدا الرجل الماتل أمامي كدمية ورقية كبيرة. وذلك الحُزن أكبر من الحُزن الناجم عن حُبِّ مفطور.

كيف حدث ذلك؟

كان لديّ الكثير لأخبره به، ولكنني عدَلْتُ عن الأمر وبكل ساطة، أرسلت له رسالة هانفية أعذر له عن مغادرة كوريا دون اسنشارته، كما شكرته على الوقت الذي قضيناه سوياً. كان انفصلاً غير مُبالٍ، رغم أنني أذكر بكائي الذي عجزت عن تفسيره.

كانت قد مرَّت أربعة أشهر على إقامتي بالدير حين ذهبت لاصطحاب هانجي وكارو القادمين من كينيا. ونظراً لأن الفلير فقط من المتطوعين مَنْ يعرفون قيادة السيارة أو على علم بالمططفه، فقد وُكِّلَت بي مهمة استقبال المتطوعين الجدد مع ثيو. كان ذلك في شهر يونيو الشهر المُزدحم بوصول الكثير من المتطوعين لمطار مدينة ليون. استقبلت حتى الآن متطوعين من المكسيك، ومدغشقر وفيتنام كانت مهمّة ممتعة. كم شعرت بالتحرُّر لقيادة سيارة قديمة والاستمتاع بالمُنظر الطبيعية في الخارج.

تحوَّلَت أنظاري بسهولة شديدة تجاه هانجي في اللحظة التي ظهر فيها عند بوابة الوصول. لم أَر قبل ذلك أو بعده رجلاً في سواد لون بشرته. أوحى لي منظره برجل مرسوم على لوحة زيتية كانت بشرته ذات بريق أسود خالص. وقد ارتدى سروالاً طويلاً من القماش، مع حذاء جدي، رغم حرارة الجو. اقترب منَّا وعلى وجهه انسمامة كبيرة

وكانه النفس بأصدقائه الذين لم يلقهم منذ زمن بعيد. وكانت الفتاة التي تمشي بجواره تُدعى كارو. تعانقنا جميعًا، ثم بدأنا الحديث سويًا. تحدث هانجي وثيو وكارو الفرنسية بسرعة بالغة. حملت حقيقه ظهر كارو الصغيرة ثم جلست في المقعد الأمامي.

سألني كارو: "هل تتحدثين الفرنسية؟" فأجبتها بالإنجليزية أننى لا أتحدثها. "ولا تفهمينها حتى؟" أومأت رأسي بالإيجاب. استدارت كارو نجاه ثيو وهانجي وبدأت تتحدث بالإنجليزية. "فلنتحدث بالإنجليزية. يونح حو قالت إنها لا تتحدث الفرنسية". اعتذر ثيو أنه كان يتحدث الفرنسية، وأنه غفل بغير قصد عن أنى لا أتحدثها.

كان الجو صافيًا، وكانت سيارتنا القديمة المتهالكة تُصدر أصواتًا، وكان ثلاثهم -عداي مدمجمين في الحديث بطريقة عجيبة، فتراهم مستمتعين بالحوار وهم يتحدثون بالفرنسية، ثم ما يلبثون أن ينتبهوا لوحودي فيبدلوا لغتهم للإنجليزية، وفي النهاية يعودون للحديث بالفرنسية من جديد. اكتفيت بالقيادة في صمت؛ ظنًا منى أنى لو طلبت منهم تغيير لغة الحوار للإنجليزية لبدا الأمر مثيرًا للشفقة. شعرت بالعزلة. وكنوع من الرفض لتقبُّل الفكرة؛ أدت مذباع السيارة وثبتت عيني على الطريق.

كان ينتظرنا أخ من كينيا بالدير. ابتسم هانجي وكارو ابتسامة واسعة كالتي استقبلانا بها في المطار، ثم أسرعوا في عنق الأخ الكيني. وبعدها توجه ثلاثهم للمائدة التي أُعدت مسبقًا. أُلقيت عليهم النحية وهممت بالانصراف، فإذا بهانجي يقول لى: "يونج جو، شكرًا لك" وهو ينظر لى بثبات، أجبتة قائلة: "ألقاك فيما بعد"، ثم خرجت، فإذا بأمطار كثيفة.

حيما وصلت في البداية كان هناك عشرون متطوعًا من المقيمين إقامة طويلة في الدير، ولكن هذا الرقم وثب لأربعين متطوعًا مع

وصول هانجي، ثلاثون فتاة وعشرة رجال. تشاركت الفتيات في منى بداخر الدير مُكوّن من طابقين، حيث تشاركت كل أربع فتيات في غرفة واحدة، وكان في الطابق الثاني مكان لتناول الطعام، ومكان مشترك للجلوس. وعلى الجانب الآخر أقام الرجال في منزل عتبى مفصل عن الدير يقع في مواجهة باب الدير الرئيسي، وفي مواجهة ذلك البيت شجرة زيزفون ضخمة كانت زهورها تبعث في الأمسيات رائحة خلابة. كنّا نطلق على الرجال المقيمين بذلك المنزل "تيل بوبز"؛ لأنهم يسكنون بجوار شجرة الزيزفون. كان "التيل بوبز" يلقون عليّ التحية في خجل كلما مررت من أمام مقر إقامتهم.

كان يتم توزيع المهام على كلّ واحد منّا في صباح يوم السبت من كل أسبوع. كانت لدينا مهام صباحية، ومنتصف اليوم، ومساءية؛ بما يُشكّل حوالي ست ساعات من العمل اليومي. كانت مهام مثل الطهي في المطبخ الكبير، أو تثبيت الخيم للزائرين، والتنظيف، وغسل الصحون، والترحيب بالزائرين، وتنظيف الدير، ولمن يملكون رخصة قيادة كان عليهم قيادة الشاحنة أو السيارة العتيقة، التي كنت أنعجب أن محرركاتها كانت لا تزال تعمل.

كنّا نصلي الصلوات الجماعية ثلاث مرات يوميًا. كانت صونا تبدأ حينما يجلس الرهبان في منتصف مبنى الكنيسة. وكانت الكنيسة، مكان تجمّعنا، بدائية بعض الشيء، كقاعة اجتماعات لكن بلا مقاعد؛ لذا كنّا نجلس ونصلي فوق سجاد قديم متهاك فُرش على الأرض. جلس المتطوعون، من ذوي الإقامة الطويلة، في أماكنهم المخصصة خلف الرهبان مباشرة. ظهر هانجي يوم وصوله مباشرة لحضور الصلاة المسائية. جلس في الجانب الأيمن عند نهاية صفي. بدا مرناحًا في قميصه الأزرق ذي الياقة المستديرة والشورت. كنت قد أنهيت للتو غسل الصحون، فخلعت حذائي ذا الرقبة الطويلة وجلست حافية القدمين على الأرض، وبدأت أحسّ بالنعاس وثقل عنقي. وبعد أن

رحل جميع الأحوة من المكان بقي فقط مَنْ يرغب في غناء الترانسل،
نم بدؤوا نغنون سويًا. وكنت لا زلت أشعر بالنعاس، وبدأ حسدي
يميل في اتجاه واحد.

"بونج جو".

كان ذلك هانجي الذي أصبح بجانبني بعد أن كان على مسافه
مني. جميع المتطوعين الذين كانوا برفقته قد غادروا المكان. كان
ينظر لوجهي وهو يرفع ويضع حذائي عن الأرض بشكل متكرر.

وكانت تلك المرة الأولى التي أشاهد فيها وجهه عن كثب، كان وجهًا
خاليًا من التعاكيد، مع بشرة لامعة وعينين واسعتين كعيني الأطفال.
وكانت أسنانه ساطعة البياض، بينما كُسر نصف سنّه الأمامية، وعنقه
الطويل كان ممتدًا من ياقة قميصه، أما رائحته فكانت مثل العشب
في فصل الصيف.

مكتبة

t.me/soramnqraa

سألني هانجي:

"أمتعبة أنت؟".

"وماذا عنك؟ ألسنت مُتعبًا؟ لقد قطعت كل هذه المسافه سمرًا
من إفريقيا".

"كلًا، لا أشعر بأي تعب. بالمناسبة، هلاً أرشدتني لمكان المحر؟
نسيت إحصار فرشاة أسناني".

أدخلت قدمي في حذائي ثم خرجت من الكنيسة، وفي مواجعتها،
وقف مجموعة من المتطوعين من ذوي الإقامة الطويلة من أمريكا
اللاتينية يسندون إلى الحائط ويتسامرون في حميمية، خاطبهم هانجي
بالإسبانية وعلى وجهه ابتسامة مشرقة، وكأنه كان يعرفهم طيلة حياته.

"بونج جو، هل غضبت في السيارة منذ قليل؟".

"كلًا".

"أعتقد أنك كنت غضبي لأننا كنّا نتحدث بالفرنسية فقط".

"هذا غر صحيح، كل ما في الأمر أن لديّ الكثير من الأمور لأنجزها هذه الفترة. هل رأيت؟ أنا لا أجيد التحدث بالإنجليزية كذلك".

حرّك هانجي رأسه نافيًا، ثم قال:

"كلّا، أنا أنفهمك تمامًا". ويقصد بذلك: "أنا أفهم كل ما تقولين".

"يونج جو، هل أخبرك بشيء؟ هذه المرة الأولى التي أسافر فيها لدولة أجنبية، والمرة الأولى التي أقابل فيها شخصًا من كوريا. أنتِ أوّل كورية بالنسبة لي يا يونج جو".

"ألم يسبق لك أن رأيت أشخاصًا من آسيا؟".

"بلى، سبق لي أن رأيت أشخاصًا من الصين يتجوّلون في شوارع نيروبي، ولكنها المرة الأولى التي أتحدث فيها مع أحدهم. الأمر مدهش ومُمنع في دان الوقت يا يونج جو".

رُصّت عدد من الطاولات المرتفعة أمام المتجر، بينما كان الربائن يقفون أمامها ويأكلون رقائق الشيبس ويشربون الكولا بدا وجه هانجي غير مألوف لي أكثر حينما رأته تحت ضوء مصباح الرقعة الخاوية أمام المتجر. لم يسبق لي أن قابلت أحدًا يشبهه، وفي الغالب كان وجهي غير مألوف بالنسبة له كذلك.

سألني:

"ماذا تعملين؟".

"أنا طالبة دراسات عليا بقسم الجيولوجيا".

"جيولوجيا؟".

"أدرس حسم الأرض؛ الجيولوجيون يقيسون عُمر الأرض، ويبحثون عن الكائنات الحية التي كانت تسكنها، يتنبؤون بالثورات البركانية والهرّات الأرضية، كما أنهم يدرسون الصخور والجبال الجليدية"
"ومادا تدرسين من بين كل ذلك؟".

"أدرس المناخ الذي كان سائدًا في الماضي. أجريْتُ دراسة حديثة حول المناخ الخاص بشرق آسيا في الألفي سنة الماضية".
"كيف ذلك؟".

"من خلال تحليل الصواعد الموجودة في الكهوف".

"ما هي الصواعد؟".

قلت له وأنا أشير لمثلجاتي:

"القرون اللزجة التي تنمو في الكهوف".

"نعم، علم ما هذه". ضحك هانجي، ثم قال: "بالمناسبة، هل أتيت هنا بعد أن تلقّيت دعوة؟".

"كلّا، في بداية الأمر كنت قد عزمت أمري للمكوث لمدة أسبوع واحد فقط، ثم صار الأسبوع أسبوعين، والأسبوعان ثلاثة أسابيع أنا لا أعلم حتى كم سأمكث هنا. قدّمتُ على إجازة من الجامعة، وليس لديّ أي خطط. أنا في السابعة والعشرين من عمري، وأعلم أنني لا ينبغي لي أن أعيش على هذا النحو وأفعل ما أفعل هنا".

سألني هانجي: "لماذا؟".

"الهروب ليس بالفكرة الصائبة. عليّ أن أتحمل مسؤولية حياتي".

قال هانجي.

"لا بأس يا يونج جو".

قراري في البقاء هنا بشكل اندفاعي؛ التخلي عن مسؤولياتي، الإقامة في الدبر... كل ذلك لا بأس فيه.

بدا وجهه أكثر إشراقاً وهو يقول لي ذلك الكلام. لم يسبق لي من قبل أن رأيت انطباع وجهه في أي مكان. لم يكن وجهه شخص برود طمأنني، ولا أن يقول جُملاً متوقّعة تُقال في مثل تلك المواقف. ولم يكن حتى وجهه البالغين الذين يمتنعون حتى عن الابتسام مراعاةً لمشاعر الطرف الآخر. كان وجهه هانجي مسترخياً، في بساطة وتلقائية حينما انضممت للمرة الأولى للمجتمع الضيق للدراسات العليا، سمعت الكثير من النصائح بشأن ضرورة الحذر من الناس، ويبدو أن قلة حرصي في التعامل مع الناس في جامعتي كان أمراً طفولياً؛ حيث يجب على النساء بشكل خاص الاهتمام بصورتهم الشخصية، والسبب يعزى لأنه إذا بدأ فتيل الشائعات يطال إحداهن، فذلك معناه أنها فقدت مستقبلها المهني، وذلك الكلام كان يُردّد على مسامعي بكثرة كنتاول الوجبات.

وكنت مؤمنة أنني قد التزمت بتلك القاعدة بشكل ممنار. كنت أحضر المحاضرات والرحلات العلمية بشكل منتظم، كما أحضر الحلقات التي أعقبت اليوم الدراسي، وأشارك في الضحك والترثرة، ورغم ذلك فقد كنت أبكي في طريق عودتي للمنزل دون سبب

وطني، وخطوط التجاعيد المرسومة على جبهتي. أبتسم في صوري الفنوغرافية، فأجد جانباً من شفتي يبدو أعلى على الدوام مفارقةً بالجانب الآخر وأنا أبتسم؛ ممّا جعل وجهي يبدو مائلاً بأكمله. كنت أضحك قهقبة، ولكن شكل وجهي كان أقرب للعبوس منه للتلقائية. ومنذ أدركت هذه الحقيقة حتى بدأت أتحاشى النظر في أعين الآخرين.

ولكن في ذلك اليوم، لم أتَحَاشَ النظر في عَيْنَيَّ هانجي، ورغم ذلك لم أدرك أنني لم أتَحَاشَ النظر في عينيه.

قال هانجي إنه كان يعمل طبيبًا بيطريًا في نيروبي، يعالج الأنهار والبعوض في المزارع، وحين كان يدرس الطب البيطري، كان قد اشترك في مشروع تطوعي لرعاية زوج من وحيد القرن اليتيمين، وذلك لمدة نسعة أشهر قبل إرسالهما للحياة البرية.

"كان اسمهما هاوي وجلوريا. كنّا نطعمهما لترين من الحليب المحفّف الممزوج بالماء في كل وجبة. وحفرنا لهما حفرة في الأرض ومأناها بالماء لنصنع لهما حمامًا طينيًا. كانا يعرفان كيف يستحمّان فيه، حتى ولو لم يتعلّما الأمر من قبل. كبرا وهما متعلّقان بي كانا يتبعانني كظليّ أينما ذهبت، وينظران لي بوداعة، ويعطيناني إشارات بأنهما يثقان بي كليًا. حتى اقترب اليوم الذي أتمنّا فيه عملية تأهيلهما للعودة لحياتهما البرية، يومها لم أملك الشجاعة لأنظر لوحدهما، شعرت كأنني أخون الرضيعين اللذين وثقا بي وأحبّاني لدرجه كبيرة. أليس من المحزن التّعرّض للخيانة؟ وعلى الجانب الآخر كنت فليّما عليهما من أنهما قد يتعرّضان للموت. صحيح أنهما نفسيّا ندرين تأهيلًا للعودة للحياة البرية، ولكنهما سيظلان في المؤخرة دائمًا مقارنة بأفرائهما من الحيوانات البرية. أقمنا لهما حفلة في آخر يوم من التدريب، تبادلنا فيها جميعًا كلمات التشجيع؛ لأننا أحسنّا رعايته الرضيعين. ذكر هذه الحكاية يدفعني للبكاء".

احمّرت عينا هانجي.

"لم أكن أصدق أنني سأفترق عنهما، شعرت وكأنني أقترف أمرًا مريعًا، حتى إنني قلت بأنني لا أعلم إن كنت أفعل الصواب أم لا. حينها قال لي متطوّع آخر، هذا ما نظنه نحن، لا يجب أن نحرّمهما من سعادتهما بسبب إسقاط وجهة نظرنا البشرية عليهما، وأن عينا

التفريق بين الحب والتعلق، وأن رغبتني في إبقاء حيوانات برّية بحانبي ليست حبًا. وفي يوم وداعهما، وضعنا الرضيعين في قفص وقُدا السيارة لنقطة بعيدة لإطلاق سراحهما. كنت أستدير للخلف لأتمقدهما، فأحدهما لا يفعلان شيئًا سوى النظر تجاهي. قلت لهما أن بكفّا عن النظر نحوي ويتابعا مسيرهما. ولكنهما لم يتوقفا عن الالتفات نحوي كانا يتقدمان للأمام وهما ينظران خلفهما تجاهي. مشيا ببطء ونحن خلفهما حتى توغّلا في السهل العشبي".

أغلق المتجر أبوابه بينما كنا نتبادل الحديث، وقد بقي بعض من الناس رغم الظلام.

"لا زلتُ أفكر في هاوي وجلوريا. يصعب عليّ فهم مشاعر وحيد القرن لأنني بشر، ولكنني أحاول جاهدًا أن أتخيّل إحساسهما تجاه السهول والغابات. بالطبع سيكون مكانًا أفضل بكثير من موقع التأهيل الضيق، أليس كذلك؟".

حكى لي هانجي كذلك عن الحيوانات التي عالها بين مَنْ عاشت منهم رغم انعدام الأمل في نجاتها، وأخرى ماتت بعد أن ساءت صحتها، رغم أن شفاءها لم يكن بالأمر الصعب. وفي كل مرة كان يشعر بتأنيب الضمير من أنه ربما يكون هو السبب في فتر تلك الحيوانات التي كان من الممكن إنقاذها. وحتى الآن لا يزال براوده نفس الهاجس، إلا أنه عزم على بذل أقصى جهده، وأنه الآن في مرحلة تقبل فكرة أن ذلك الجهد لا يضمن بالضرورة الحصول على النتائج الإيجابية المرجوة في كل مرة.

قلتُ له:

"أنا أيضًا أحب الحيوانات، ولكنني لم أحلم حتى بدراسة الطب البيطري خشية أن أرى حيوانًا يتألم. لم تكن لديّ الشجاعة لرؤية حيوان يحتضر".

قال هانجي: "أتفهمك".

لم يبق في الساحة الخارجية أمام المتجر سوانا.

وبعد ذلك اليوم لم أتمكن من تبادل الحديث مع هانجي لفترة من الزمن.

كنت ألقاه في الكنيسة ثلاث مرات يوميًا في أوقات الصلاة، ولكننا كنا نجلس متباعدَيْن عن بعضنا البعض، ولم تكن نتبادل سوى تحية بالنظرات فقط. أصبح هانجي قريبًا من الرجال المتطوعين، وكان يرافقهم في كل مكان. هانجي، مرحبًا. كنتُ كلُّما ألقى عليه التحية كان الرجال الذين يرافقونه يبدوون معي الكلام.

كنت أنقل الخيام والملاءات بالسيارة أو أنظف منزل الضيوف مكان إقامة أسر القساوسة، بينما كان هانجي يعمل على الدوام في المطبخ الكبير. كان يصنع البطاطا المهروسة، ويمزج الكاكاو ومسحوق الشاي في إباء كبير مليء بالماء، ثم يحملهما إلى محطة التوزيع. كنت أراقبه مر على بُعد مسافة وهو يوصل الطعام. وحينما علمت أن بإمكانني رؤيته من موقع أقرب عند المخزن، بدأت أتمشى قرب ذلك المكان قبل موعد الصلاة الصباحية.

كان يعمل بجهد دون تراخ. ينقل أكياس الخيش ويصب الماء على الأرضيات وينظفها بالفرشاة، كما كان ينظّم محطة التوزيع. كان يركّز في عمله كلُّه وهو يقوم بتلك الأعمال. كنت أحب رؤيته وهو يعمل، ولكنني أعنفد وأنا أكتب هذا أنه كان على علم بأنني كنت أحوم حوله في تلك الأوقات. كنت أتجشم العناية لرؤيته، حتى إنني كنت أصم يدي كمظلة لأحمي عيني من الشمس؛ فقط لمتابعته وهو يعمل. كانت بشرته الداكنة تتوهج تحت أشعة الشمس باللون الأزرق كمعدن غامض.

كنّا نعقد جلسة لتدارس الإنجيل مرتين أسبوعيًا.

كانت الجلسة غالبًا ما تُعقد في مكان متاح فقط للرهبان، في منزل صغير مجاور للكنيسة الرئيسية. وأمام المنزل اصطفت زهور الداليا واللافندر.

ناقش في الجلسة التحليل الداخلي لنص الإنجيل ذاته من جهة، ومن جهة أخرى تحليل خارجي يشتمل على السياق التاريخي الذي كُتب فيه الكتاب المقدس. وضح لنا أحد الرهبان كيف أن كتابة الإنجيل قد تأثرت بالمعتقدات والثقافة الخاصة بالكتاب في زمانهم، وبعدها بدأ المتطوعون في إلقاء الأسئلة عليه وهم يقرؤون النص بشكل ناقد.

قال أحد الرهبان:

"من المثير للفضول أن الإنجيل لا يقدم أي تفاصيل حول الحياة بعد الموت ولكن ما نعلمه على وجه اليقين أن الأرواح لا تموت، وأنها تبقى مسنمة، ولكن في هيئة أخرى مختلفة عن هبتها الحالية. وبعد الموت، لا تتأثر الروح بالقيود التي يمثلها الجسد المادي ولذا لن يكون من قبيل المبالغة لو قلنا إن من لم يجرب الموت بعد لا يعرف أي شيء عن الحياة بعد الموت".

سألت كارو: "ولكن ألم يذكر الإنجيل الجنة والنار؟".

أجابها الراهب قائلاً: "الإنجيل يُصرّح بالجنة، ولكنه لم يصفها بشكل تفصيلي. وبصراحة، فهذا مكان ليس بإمكاننا تخيله أو إدراكه ونحن في موقعنا هذا".

سألت كارو من جديد: "أتفق معك أن وعي الإنسان محدود. ولكنني أشك في أمر التخيل. هل يوجد مكان لا يمكن للإنسان تخيله؟ هل للخيال حدود؟".

لا يمكنني أن أجزم، ولكن مهما بلغنا من التخيل، فالجنة سنفوق تخيلنا هذا لا محالة؛ ففي الجنة لا وجود لعنصري الزمان والمكان، وهنا يمكن أن نقول بأن الجنة هي هيئة الروح.

فُرعت الأجراس إيماناً ببدء الصلاة المسائية؛ فتوقفت الجلسة عند هذا الحد. اتضح لي أثناء الصلاة المسائية أنه لم يسبق لي أن فكرت في الحياة بعد الموت. طغى علي فكرة الأبدية. كانت فكرة الأبدية خانقة، أبدية في الجنة أو الجحيم.

أن لا تكون هناك نهاية.

أنهينا صلاتنا المسائية، وفي طريق عودتنا لأماكن المبيت سألت كارو:

"ما رأيك حول النتيجة النهائية للجلسة بأن الجنة هي هيئة الروح التي تفوق تخيلاتنا".

صمت كارو قليلاً، ثم قالت:

"لا أعلم"

'ما هي أفكارك حول ذلك المكان الذي يُطلق عليه الجنة؟'.

قلب لي كارو: "لا أعلم، ولكنني أظن أن هذا المكان سيكون مختلفاً عن عالمنا هذا. سيكون مكاناً نحب فيه ونتلقى الحب فقط. لن ألومك لو ضحكيت من سذاجة أفكارك".

"لو كانت الحياة بعد الموت حياة أبدية، إدّاً فلماذا وُجدت حياتنا هذه لو كانت مجرد لحظة عابرة مقارنة مع الأبدية؟ وهل الجنة هي التعويض عن مثل هذه الحياة؟".

نظرت لي كارو بتفحص وهي تقول لي: "هذه الحياة؟".

لم أَسْرسل في الحديث مع كارو بعد ما قلت. لم أخبرها برغبتني في الفناء بعد الموت. بل لم أكن أرغب في الوجود أصلاً منذ بادئ الأمر. كان الأمر سيكون أفضل بدلاً من أن أمرّ بهذه الحياة ثم أدخل بعدها الجنة.

"يونج جو" نادتنى كارو وهي تمسح على ظهرى.

بالقرب من الدير كان هناك العديد من القرى الكبيرة والصغيرة. وكان بعض من الزوار يرتادون تلك القرى ويحتسون الخمر بينما يتساحكون ويتسامرون. ولكن بالنسبة لسكان تلك القرى كان ذلك الأمر مصدر تلوُّثٍ سَمْعِيٍّ لا يُحتمَل، وخاصة في فترة الليل، حيث تكثر المشكلات عادة؛ فكان لزاماً على عدد من المتطوِّعين الوقوف على الطرقات المؤدية لتلك القرى لمنع الزائرين المتجهين إليها. وكان يُطلق على تلك الوظيفة "نايت جارد" (الحراسة الليلية).

كانت تلك المرة الأولى التي أشترك فيها في عمل مع هانجي.

كانت حراستنا الليلية تتكوَّن من عشرة أشخاص، حيث وقف زوج من الحُرَّاس عند خمسة مفترقات للطرق. يبدأ دوامنا من الساعة التاسعة وحتى الحادية عشرة، وكنت زميلة هانجي في دوريه الحراسة عند المفترق "أ". وكان ذلك الزقاق هو الطريق المؤدي من الدير لأكر مدينة مجاورة. كانت الشمس لم تغرب كلياً بعد، حتى بحلول التاسعة مساءً؛ فبدأت السماء كبحيرة تذهب العقول، امتزجت فيها ألوانها بين خليط من اللونين البرتقالي والزهري. النسمات الليلية حملت نفاث من عطر زهور أشجار الزيزفون. جلست في ذلك اليوم بجانب هانجي على المقعد الخشبي نراقب العائلات وهي تعود لأماكن المبيت.

وكانت أماكن المبيت المخصصة للعائلات تقع خارج الدير، والذين يبيتون في تلك الأماكن يركبون دراجاتهم للانتقال بين الدير وأماكن مبيتهم. وكان عليهم العودة للغرف قبل مغيب الشمس، ولكن

بعضهم كان يبقى للصلاة لوقتٍ متأخر من الليل، ثم يتحسّس طريقه معتمداً على ما تبقى من إضاءة لأعمدة الإنارة المنتصبه في الأرقه
سألت وأنا أشير تجاه الجانب المظلم قائلة: "ماذا بظنك سجد لو مشبنا صوب ذلك الاتجاه؟".

قال لي هانجي: "منازل، حقول زهرة دوّار الشمس، حقولاً، محلاب بييد، مطاعم. سمعت أن هناك جدول مائي وإذا مشيت أبعد لوجدت بحيرة. وبين كل ذلك يوجد عدد من الكنائس الصغيرة للصلاة".
قلت له: "سمعت أن هناك أشياء أخرى".

"مش ماذا؟".

"مراهقين يمارسون الجنس بداخل الحظائر".

أوماً هانجي برأسه وضحك، ثم قال:

"هل تتحدثين مع الأخوات الراهبات بتلك الطريقة أيضاً؟".

ضحكنا سوياً.

قال هانجي بوجهه البريء المميّز: "فلنذهب بأنفسنا لعرف ماذا يوجد هناك، ولكن بعد انتهاء الدوام".

أخفضت رأسي في صمت. أخبرته بأنني لا أريد أن أتمشّي في الليل وأوقع نفسي في الخطر في بلد غريب.

لم تكرر التمشية الليلية مسموحاً بها في الدير بعد الساعة التاسعة، اعتاد بعض الزوّار الكذب، مُدّعين بأنهم أزواج؛ للمبيت في الغرف عند المزرعة. وكنا نتظاهر بتصديقهم، ونسمح لهم بالخروج من الدير.

تحدّثت مع هانجي في الكثير من الأمور ونحن جالسين على ذلك المقعد الخشبي. وفي بعض الأحيان كنت أصبح منشغلة تماماً بحديثنا، لدرجة أنني لا أنتبه لخروج الزائرين من الدير إلا بعد أن يكونوا

بالفعل على مسافة بعيدة منّا. كنت أعلم أنه مهما بُحْتُ له فذلك الكلام لن يخرج أبدًا للعالم، والأكثر من ذلك أنني كنت على يقين أنه لن يحكم عليّ مهما أخبرته. ذكرياتي المخجلة، أشياء لا أستطيع أن أسامح نفسي بسببها، كنت أملك الجرأة لأن أحكي عنها أمام هانجي دون أي مقاومة من جانبي. حكيت له عن أمور لا أستطيع السجود بها حتى على هذه الأوراق، تلك الحكايات تخصّه هو وحده.

ورغم ذلك كانت هناك لحظات ألجأت الكلام في فمي.

كمثل اللحظات التي سألتني فيها هانجي عن كيف كان مزلي، ولماذا يُقدّم الكثير من الأشخاص في بلدٍ غنيٍّ مثل بلدي على الانتحار. لم أستطع أن أجيبه بشكل قاطع، فشعرت بالخزي من عدم قدرتي على التحدث بشكل واضح عن العالم الذي أعيش فيه. وبدلاً من الإجابة على سؤاله أخذت أحكي له عن حياة جدّي وأمي والسيدة في المنزل المحاور بدا ذلك مناسباً أكثر للإجابة على تساؤلاته.

أخبرني هانجي عن نفسه كذلك. أخبرني أن مليوني ونصف مليون شخص من أصل ثلاثة ملايين نسمة يعيشون في أحياء فقيرة. وأنه نساء وهو لا يستوعب أبويه اللذين لم يكرثا لهذا الظلم الصارخ. وبما كان يرى أبويه يرتادان الكنيسة للصلاة من أجل إردهار أسرتهما، كان يفكر هو في حال الأطفال الذين يموتون على بُعد بضعة كيلومترات من الكنيسة. وفي الوقت نفسه، اعترف هانجي أن أموال والده سمحت له بتلقّي تعليم جيد، وأن ثّقاني أمه في رعاية الأسرة سمح له بالتّقدّم في ظل حياة أسرية مستقرة. كان يغلق عينيه أمام الحقيقة التي تُذكره بأن الحياة التي حظي بها كانت بسبب ثروة أبيه، وأن هذه الثروة ربما قد تكوّنت من خلال استغلال أحدهم، ولكنه لن يعترف في نهاية الأمر أن النقود هي الشيء الوحيد الذي يؤمن به بصدق ويعتمد عليه.

نحُفُّنا من ساعتينا فقط عندما عاد جميع الأزواج الذر خرجوا من الدير، وحينما لم نَعُدْ نسمع أي أصوات ثرثرة أو أصوات ضحك عالية. كانت الساعة الواحدة فجراً. كنت أظن الساعة لا رالت الحادية عشرة مساءً.

أنهينا صلاتنا المسائية ثم ذهبنا مع هانجي للجلوس على بمر المقعد الخشبي الذي جلسنا عليه في الليلة السابقة.

"أريد أن أريك شيئاً".

أخرج هانجي من حقيبتها التي يعلّقها على الدوام ألبوم صور صغيراً بحجم كفّ اليد. رفعنا الصور لرؤيتها تحت ضوء أعمدة الإنارة.

في الصورة الأولى كان هناك ما يقرب من عشرين شحصاً يففون في المطبخ باستقامة. وفي منتصف الصورة، كانت هناك سيدة ترتدي فستاناً أخضر منقوشاً بورود صفراء وهي تضمّ رضيعاً ملفوفاً في غطاء أبيض. وعلى رأسها ارتدت عمامة نسائية تطابق لون الفستان. أشار هانجي للطفل الملفوف في الغطاء وقال:

"هذا أنا. وهؤلاء هم أقرب أفراد عائلتي".

الجميع في عائلة هانجي، رجالهم ونساؤهم، كانوا ذوي أكتاف عريضة وأقدام ضخمة. كانت البنية الجسدية لوالدة هانجي لا تختلف كثيراً في قوتها عن بنية الرجال؛ فبدأ لي هانجي، الذي تصمّه مثل هذه الأم، كجرو صغير.

"ومن هذا الطفل الصغير؟".

كنت أسأله وأنا أشير لطفل صغير يبلغ حوالي ثلاث سنوات، كان ممسكاً بنهاية فستان أمه وهو ينظر للكاميرا.

"هذا أخي الكبير".

"أليس لك أخوة غيره؟".

"بلى، عندي أخت أصغر مني".

قَلْب هانجي صفحات الألبوم ليريني صورةً ما. كانت صورة طفلة لم يَمْزْ على ولادتها مائة يوم، نائمة في مهدها في وداعة قَلْب هانجي بعض الصور الأخرى وأراني إيّاها. كانت صورًا لنفس الطفلة، ولكنها كانت في الخامسة أو السادسة في تلك الصور وفقد ظهرت وهي مستلقية في سريرها. كان وجه ورقبة الطفلة ذات العشرة أعوام مكتنزان بالدهون، بينما كان شَعرها قصيرًا. كانت نائمة على وسادة مَتَت تغطيتها بمنشفة من الشاش، وكان فمها مفتوحًا قليلًا، بدأ وكأبها مستغرقة في نوم عميق هادئ.

"هل لديك أي صور أخرى لها وهي مستيقظة؟".

عرض عبيّ هانجي صورة أخرى لأخته وهي مستلقية. كان وجهها ممنعًا وهي تحاول الابتسام.

"لها مستلقية على هذا النحو منذ ولادتها وحتى يومنا هذا"

قَلْب هانجي صفحات الألبوم. وفي هذه الصورة كانت الطفلة قد ازدادت وزنًا أكثر من الصورة التي سبقتها، ويقف أمامها والدة هانجي وأبوه مبتسمين.

"هذه صورة التقطتها في يوم ميلادها".

أخذ يتفحص وجه أخته الصغرى مليًا، ثم علا وجهه وميضٌ دافئ، وقال:

"أليست رائعة؟".

أومأت بالموافقة على كلامه.

‘مد أن كنت طفلًا، وكلما كان رأسي مشغولًا كنت أذهب لأختي ليا. وحينما كان يضربني أخي الأكبر ويقسو عليّ دون علم أمي وأبي كنت أذهب حينها أيضًا لغرفتها وأبي في صمت. كنت أشعر بسكينة حينما أنظر لوجهها وهي نائمة في هدوء على سريرها. كنت أحيانًا أتخيل الألعاب التي كنت سألعبها لو أنها كانت مثل بقى الأطفال. كان قسها حبيسَ عمر السنتين”.

تخيلتُ هانجي الطفل جالسًا في غرفتها وهو يراقب وجهها. كان صعبًا عليّ أن أتخيل كيف هي الحياة حينما يجب عليك أن ترعى أحد أفراد أسرتك طوال حياتك.

قال هانجي إن أمّه وأباه وأخاه وجدته وخالاته كانوا جميعهم يتبادلون الأدوار لرعايتها. ولكن يومًا ما سيكون عليه تولّي مسؤولية رعايتها الصعبة بشكل أساسي؛ ولذلك كان يعرف منذ سنٍّ مبكرة أن حياته لا تخصّه وحده.

“لم أفكر يومًا في أمر الزواج والإنجاب أو مثل تلك الأمور. أريد أن أكون مسؤولًا عن ليا. أريد أن أكسب المال، أريد أن أوفّر لها شخصًا يستطيع رعايتها في الأوقات التي أكون بعيدًا فيها”.

كانت أسرة هانجي تحرص على تقليب جسدها مره كل ساعتين حتى لا تُصاب بقرحة الفراش. وكانت تحتاج لشخصين على الأقل لمساعدتها في الاستحمام. والدا هانجي اللذان كانا معتادين على السفر في كل مكان، لم يُعد بمقدورهما الذهاب لأي مكان من بعد ولادتها ولو كان قريبًا. كانت تلك تجربة قاسية، ولكن الأم لم يكن كل شيء، فكل الأسرة كانت تحبها وترعاها بصدق.

ليا أهدتُ أسرتها هديّة الصمت. أهدتهم الوقت لمراقبتها في صمتٍ وهي نائمة لمرتين أو ثلاث على الأقل يوميًا، وهذه الساعات التي لا تُذكر منحت هانجي صلابة العقل.

'كانت تبكي أحيانًا وتبدأ الصراخ مع نوبات الغضب، كان الأمر عاديًا وهي طفلة. ولكنها أحيانًا كانت تبكي لساعات دون توقّف، وكنت أكرهها حينما تفعل ذلك، وأكره الوضع كله. بل إنني كنت أرغب في ضربها بشيء لو كان ذلك سيجعلها تتوقّف. أنا شخص سيئ".

"هناجي، أنت رائع بشكل لا يُصدّق".

"يوجد جو... كم أنت بسيطة!".

غيّرت الحوار الذي بدأ يتّخذ مُنحني غريبًا بيننا.

"هل هذه رحلتك الأولى؟".

"بالفعل هي الأولى. لم يسبق لي السفر خارج نيروبي. كانت المرة الوحيدة التي سافرت فيها في رحلة مدرسية مُتنزّه سيرينجيتي الوطني".

"سيرنجيتي؟".

"حيث نركبن في سيارة جيب وتراقبن الحيوانات البرّيّة".

"هذا رائع"

"بالسبب لي، كانت سيرنجيتي هي حافة العالم. الحقول شاسعة ومتراصة لدرجة أنك قد تظنّين أنها بلا نهاية. وحين كنت في المرحلة الابتدائية كنت أظنها بلا نهاية فعلاً. وحينما عُدتُ من الرحلة المدرسية لبيتنا أخذت أحدثُ أمي وأبي عنها بكل حماس، ولم أكتفِ بالأمر، فركضت تجاه غرفة ليا وبدأت أحكي لها هي الأخرى وأبالي في الأمور التي شاهدها. ولكنني شعرت بالسوء بعد أن حكيت لها، لأنني سافرت وشاهدت أشياء ممتعة بينما هي لم تتحرّك ولو لخطوة واحدة وظلّت حبيسة فراشها طوال حياتها".

قال هانجي إنه كان يفكّر في ليا حينما كان يتناول طعامًا لذيذًا خارج المنزل، وحينما كان يواعد فتاة، وحينما كان يرقص في الملهى،

وحينما كان يغني؛ كان يشعر بالسوء حيالها، ولكنه كان يُسكت ذلك الصوت الداخلي ويُقنع نفسه قائلاً إن مثل هذه الشفقة هي إحدى أنواع النكبر حيالها.

"بالسنة لي، ليا ليست شخصاً منفصلاً. أنا هنا أتحدث إليك الآن ولكن جراً من جسدي يبقى مستلقياً في نيروبي. مهما ذهبتُ، وبغض النظر عما أفعله، فسيظل جزء مني عالماً في نيروبي على الدوام"

كان نظر هانجي مُعلّقاً بصورة ليا داخل الصور وهو يقول ذلك الكلام. الوميض الهادئ الذي شغ من وجهه أرخى بظلاله على قلبي الشاحب

أشبك أصابعي بأصابع هانجي.
وأقبل عنقه.

وأغفو معه فوق المقعد الخشبي تحت ظل الشجرة.

أركب الطائرة وأسافر معه لنيروبي، وأقابل أفراد أسرته طوال القامة الدسن سبق أن رأيتهم في الصور. يرحّبون بي ويتقبّلونني. أبع هانجي لعرفة ليا وألقي عليها التحية. ينظر لي نفس النظره الدافئه الحنون الني يدّخرها ليا. أعبر معه شوارع نيروبي دون حذر، والني، كما قال، لس بها أماكن لعبور المشاة. ثم نقفز في إحدى الحافلات ونتوجّه لمراعي سيرنجيتي. وهناك نقابل وحيد القرن اللذين كان يرعاهما. ويبدوان في صحة جيدة. نشاهد غروب الشمس على المراعي مع زوجي وحيد القرن.

أحمل طفل هانجي في أحشائي، وأستقر في نيروبي، حيث لا يوجد شتاء بارد. نتحدّث عن هذا الدير، ونقول إن الأمر كان منذ زمن بعيد؛ ولذا لا نتذكره جيّداً. ونقول إن أوقاتنا قبل أن نلتقى بعضنا البعض كانت ناقصة.

لا أسنطبع الخلاص من نيروي.

أعيرَ حَفَاضَاتِ لِيَا. أرفعَ عنقها وأطعمها بعضَ الحساء. وطفلي الرائع يجلس على الأرض وهو يبكي، وهانجي لا يعود للبيت. كم أفتقد أبا منّا الأولى حينما التقيت به.

مرَّ الأسبوعان. وانتهت معهما أيام الحراسة الليلة، ولكنني لا رلت ألتقي بهنجي عند أول الطريق يوميًّا بعد كل صلاة مسائية، وكأننا على اتِّفَاقٍ مُسبقٍ غير مُعلن. رغم أننا لم نتبادل الأحاديث المطوَّلة كما اعتدنا في السابق، إلَّا أننا كنَّا نتبادل الحديث بشكل مُقتَضَب لنطمئنَّ كيف قضى الآخر يومه.

كان من الصعب عليَّ التَّعرُّفُ عليه في الأماكن التي نفنقد لجودة الإنارة القادمة من الأعمدة. كان جسده يمتزج بالظلام. بينما كانت عيناه هي الشيء الوحيد الذي أمكنني أن أراه بوضوح، ولكن حين كنت أنظر لتلك العينين كنت أعرف فيمَ يفكّر وبمَ يشعر. كان وجهه يتصلَّب أحيانًا.

لم يكن ذلك الوجه المرتاح بتلقائيةٍ، الذي رأيته أول مرة قابلته فيها. كان ذلك لوقت قصير للغاية، إلَّا أنه بدا كشخص مَيِّب؛ وجه شخص غير حاضر، في تلك الأوقات كنت أعتقد بأنه في نيروبي بالقرب من ليا.

أصبحنا لا نسترسل في كلامنا كما كنا نفعل في السابق. أقصر وقت كان لبضع ثوانٍ، وأطول وقت كان لبضع دقائق. كنا نسير فقط. نلتقط الحلزون الذي يحبو على الطريق ونلقيه وسط الأشجار. وفي أثناء ذلك الصمت أدركت كم أنا متعلِّقة بذلك الوقت وددت لو دام للأبد. لا يمكنني السماح لهذا الوقت أن ينساب بإهمال كباقي اللحظات ويتحول لركام مع الماضي.

كنا نذهب كثيرًا للتمشية خارج الدير.

كانت هناك مقبرة تقع قُرب البوابة الأمامية حيث دُفِن الرهبان الرهـور التي زُرعت في كل ركن من المقبرة جعلت المكان يبدو كحديقة زهور صغيرة. دُفِنَت الأسماء على صلبان خشبية، مع ذكر سنوات الميلاد والوفاة التي حُفرت على شواهد القبور. قبر الراهب الذي أسس الدير كان هناك أيضًا. رجل طيب القلب، نزع لهذه المدينة الصغيرة التي لا يعرف فيها مخلوقًا، وكل ذلك بسبب مقوله لامرأة عجوز قالت له يومًا: "شكرًا لقدومك لهذه القرية المهجورة". وقفنا في صمت أمام قبره ونحن ننظر للصليب الخشبي، وكأن وقوفنا كان عن اتفاق مسبق بيننا.

كانت المقبرة تُطلُّ على تلٍّ انتصبت فوقه شجرة زيزفون شاهقة. كلما هبَّت الرياح، كانت فروع الشجرة الطويلة الطرية تمسح وجوهنا حينما نمشي أسفل منها، بينما تمتزج رائحة زهورها مع رائحة الحشائش المقصوصة حديثًا في الحقل فتدغدغ أنفينا. وكان هناك حصان يعيش عند سفح التلَّة، أطلقنا عليه اسم "بيتر"، كُنَّا نطعمه ثمار التفاح ورقائق البسكويت التي كُنَّا ندَّخرها من آخر وجبة. وحين كُنَّا نقطع التفاح بسكين الاستعمال الشخصي التي بحوزتنا ونضعها على كفوفنا، كان بيتر يلحق راحة كُفَيَّا ثم يخطف النفاحة. وحينما كُنَّا نناديه "بيتر" كان يُسرِع صوبنا وحوافره تدبُّ بيثقل في الأرض، ثم يتمهَّل حتى يصل إلينا، حتى لو كان في مكانٍ بعيد عنَّا، ثم ننتبه للذباب الذي يحوم حول إحدى عينيه المحتقنة بالدماء.

ومن خلف بيتر امتدت مَراعٍ شاسعة نحو الجنوب. كنا نتَّخذ طريقًا بينها ونمرُّ بالخراف ذات الفراء القصير وهي تستظلُّ بالشجر أثناء قيلولتها. وعندما نمشي من الجهة الشرقية من المراعِي، كُنَّا نمرُّ

بكنيسه كاتوليكية صغيرة بُنيت من الأحجار. وقد تحمّعت طيور سوداء ضمت أجنحتها واستقرت فوق سقف الكنيسة. كما في العالب نعود أدراجنا إلى الدير إذا ما وصلنا عند هذه النقطة، ولكن قد نكمل أحياناً لنقطة أبعد من هذه كذلك. لتبدأ القرى من بعد هذه النقطة. معظم البيوت المكوّنة من طابقين كانت قدمية، ولكن الزهور الملوّنة التي مّنت على الحوائط والشرفات أضفت على المنازل إشراقة دافئة.

وبمجرد عبور القرية تجد مجرّى نهرٍ صغيراً يجري أسفر جسر صخري. خلعنا نعلينا وجلسنا نغمر أقدامنا في مياه النهر.

لم نصادف الأمور الجيدة فقط.

فقد كان هناك مَنْ يمرّون فوق الجسر وينادونني "تساينيز" (صينية)، والأكثر عدوانية مَنْ كان يقول: "اللعة على المهاجرين!"، وهم يصرخون ويهدّدون بإلقاء زجاجة الخمر التي كانت بحوزتهم تجاهنا وفي هذه الأحوال كنا نكتفى بمجرد النظر بهدوء أعلى الجسر، لأننا ببساطة لم نخش شيئاً. بعض من الناس كانوا يشتموننا بالفرنسية، وعندها كنت أستفسر من هانجي عمّا كانوا يقولونه، فببنتسم ويجيبني: "لا شيء".

كنت أجلس في مكاني ساكنة أفكر في أولئك الذين هاحموا لفظيّ بعبارات عنصرية ثم هربوا. تُرى، أي أشخاص هم؟ وإلى أين يذهبون بعد عبور ذلك الجسر؟ في الغالب سيذهبون لشراء حاجتهم من السوق ثم يعودون لمنازلهم، أو ربما سيحتسون بعض الشراب مع أصدقائهم. هم أيضاً أصدقاء وأفراد أسرة أعزّاء بالنسبة لشخص ما، وربما شعروا كذلك بالإهانة والتحقير في بعض الأحيان من قبل رؤسائهم وعملائهم. وهم أيضاً عليهم أن يتذكّروا أنهم قد عانوا من

النمرقة بسبب مظهرهم أو سَنَهم، أو خلفيتهم، أو بسبب نحيّر شخص ما، وربما أحسوا بالرقص من شخص أحبوه.

هل كانوا يبحثون عن الانتقام؟

أم أنهم كانوا يستفزّونك لتُظهر ردّة فعلك؟ في حقيقة الأمر، أشفق على أولئك الذين لم يشعروا بالأمان حيال أنفسهم إلا من خلال تلك الطريفة. كم هي حياة خاوية تلك التي تُبنى سعادتها على التحرّش والتنمّر على الآخرين!

كان الوقت يمرّ سريعًا في ذلك المكان، وكنت أتحقّق مر ساعتين بين الحين والآخر؛ أسفًا على كل دقيقة تنساب من بين يديّ. كنتُ أحسّ أننا لم نتبادل بالكاد أيّ كلمات، رغم ذلك فقد مرّت ثلاثون أو أربعون دقيقة وحن موعّد العودة. جفّفنا أقدامنا بالمناشف وعُدنا أدراجا للدير بخطوات أسرع. كانت خطواتنا تشبه الهرولة، حتى إنني شعرت بصعوبة وأنا أحاول اللحاق بهانجي.

عُقدَ في كل يوم اثنين اجتماع من أجل المتطوّعين الذين سيرحلون عن الدير، الاجتماع كان في قاعة استراحة صغيرة لا تزيد عن مائة وخمسين قدمًا مرّبعة. وضعنا طاولات أمام المتطوّعين الذين سيرحلون، وأضأنا بعض الشموع، ثم جلسنا نستمع لهم وهم يحكون عن تجربتهم. وفي المقابل حكى زملاؤهم عن الذكريات والأوقات التي شاركوها مع رفاقهم. كما أننا نظّمنا عرضًا لهم، فمن كان يجيد العزف كان يتطوّع بعزفه، ومن يُجيدُ الغناء يتطوّع بالغناء؛ سينثيا من المكسيك قدّمت أداءً مسرحيًا منفردًا، بينما قدّم جوستافيو من كولومبيا تمثيلًا صامتًا. كما كنا نلعب ألعابًا لو سُنح الوقت.

في تلك الغرفة الصغيرة، تجمّع ثلاثون متطوّعًا من مختلف الجنسيات. لم تكن الإنجليزية اللغة الأم لأيّ منّا. كما نتحدث بالإنجليزية ثم نقول بشكل متكرّر: "ولكن، هل فهمت ما قلت؟".

لو رانا مَنْ كانت الإنجليزية لغته الأم ونحن نتحدث لظراً على الفور أن إنجليزيتنا في مستوى طفل في العاشرة من عمره، ولكننا فررباً أن نفهم كلام بعضنا البعض مهما حدث. سواءً كانت إنجليزية المتحدث ضعيفة، أو لضعف الترجمة على حدٍّ سواء. كان من الصعب نحيل هؤلاء المتطوعين المتعثرين في الإنجليزية وهم يتحدثون بلغاتهم الأصلية.

هذا الجو العام كان مقصوراً فقط على هذا التجمُّع فحسب.

لم تطغ ثقافة دون الأخرى، ولم يكن ذلك ممكناً بأي حال من الأحوال. غنى الناس وعزفوا على الجيتار وأدّوا تمثيلاً صامتاً، وكان ذلك طواعية، رغم أنهم لم يتقنوا هذه الأمور. لم يكن هناك أي موضوع واضح ومشارك بحيث يمكننا مناقشته. عدا بعض الأشخاص، فلم يكن نعلم أي شيء عن بعضنا البعض. لم نكن نعرف الأعمار، أو نوعية الدراسة التي حصلوا عليها، أو أين يعيشون، أو التيارات السياسية التي ينتمون لها، أو سبب وجودهم هنا. ورغم ذلك بذلنا مجهوداً في محاولة فهم كل كلمة كانت تخرج بصعوبة من فم المتحدث ونحن جالسون على هيئة دائريتين في ذلك المكان الضيق. جلسنا على هذا النحو وكأن الجلوس في دوائر هو الهدف الوحيد من هذا التجمُّع.

المتطوعون من أمريكا اللاتينية، الذين لم يتحدثوا الإنجليزية على الإطلاق، كانوا يحضرون الاجتماع ويستمعون للترجمة باللغتين الإنجليزية والإسبانية، بينما استمع الأفارقة الذين لا يتحدثون سوى الفرنسية للترجمة بالإنجليزية والفرنسية. حينما يقول شخص ما شيئاً كانت تتم ترجمته بشكل تلقائي، دفعت جملة قصيرة جداً باللغة الإنجليزية، متبوعة بترجمة طويلة، الأشخاص الذين لا يتحدثون اللغة إلى الانفجار في الضحك.

عبس جبينها ثم ضحكت.

"بونج جو، هانجي أحقق. إنه مميز للغاية".

ثُرى، إلى أي مدى تعرفه؟ وهل حدثت هانجي الأشخاص الذين يعرفهم بالأشياء التي حكاها لي بنفس القدر؟ أصابني الفضول.

قالت كارو: "تبدین مختلفة كثيرًا عن انطباعي الأول عنك".

"وكيف كان انطباعك الأول عني؟".

"طنستك راهبة. راهبة متحفظة جدًا. لا أمزح".

حشيت كارو؛ إذ ربما أكون قد استأت من كلامها، فأضافت قائلة:

"كان ذلك تحيرًا من جانبي فحسب. وتبين لاحقًا أنك حمقاء لا تختلفين في شيء عن هانجي. سمعت الكثير عنك منه يقول بأنك أقرب أصدقائه إليه هنا. أعرفه لما يزيد عن ثلاث سنوات، ولكنها المرة الأولى التي أراه قريبًا بهذه الدرجة من شخص ما".

"هانجي؟".

"نعم".

"ولكنه متوافق مع الجميع".

"صحيح أنه متوافق مع الجميع، لكن لا علم لنا بما يفكر فيه. لم يسبو لي أن رأيتَه يُظهر تعبير الكره لأي أحد؛ ربما لأنه لا يريد أن يتسبب في جرح أي أحد. ورغم ذلك فالجميع يحملون له بعض البغض. لطفه لا حدود له، ولكن هذا كل شيء. ربما كان تعبير البغض غير دقيق، وربما كان من الأفضل أن أقول بعض الاستياء، يبدو أحيانًا أفصل في التواصل مع الحيوانات من البشر".

أخذت أتطلع إلى وجه كارو الجميل وهي تقول ذلك الكلام. رأسها المستدير وملامحها الخلابة، وجلدها اللامع الذي يثير حاسة اللمس

عندي، وأحدث أفكر في أن فتاة بارعة الجمال مثلها لن غشي مع هانجي في الغابة لإلتقاط الحلزون وتلقيه على الأشجار.

"في حفيظة الأمر أنا لا أعلم هانجي جيّدًا. ولا أعلم لماذا قال لك عني إنني أقرب أصدقائه إليه. فكما تعلمين، فالأشغال اليومية كثيرة، ولا أجد معها وقتًا لتبادل الحديث معه."

لست واثقة إن كنت قد تحدثت بصدق عن أنني لا أحب هانجي لهذه الدرجة

في الحقيقة، أنا أتحدث إلى كارو وهانجي يوميًا، ونتمشى حول الدير حينما لا نكون مشغولين في مناوبة، وفي الليل نشترى زجاجة كولا من الماكينة بالقرب من المتجر ونتشاركها. وبعد منتصف الليل، ربما نجلس أحيانًا في هدوء تحت الشجرة عند النافورة. فكيف لي أن أقول هذا. لو كان بإمكانني البوح بهذا... فهانجي يعرفني، وأنا أتخيّل فيم يفكر، كما نخيّل هو فيم فكر وحيد القرن. أحيانًا أجلس على شرفة منزله، رغم أنني لم يسبق لي زيارته من قبل.

ربما ذكر لها هانجي بشكل تلقائي أنني قريبة منه، ولكنني لا أستطيع أن أقول ذلك بالمثل عنه؛ لأنني لو قلت كلمة واحدة عنه، فلربما نظر الجميع بدخلي وعرفوا بخيالاتي عنه. وربما أكون مجنونه بعض الشيء في تلك النقطة.

"يونغ جو، كم عمرك؟"

تردّدت على إثر سؤال كارو.

في كل مرة كنت ألتقي بهانجي صُدفة كنت أشعر بوخز في جلدي عند منطقة بطني وظهري، حتى أنني أسمع صوت تدفق الدم لرأسي، ثم يبدأ قلبي في الخفقان، وأتلعثم في الكلام. وحينما ألحظه ينظر لي من بعيد أشعر بلهيب يمتد من ساقي وحتى ظهر عنقي.

وفي تلك الأوقات كنت أسترجع بداخل رأسي المقياس الزمني الجيولوجي.

تلقيتُ في الصف الأول من المرحلة الإعدادية جدولاً لقياس الزمن الجيولوجي، لصقته على الحائط، وكنت أحب قراءته من البداية للنهاية. كنت أحفظ أسماء الكائنات الحية التي تعيش في كل عصر، حتى أتممت حفظ جميع البيانات على المقياس مع بداية المرحلة الثانوية؛ لأنني شعرت بقيمة الأشياء التي لم يُعد لها وجود الآن، رغم أنها بالتأكيد كانت موجودة في يوم ما.

الدهر الجهنمي (الأرض البدائية)،

لم تكن هنالك حياة على الأرض إبان الدهر الجهنمي. أتخيلها لوحة سوداء بلا رسوم.

الدهر السحيق،

بدأ ظهور أنواع من البكتريا والجراثيم الزرقاء والبُذَيَّات. نفاط متناهية الصغر بدأت تُرسم بنهاية إصبع طباشير أبيض

دهر الحياة الأولى،

حين ظهر قنديل البحر. قناديل بحر ذات أجساد شفافة تسمح بالرؤية من خلالها.

العصر الكمبري،

القشريات والشعاب المرجانية، المفصليات ثلاثية الفصوص.

العصر الأوردوفيشي،

ظهور نجم البحر وكائنات أخرى يُطلق عليها عُريضات الأجنحة (عفارب البحر). ومخروطيات الأسنان المنقرضة.

العصر السيلوري،

الحلزون، المحار، بلح البحر. اللا فكِّيَّات (الأسماك عديمة الفك).

بإمكاني تسميع أسماء كل تلك الكائنات عن ظهر قلب وكأنها صلوات فكِّيَّات الفم، الأسماك الرئويّة، الحلزون الأرضي، رنابو البحر، ندييات تشبه الزواحف، السيكاديات، أركيوبتركس، أول باناب مُزهرة. حينما كنت أردّد تلك الأسماء في رأسي كنت أفقد اهتمامي بالعالم الخارجي، فتخفت المشاعر والأحاسيس بداخلي، وعلى إثر ذلك بخف وعودي رويدًا.

حيث لم يُعدّ الزمان ولا المكان مهمّين.

حينما كنت أشعر بالحزن أو القلق أو الغضب، أو حينما يعتصر أحدهم قلبي ويهزّه، كنت أكرّر تلك الأسماء في رأس، ولقد نجحت تلك الأسماء بشكلٍ ما في تحريري من هذا الألم الذي كان يشقني. فأبدأ "بلدهر الجهنمي"، وحتى "الندييات المختلفة ذات الحوافر"، ولم يكن الأمر وكأنني مَن أنادي أسماءهم، بل كانوا هم مَن نادون اسمي. لم أكن وحيدة في ذلك الوقت.

ثرى، هل علم هانجي بذلك الأمر؟ أنني حينما أكون بالقرب منه أنادي على أسماء كائنات منقرضة. وبأنني أكتب مشاعري تجاهه بتلك الطريقة، وبأنني كنت أخشى لو نجح في قراءة أفكاري وأني كنت أخشى أن يُعرّضني لو عرف حقيقة مشاعري تجاهه ولو بشكل مبهم.

أنا الني لا وجود لها في أي مكان. وهانجي الذي ألحظه على الفور ولو كان من بين المئات.

أنا التي لا أملك الثقة بالنفس، والمتلعثمة في أي حوار. وهانجي الذي يتحدث بتلقائية مع كافّة الناس.

أنا التي أُحفي فمي لعجزي عن الضحك بشكل سليم. وهانحي
ذو التعابير التلفائية غير المصطنعة.

ظننت حينها أنه ربما لم يكن مُعجَّبًا بي، وكل ما في الأمر أنه كان
يرعاني لأسى أجد صعوبة في عقد صداقات مع باقي الأشخاص.

لم نكر متساوين في تلك العلاقة؛ لذا كان من الصعب أن نكون
حبيبيّ، ولم أكن كافية حتى في علاقة الصداقة. لم يخبرني أحد بذلك،
ولن يحكم عليّ أحد بذلك أيضًا، ولكنني كنت أعلم تلك الحقيقة
عن نفسي وحينما يخالجنني ذلك الشعور أتذكر على الفور جملة
حبيبي السابق «سمحت لي بمواعيدتك». ربما كان الشيء الذي وثّقنا
ببعضنا طوال تلك السنوات الثلاث هو اشتراكنا في نظرتنا الدؤيَّة
لأنفسنا. كل ما في الأمر أن عُقْدَةَ النِّقْص لديه كانت أسوأ من عندي؛
مما سمح لي باحتقاره، بينما تجنَّبْتُ احتقار نفسي.

سألني هانجي: «فيم تفكرين؟».

«أفكر في أمر عودتك لنيروي بعد شهر ونصف».

صمت هانجي.

سألته «نرى، كم سنذكر من الوقت الذي أمضيته هنا حينما
نعود لحياتنا العادية؟».

أجاب هانجي: «في الغالب سننسى أغلبه».

«أكره ذلك».

«ماذا؟».

«النسيان».

استخرجت دفتر مذكراتي اليومية من حقيبتي وفتحت له لأرسله إياه.
«هذا دفتر يومياتي. كنت أكتب فيه بشكل يومي منذ أن وصلت
هنا بامكانك قراءته».

فلب صفحة ثم التي تلتها، وهو يضحك عاليًا.

«الحروف تبدو مثل رسمة ما. انظري» كان يشير إلى أحد المقاطع
التي كتبها وكانت⁽¹⁾ 〆 «هذه تشبه شخصًا يرقص»
أخذ هنجي يتحسس الكلمات كأنه أحس بجذائيتها.

قال: "أوه أستطيع قراءة هذه: الثالث والعشرون من يونيو. هذا
تاريخ وصولي. كنت متعبًا من قيادة سيارة متهاكة حتى مطار
لبور في يوم حار كيومنا هذا. هذا الذي يدعى هانجي، أو أيًا كان
اسمه، ظل يتحدث بالفرنسية بصوت عالٍ ومزعج، أردت أن ألكمه.
ولم كان عليه أن يتحدث معي بينما كنت أحاول أن أغفو في الكنيسة؟
وكيف بنسى معجون أسنانه وهو سيكون مسافرًا بعيدًا عن بلده
لمدة ثلاثة شهور؟ وبسببه اضطررت للذهاب للمتجر". كان يخلق
نلك القصص ويمثل أنه يقرأ المكتوب وهو يتتبع النص بإصبعه،
وكانه يحد فراءة الهانجل. ضحكنا سويًا بعدها.

سألني هنجي: "هل كتبت أي شيء عني؟".

أنت نظهر فيها بشكل يومي منذ الثالث والعشرين من يونيو.
ولت له مازحة: "بالكاد حكيت عنك".

قال ضاحكًا: "ظننتك صديقتي".

"هانجي يعمل في المطبخ الكبير". ثم قلت له: "هذا اسمك"..
أشرت للمقطع المكتوب في الجملة كالتالي "한지".

(1) يعني: ملابس

قال لي: "إنه جميل. وكيف يبدو اسمك؟".

كتبْتُ: 한지 بجانب 영주. حينما كتبت الاسمين جنبًا إلى جنب بدا وكأن بينهما مودة.

قال لي هانجي وهو يقلِّب الصفحات: "لن تقدرِ على سِسان الوقت الذي قضيته هنا. الكتابة تبدو صعبة بالنسبة لي. كيف تمكَّنتِ من التدوين بشكل يومي؟ احكي لي عن الوقت الذي بقضيه هنا الآن حين ألقاك لاحقًا؛ هذا لأنني كثير النسيان".

"سأحكي لك بكل تأكيد".

كنا نتحدث دومًا بتلك الطريقة، أننا سنلتقي من جديد يومًا ما رغم عُمنا بصعوبة الأمر. كنَّا نتحدَّث وكأن بإمكاننا اللقاء مجددًا كحيران يبعدان عن بعضهما مجرد ضغطة زرٍّ الجرس. وكأننا نسكن بالقرب من بعضنا البعض بدرجة كافية لدرجة تمكُّنا من تناول طعام العشاء سويًّا بينما نرتدي نعالنا المنزلية. وبذلك الطريقة حاولنا تجاهل حقيقة أننا في الغالب لن نلتقي مجددًا لما تبقَّى من حياتنا.

قال هانجي "يونج جو. أعلم أننا سنلتقي مجددًا".

"نعم"

أخذت أهدِّق في 영주 و한지 الجالسين بجانب بعضهما البعض في دفترِ

لازال كل من 영주 و한지 في دفترِ.

حينما أقرأ ما دوَّنته عن تلك الفترة، بإمكانني استحضار الضحكات والفصص التي تشاركنها سويًّا، والتمشيّات المسائية وحتى رائحة أشجار الزيزفون التي عبَّقت هواء الأمسيات. كانت كل الذكريات حيَّة: وجه هانجي المبتسم لي، ونعله الرقيق الذي اشتراه من المتجر، الكولا التي تشاركنا فيها، والمقعد الخشبي المتهالك الذي كان يسقط

للوراء بسبب اهتزاز رجله. ورغم ذلك فوميض تلك الحكايات بدأ يحفت وكأنها لم تحدث مُطلقًا. رغم أنني أذكر تفاصيل الوقت الذي قضيته معه، إلا أن حقيقة تلك الذكريات تتلاشى تدريجيًا.

لا زلت لا أدري لماذا أشاح هانجي بوجهه عني.

لا زلت عاجزة عن فهم ذلك التصدُّع.

أكرّر على نفسي على الدوام أن عليّ أن أتحرّر من الأشياء التي أعجز عن فهمها حتى مع مرور الوقت، ورغم ذلك فلا زلتُ غير قادرة على سياتن أي ذكرى ولو صغيرة.

في بداية الأمر ظننت أنه ربما لم يلحظني. لا محال أن يكون فد رأني وأنا ألوح له، ثم تظاهر بأنه لم يرني، ولكنه تخطّاني في ذلك اليوم مرارًا وتكرارًا دون أن يلحظني، حتى إنه لم يظهر عند المقعد الخشبي الذي نلتقي عنده كل ليلة. ظننت أنه ربما قد يكون مريضًا، حتى رأيناه وأنا عائدة للسكن بعد أن عُدْتُ من عند المقعد الخشبي، وأنا أضاحك مع بعض المتطوّعين الأفارقة. حينها رفعت يدي مرّة أخرى ولوحتُ له، ولكنه حوّل رأسه.

حدث ذلك في الثاني عشر من سبتمبر، قبل أسبوعين من سفره لنيروبي.

كتبْتُ: "هانجي حوّل نظره بعيدًا".

ربما كان مستاءً من شيء لا أذكره. ربما ألقيت عليه دعاية وقحة. ولكنني كنت حريصة على الدوام؛ لأنني لم أشأ أن أجرح مَنْ أحبُّ لم أكن طفلةً تتحدث كيفما تشاء دون مراعاة لما تقول، وحتى لو افترضت بأنني أسأت إليه، ألم يكن من الممكن أن نتحدث في الأمر؟ تُرى، هل افترفتُ أمرًا جَلَلًا بحيث يعجز معه النظر لوجهي أو الكلام معي؟ أو هل حدّثه أحد ما عني بسوء أو حاول الإيقاع بيني؟ لو

حاول أحدهم التحدث عنك بسوء أمامي لما كنت صدقهم، وعلى الأقر كنت لأستفسر منك عن الأمر.

هانجي قل لي في تلك الليلة أيضًا: "أراك غدًا"، في الظلام، وبنفس تلك العيسير المحببتين، أنت قلت لي ذلك.

رغم ذلك فهنالك ما يزعجني. كان يقول لي بشكل متكرر. "أنت بسيطة". كان يقول لي ذلك وهو يضحك، ورغم ذلك شعرت في عدة مرّات بأنه يعني ما يقول. وفي مرة، بعدما قال لي: "أنت بسيطة للغاية"، أردف، وكأنها أراد أن يُفسّر كلامه، قائلاً: "فالبساطة محمودة". ولكنني لا زِلْتُ لا أعلم ماذا كان يقصد ببساطتي.

كانت حدّتي تقول لي وأنا طفلة: "الذاكرة موهبة. وقد وُلدت بها، ولكنها مؤلمة؛ لذا حاولي أن تكوني أقلّ حساسية، وكوني أكثر حيطة مع الذكريات الجميلة يا عزيزتي؛ فالذكريات الجميلة تبدو كالجواهر، عبر أنها في حقيقة الأمر جمرٌ مُستعير، ستؤذِن نفسك لو أطبقت عليها؛ لذا أطلقِي سراحها وانفُضي غبارها عن يديك. بُنِيتي، تلك ليست بالهدايا".

ولكنني أتذكر.

حدّتي، التي كانت تدين بالبوذية، قالت لي يومًا إن الأموات يستمرّون في التناسخ بسبب ذكرياتهم عن هذه الحياة. وقالت: حين يلتصق قلبك بذاكرة، فلن تكون هناك طريقة لنزع تلك الذكرى، وبذلك يتجدّد الميلاد فينا مرّاتٍ ومرّات. قالت لي ألا أتأدّى بشكل مبالغ فيه بعد موت عزيز أو فراق حبيب، وأن أنتحب ما شئت، ولكن أن أحذر من أن يتلعني الحزن. وإن لم أفعل؛ فسأظل حبيسة هذا العلم، لا أنفك منه. الجزء الأخير أرعبني.

فالوقت يمرُّ، والناس يرحلون، ثم نصبح وحيدين مجدّدًا.

وإن لم نبذل هذه الحقيقة، فستعمل الذاكرة على نأكل الحاضر،
وتُرهق العقل، حتى يقودنا للشيخوخة ومُرضنا.

كان ذلك ما قالته لي جدي.

أذكر كلماتها تلك على الدوام.

بدأ هانجي يعاملني كأنني غير مرئية بشكل صريح. لم يكن الأمر
محرّد تجاهلٍ لتحتي حين ألقاه، ولكنه بدأ يدير ظهره ويغيّر مساره
حال قابليّ صدقة. لم يحمل في عينه أي غضب، ولو القليل. كل ما
في الأمر أنهما بدّوتا غير مكترثين، باهتتين ومتعبتين. لم أملك القدرة
على اللحاق به أو حتى النطق باسمه. لم أملك الشجاعة.

تابعت هانجي وهو يزيل القمامة من مكان بعيد. كان يرتدي
قفازًا في يده اليمنى وصل لرفقه، بينما حمل ملقطًا في يسراه كان
يستخرج الأكياس البلاستيكية، القوارير الزجاجية، والعلب الورقية من
سلّة القمامة ويضعهم في كيس شبكي، وأخذ يكرر تلك العملية. أخذت
حنّات العرق تتساقط من ذقنه وعنقه وإبطه، بينما ابتلّ قميصه
الأزرق تمامًا من منطقة الظهر. كان فمه مفتوحًا قليلًا، وظهره محببًا،
وهو يقوم بمهمته في تركيز وصمت.

كنت أتوقع أن أفقده في يوم ما، ولكن ليس الآن.

حينما كان يتسم لي، ويدّخر من وقته للتمشية معي، ويقول بأنه
يعتبرني أقرب أصدقائه؛ كنت أعتقد أن هذا من باب المبالغة، ولكن
يطل الأمر مُججّفاً حينما ينتهي كل هذا دون أي تفسير.

اقتربت من هانجي وهو يزيل القمامة. وقد أحسست حينها
بالدوار.

مكتبة

t.me/soramnqraa

"هانجي!"

نظر لي دون أن ينبس بكلمة، وكان وجهه جامدًا، خالبًا من أي ابتسامة وحين رأيت وجهه هذا نسيت ما أردت قوله، وكنت مصدومة لا أقدر على النطق. بقيت نظراته عالقةً لوهلة عى وجهي، ثم انصرفت.

كان ممسكًا بحقيبة شبكية مملوءة بالزجاجات البلاستيكية. لاحظت عددًا من الذبابات الطائرة تحوم حول زجاجات الكولا التي بدت لزجةً للغاية، ثم سمعت صياح بعض الناس الممزوج بالضحك قادمًا من مكانٍ ما. وبينما وقفت في مكاني عاجزة عن استجماع الكلمات، أخذ هانجي يضمُّ فتحة الكيس الذي بحوزته بيد واحدة وحملها بعيدًا. كان يمشي متصلبًا في جمود كدمية خشبية.

وقفت متسمةً في مكاني أمام صندوق القمامة أحدق في الرقعة التي شغلها هانجي منذ دقائق قليلة. هانجي لم يقل لي أي شيء، ولكنني كنت أعلم، فالسبب الذي جعله يتجنبني لم يكن مهمًا؛ إنه يتجنبني الآن، ورفض ذلك الأمر يحوِّله وكأنني أضايقه لم أريد أن أضايقه.

لم يكن من الصواب أن أعتذر له بأي طريقة، أو حتى أن أطلب تفسيرًا.

الناس يرحلون... هكذا قالت لي جدي.

وكل ما عليّ هو أن أقبل هذه الحقيقة كما هي.

هذا ما همست به لنفسي.

أحلم في بعض الأحيان، أحلم بتمشية مسائية.

مثل فترة الدهر الجهنمي، حين لم يكن على الأرض حياة؛ لا حلزون ولا أشجار الزيزفون، ولا بيتير الذي يحوم حوله الذباب، ولا خراف تنعس وقت قيلولتها، ولا وحيدتي قرن هانجي، ولا شباب ولا عذرة،

ولا طلبية دراسات عليا، ولا رهبان، ولا عُنصريّين ولا قمامة تخرج من أفواههم.

في تلك العنمة الفارغة، أفكّر حينها "كم كانت الأرض مكاناً وحيداً ذات يوم".

فأخذت الأرض ترتفع وتتآكل وتترسّب بقوة.

بلا هوادة، حتى وإن كانت وحيدة.

العالم رمادي، وتُصدر البراكين دويّاً هائلاً من بعيد. أنا ذاهبة في ذلك الاتجاه. أمشي لوقت طويل حتى أرى كنيسة صغيرة بالقرب من الدير، السكن المخصّص للعائلات، القرية التي مشيت فيها مع هانجي. وأرى نفسي وهانجي من بعيد ونحن نُبلّل أقدامنا على جانب النهر. ولا أحد سواهما في هذا العالم. عليّ أن أنزل من أعلى الجسر وأسرع إليهما، ولكنني لا أجد طريق النزول، ومهما عانيت فلا أهتدي للطريق.

وفجأة يتغير المنظر.

أحسر مع هانجي على المقعد الخشبي أمام النافورة، بحلس في الظلام في صمت.

بقول لي هانجي هذا الكلام.

"سألتني من جديد، وحينما نلتقي احكي لي عن الذكريات التي فقدتها؛ هذا لأنني سأنسى كل شيء، حتى أنت. وهذا الوقت".

قل هانجي هذا الكلام وهو يضحك في حزن.

أردتُ أن أجيبه، ولكنني لم أقدر على فتح فمي. أحاول جاهدة أن أنظر صوبه، ولكن كل ما أجده هو كيس شبكي في مكانه وقد فتح فمه على آخره. الكيس الذي ملأه هانجي بالزجاجات البلاستيكية.

لم أرغب في أن أحتجُ بألمي أمام الآخرين.

فُمتُ ببساطة بأداء حصتي من المهام الموكلة لي، أكلت، وحضرت الصلوات الجماعية ثلاث مرات يوميًا. وفي الوقت الذي كنت أتمشى فيه مع هانجي بدأت أقرأ في السكن في الغرفة المشتركة أو أحتسي الشيكولاته الساخنة وأتسامر مع المتطوعين الآخرين. وفي المساء كنت ألعب لعبة الورق، أو أصنع الأساور مع الفتيات القادمات من أمريكا اللاتينية، وألعب تنس الطاولة على المائدة في الغرفة المشتركة. صحت حتى دمعت عيناوي. وبحلول الساعة الثانية عشرة مساءً حينما أدخل الغرفة أجد جميع الفتيات المشاركات لي في الغرفة قد نمن: فأتدثر تحت غطائي وأبكي دون صوت حتى أنام.

جاءت كارو لرؤيتي في إحدى تلك الليالي. فتحت باب عرفتني وهمست باسمي.

"يونج جو".

سحبُ غطائي فوق رأسي وتظاهرت بأنني نائمة.

"اسيفطي يا يونج جو، لن يستغرق الأمر طويلًا".

جففتُ وجهي المبلل بالدموع فوق وسادتي ونهضت. مشينا حتى واجهة المخزن، ثم أحضرنا صندوقين ورقين لنجلس عليهما.

"آسفة لإيقاظك، ولكنني وجدت أمر التحدث معك صعبًا إن لم أفعل ذلك، فبعد أوقات العمل أجذك في صُحبة باقي الفتيات في الغرفة المشتركة".

"هذا صحيح".

"شعرت بأنك تتحاشين الكلام معي على انفراد".

"لم أناشاكِ مُطلقًا".

"لو لم يكن كذلك فأنا آسفة. في الغالب أنت تعرفين فيم أريد أن أحدثك"

"لأمر بخصوص هانجي. هل حدث شيء بينكما؟" اهتز صوت كارو في صعب.

وحه كارو جميل. أنت لا تعملين شيئاً فجأة شعرت بنفسي حانقةً عليها وهي التي لا ذنب لها.
ولماذا تسألينني عن ذلك؟"

"من باب الفضول. لماذا لا تلقيان التحية على بعضكما البعض بعد أن كنتما ملتصقين. الجميع يتحدث عنكما، هل تعلمين ذلك؟ رغم أنهم لا يذكرون الأمر أمامكما. هانجي يبدو مُتعباً. لم يحضر إلى التَّجمُّع الإقليمي الثلاثاء الماضي، ويبدو أنه لا يلتقي ببقى الرفاق في السكن كذلك".
ومذا إذن؟"

"لا أعلم لماذا تعاملين هانجي بهذه الطريقة. إنه شخص طيب كما تعلمين".

فقدت الكلمات.

قلت لها: "لا أعلم ماذا سمعت من هانجي".

"هانجي لم يَقُل لي شيئاً".

"إذاً لماذا تُخْمِنين كل تلك التخمينات والتحليلات وتوجَّهين لي الاتهام وحدي وتوقعين عليَّ اللوم، هل أيقظتيني من سريري في هذا الوقت المتأخر لتضايقينني؟".

أدركت أنني أقول أمورًا فظيعة. كانت كارو تسأل بكر ساطة، رغبة في الاطمئنان على هانجي، ولكنني تصرّفتُ بدافع عاطفي. انفصلت عن ذاتي ونظرت لنفسي بلا مبالاة وأنا أنحدث بشكل عاطفي.

قالت كارو: "أنت تتحدثين وتضحكين، وتلعبين الورق وتنس الطاولة مع الآخرين. وفي الوقت نفسه هانجي يعاني". رغم أن برة صوتها كانت حذرةً، ولكنني أحسستُ من كلماتها أنها تحكم عليّ. "نعم أنا أفعل ذلك، وماذا يعنيك في الأمر؟".

قلت لها هذا الكلام بكلمات إنجليزية مقتضبة ومباشرة. كانت كلماتٍ لفظها طفل صغير فبدت طفولية وحادة. أردت أن أشرح لها أنه يتجاهلني، وكم يؤلمني هذا الأمر، ولكنني لم أستطع أن أشرح لها لِمَ لَمْ أقدر على سؤال هانجي عن سبب تغييره هكذا. المفردات الإنجليزية الطافية داخل رأسي فشلت في تحقيق نظام، وأخذت نتسابك ونتعقّد حتى عجزتُ عن النطق بها عاليًا. كارو. لم يكن ذلك ما أردت قوله. امنحيني دقيقة. دقيقة لأفكر، لأختار الكلمات الصحيحة حتى أكوّن جملة ذات معنى.

نظرت لي كارو وقد اتسعت عيناها. لا يمكن للكلمات الصريحة أن تخرج كارو. ما رأيت في عينيها كان خيبة أمل. وكأن عينيها قالتا لي "إذا فهذه هي حقيقتك ولا شيء آخر".

"فلتُ ما قلته لأنني كنتُ قَليلةً عليكما. قلت لك ذلك سابقًا، هانجي لم يسبق له أن كان قريبًا من أحد مثلما كان قريبًا منك. يونج جو، هانجي إنسان جيد. شعرت ببعض الراحة حينما وجدته قد نجح أخيرًا في تكوين صداقة جيدة؛ لأنه كان عنده ذلك الجدار غير المرئي على الدوام. وظننتُ أنه تمكّن من هدم ذلك الحدار معك، ولكنه يبدو مجروحًا".

كانت صامتة لبعض الوقت، ثم قلت: "هانجي يتحاشاى لا
أسطيع حتى أن أكلّمه".
"هه تشاجرّمّا؟"

"كلّا، كا نحدث في اليوم السابق قبل أن يبدأ في تجبّ الكلام
معى".
"حقًّا؟"
"حقًّا".

"يوج جو، لا أفهمك. إذا اذهبي وواجهيه بالأمر. اسأليه لم
يتحاشاك. عليك أن تحلّي الأمر. ولكن لا تفعلين مثلما تفعلين الآن، أن
تستمرّي في الاستمتاع بحياتك، وكأن شيئًا لم يكن، ليس من مصلحتك
ولا مصلحته. أنت تكذّبين على نفسك بالتظاهر بأنك سعيدة هنا
بينما لديك ما يشغل عقلك".

قلت لها وكأنني لم أسمعها:
"سأخذ للنوم الآن؛ فلديّ عمل في الفترة الصباحية".
كارو، لا أريد أن أضايق هانجي.

في ذلك الأسبوع، عملتُ في مطبخ الجِمية؛ فبعض الزوار كانوا لا
يتحمّلون اللاكنوز أو الجلوتين، أو لديهم تحسّس تجاه البقوليات أو
المكسرات أو القشريات أو الطماطم ومثل تلك الأشياء. وكنا نحضّر
وجبات خاصة لهم في مطبخ الجِمية. كنا نسلق البطاطا والحزر
والبيص، ونطهو الأرز المسلوق والكسكسي المبخّر، ونغسل الخس
لتحضير السلطة. والقليل من الناس كان بإمكانهم تناول الأجبان؛ لذا
جهّزنا بعضًا منه في السلة.

في ذلك اليوم كان مخزون الجبن قد نفذ منّا؛ فأرسلني الشخص
المسؤول عن مطبخ الجِمية إلى المطبخ الكبير. كنت أعلم أن هانجي

يعمل هناك، إلا أن المطبخ الكبير كان واسعاً بما يكفي بحيث لا يراى حين أدخِر للمنطقة الخلفية من المطبخ حيث توجد النلاحيات وبذلك أخذ غرصي من المكان ثم أرحل سريعاً.

أضأت نور مخزن المؤن ودخلت فوجدت هانجي يحمر صندوق التفاح.

نظرت لوجهه لمدة ثانية، ثم أفسحت له الطريق دون أن أنطق كلمة واحدة. ولكنه وقف في مكانه يتابعني وهو يحمر الصندوق بين ذراعيه.

وبعدما وصعت جميع قطع الجبن في سلّتي، وحينما استدرت، كان هانجي لا يزال واقفاً في مكانه. ارتعش المصباح المعلق في سقف مخزن المؤن. رغم أن هانجي ظل واقفاً في مكانه وشكله يوحي بأنه يريد أن يقول لي شيئاً، إلا أنه لم ينبس بكلمة واحدة.

مجرد أنه لم يتجنّبني منحني الشجاعة لأتحدث إليه.

خفضت نظري تجاه التفاح في الصندوق الذي كان يحمله، ثم قلت له

"شكراً لأنك لم تتعاشني. لن أخذ من وقتك كثيراً. لا يمكث أن نبقي هنا كثيراً على أي حال لأن الجو بارد للغاية؛ لذا اسمعني من فضلك، لا نرحل وكأني غير موجودة". أنهيت كلامي ونظرت لوجهه كان يبيكي.

"لن أسألك عن سبب تصرفك على هذا النحو. رغم أنني أود معرفة السبب، ولكن ما فائدة ذلك؟ لو كنت قد اقترفت خطأ في حقك، فسواء سامحتني أو لم تفعل؛ فالأمر يرجع لك. وإن كنت نفعل ذلك ليس بدافع شيء قد قمتُ به ولكن لأسبابك الشخصية؛ فبإمكاني تفهم ذلك، أيّا كانت تلك الأسباب. ولكن إن كنت قد أسأت الظن بي

بسبب كلام أحبك به شخص آخر وأنت لم تر إخلاصي، فإنه لأمرٌ مُخزٍ حقًا". كنت أرتعش من الخوف والبرد معًا وأنا أتحدث. "لا بهمني كيف نعملي بسوء، ولكن لا توجد طريقة في هذا العالم تجعلني أكرهك. أنا راضية بهذا الوضع، شرط أن أشاركك نفس المكان. إني أبكي حتى وأنا أسير كلما فُكِّرتُ في أنني لن أراك بعد أسبوع. أعنفد أني لن أستطيع أن أتحدث معك هكذا بعد الآن. هانجي أرجوك لا تختف من حياتي".

كنتُ دموعي ومالكُ نفسي قدر الإمكان لأكمل كلامي.

"هانجي، لن أزعجك بعد الآن. اعتنِ بنفسك في تيروبي. قلتُ بأنك ننسى سريعًا الأحداث التي حدثت في الماضي. أبقى الذكريات الجميلة وانس الباقى. لا، بل انس الذكريات الجميلة أيضًا. أتمنى أن تبقى صحة جيدة، وكذلك أسرتك، وليا".

"هانجي! هل أنت بالداخل؟".

كان هنالك مَنْ يطرق الباب من الخارج ويبحث عن هانجي

مسح هانجي دموعه بظهر كفّه وفتح باب مخزن المؤن ثم خرج.

خرجت بعده على الفور، ولكن البرودة التي سَرت حتى عظامي لم تنفك عن جسدي سريعًا. ورغم ذلك كانت جبهتي تغلي بالحرارة.

قدّمتُ على طلب تأمّلٍ صامت لمدة أسبوع.

جمعت كل أغراضى من السكن وذهبت لبيت الصمت، الذي كان يقع خارج الدير. كان بيتًا قديمًا ذا حديقة كبيرة. وأطلقَ لفظ "حديقة" على المكان، ولكنه في حقيقة الأمر كان حوضًا فوضويًا لنباتات غير مُعتنى بها بدت جُحرًا مناسبًا لخروج الحيات منه ليلاً. في بيت الصمت، كانت لديك غرفة خاصة بك، وتصلك الوجبات من

الدبر. ولتصل للدير كان عليك أن تمشي لمدة نصف ساعة لحضور الصلوات الجماعية، كما يتم إعفاؤك من الأعمال الأسبوعية المعتادة. اليوم بلا أشغال كان طويلاً ومؤملاً. حاولت أن أمالك نفسي وأن أقرأ، ولكن عيني لم تقع على أي كلمة.

بدأ التعب الناتج عن العمل طوال تلك الفترة والقلق والأوهام التي لم فمغها سابقاً تتقافز بداخلي. وأكثر الأوهام الدئسة التي راودتني حينما كنت أفكر أنه كان في وسعي أن أبقى على علاقة جيدة مع هانجي لو أني فعلت في الماضي هذا أو ذاك.

حينما سألتني أن أرافقه في تمشية في منتصف الليل، ماذا لو كنت وافقت بدلاً من رفض طلبه؟ وحين سألتني لو كنت كتبت عنه في مفكرتي، ماذا لو كنت صادقة معه وأخبرته أن معظم الأشياء التي كتبتها كانت عنه؟ حينما حدثني عن الحيوانات التي لم يسعه إنقادها، ماذا لو كنت تركت صمتي إثر دهشتي وقلت له لأواسيه: "لم يكن خطأك؟" وفي الوقت الذي كنت أثّر فيه حول أصل الحلزون، لم لم أمنحه الفرصة ليتحدث عما أراد أن يقوله لي؟ هل خنّفته بساتني؟ ربما حاولت لقاءه بشكل متكرر. هل احتكرت الوقت الذي كان يُخصّصه لنفسه بحيث دقّعتَه للإحساس بالضجر من تمصبة الوقت معي؟

الصمت دفعني بقوة لرؤية الوجه الحقيقي لرغباتي بشكل صريح.

الرغبة في تلقّي الحب، الرغبة في التواصل مع أحد ما بشكل عميق وبلا فراق، الرغبة في النسيان، الرغبة في عدم النسيان، الرغبة في أن يستوعبني أحدهم كلياً دون أن يعارضني، الرغبة في ألا أُجرح، الرغبة في أن أحب حتى لو جُرحت، والأهم من ذلك، الرغبة في أن أرى هانجي.

بعدما التقيت بهانجي في مخزن المون قرّرتُ ألا أسعى لرؤيته

كتب لألتقي به لو أنني جلست في مقاعد المتطوعين في الكنيسة أو ذهبت للمطبخ الكبير، ولكنني بذلت جهدًا واعيًّا حتى أُجَبَّ لواءه. كان من المفترض أن يعود لنيروبي بعد أقل من أسبوع في ذلك الوقت، وظننت أن تخيُّل أنه قد سافر بالفعل سيكون حلًّا أفضَّ أمًّا، احبار ألا أراه الآن كان أهونَ عليَّ من عدم قدرتي على رؤيته لاحقًا.

كلُّما دخل هانجي أفكاري، دخلتُ خلال الحشائش الطويلة في الحديقة وأنا أسمع الجدول الزمني الجيولوجي. ولكن تسميع الجدول لم يفلح في إبعاد خياله عن ذهني. كان يتنقَّس في كل عصر جيولوجي. كان هناك وقت الخلق الأول للأرض، وحينما لم يكن الكوكب سطحًا صلبًا، وحينما لم تظهر حيوانات اليابسة بعد. كان خالداً ما دُمْتُ أذكره. وقد قبلتُ هذه الحقيقة.

جلست على كرسيٍّ في أحد أركان الحديقة وكتبت ما أردت أن أقوله لهنجي. كتبه بالكورية أولاً، ثم بالإنجليزية، ولكن مع أخطاء إملائية جسيمة، وفقرات مفقودة هنا وهناك.

هانجي

أنا في بيت الصمت الآن. الساعة الخامسة عصرًا، والجو بارد بعض الشيء. الليلة، ستحضر حفلة وداعك برفقة الآخرين. أحدهم سيعزف لك الجيتار، وغيره سيغني، وآخر سيتحدث عن ذكريات الوقت الذي قضاه معك. أنت وكارو ستحدثان عن الوقت الذي فضيماه هنا، وستشكران الجميع. لن أكون موجودة في حفل الوداع، وستكون مرتاحًا لأنني لم أظهر.

ستغادر لنيروبي غدًا، وهناك ستجتمع مرة أخرى بعائلتك في منزلك وقت العشاء. كم ستكون ليا سعيدة برؤيتك. وكم ستكون سعيدًا

برؤيتها. ستستحم، وتُفرغ حقائبك، ثم تتناول الطعام مع عائلتك سترىهم الصور التي التقطتها على هاتفك وتحكي لهم عن هذا المكان وكأنك لم تُمر سوى بالأمور الجيدة فقط. وفي الوقت ذاته ستشعر بالذنب لأن أسرتك لا تستطيع أن ترح مكانها؛ ولذا ستكون في خدمتهم بشكل أكبر، وربما ستعود عمًا قريب لعملك في المشفى البيطري.

وبمرور الوقت ستكون مرتبًا بعض الشيء، وربما شعرت بعض الغرابة أنك قضيت بعض الوقت في دير في قرية ريفية نائية، وأنتك شاركت حكايتك مع فتاة كورية صغيرة الحجم، وتمشيت معها يوميًا، وحينها سيكون السبب الذي دفعك لتجنب تحيتي وتجاهلي قد نلشتي. وحين تذكرني في تلك اللحظة، سأكون قد تحولتُ لذكرى بلا وجه ولا صوت. سأكون شخصًا لم يترك في حياتك إلا أثرًا طفيفًا لا يُذكر، وربما لم أترك أي أثر من البداية، شخص غريب لا علاقة له بك.

ومثلك، سيكون عليّ ترك هذا المكان والعودة لمحل إقامتي الأصلي. وسأواصل دوامي في المعمل من جديد، وأتعامل مع الصخور، وأسافر في رحلات علمية لكهوف اليابان والصين، وسأرتدي الملابس، وأضع تعبيرات على وجهي أكثر ملاءمةً لعجري، وسأكافح حتى لا أدخل في صراعات مع أي أحد، وسأندكر وقتي هنا بين الحين والآخر؛ أكثر وقت شعرت فيه أنني على طبيعتي، وسأندكر نفسي وأندكر مر ذلك الوقت.

أشكر لبقائك معي في قلبي الوحيد.

هانجي،

أمل أن تغمرك البركة في جميع أوقاتك المقبلة.

كما أتمنى لك أن تُرزق بنعمة النسيان، وأن تجد القوة لتكون حاضرًا لحظة بلحظة.

يونج جو

كُتبت خطاي، ثم مرّقت الصفحة التي تحتوي على ترحمني من الكوربة للإنجليزية وألقيتها. وضعت دفتر مذكراتي في حقيبي وعُدت للدير. وفي دفتر يومياتي دوّنت أحداثي بشكل يوميّ بالكوربة على مدار السبعة أشهر التي قضيتها في الدير.

كان موعد الصلاة المسائية، حيث كانت هناك أغنية يتبعها صمًا، ثم أعقبهما المزيد من الأغنيات، وبعدها خرج الرهبان من قاعة الصلاة. كان هانجي يجلس ساكنًا في منطقة مقاعد المتطوعين مُتَبَيِّنًا نظره لأيقونة معلّقة على أحد أعمدة الكنيسة. لا أعلم كم بقي على هذه الحال. نهض من كرسيه ومشى أمام الكنيسة وانحنى أمام الحائط وأغلق عينيه. وكانت تلك الصورة الأخيرة التي رأيتها لهانجي، ولم أستطع الاقتراب منه.

غادر الناس المكان.

تم نهضت من مقعدي وخرجت من قاعة الصلاة، وهاك وجدت كارو واقفة

همستُ في أذنها قائلةً: "مع السلامة يا كارو".

قالت لي كارو: "ليس عليكِ التحدّث؛ أنتِ في فترة أسبوع الصمت، أتدكرين؟"

سَلَمْتُها بطاقة بريدية كنت قد كتبتها لها. كتبت فيها كم كنت مُمتنةً للثلاثة أشهر الماضية، وظننت أنني لم أخبرها من قبل كم هي شخص جميل. أعطتني هي الأخرى بطاقة بريدية، وضعتها في حقيبي وودّعناها للمرة الأخيرة.

وفي طريق عودتي لبيت الصمت قابلت ثيو، الذي كان قد انتهى للتو من توصيل الطعام عندي. تردّدتُ لبعض الوقت، ثم أخرجت دفترتي من حقيبي وناولته إياه.

"سَلِّمها لهانجي من فضلك. هذا دفتر هانجي".

تردّد ثيو قليلاً، ثم أمسك بالدفتر.

نم سألته: "هل تعلم السبب وراء تجنّب هانجي لي؟".

حرّك ثيو رأسه بالنفي. ورمقني بنظرة كأنه ينظر لشخص مخبول.

"سأعطيها لهانجي حين أقابله. سيعود لنيريوي غداً".

"أعلم ذلك".

"ألن تحضري حفلة وداعه بعد قليل؟".

"لن أذهب هناك".

تردّد ثيو للحظة، ثم قال:

"لا أعلم إن كان مسموحاً لي بأن أقول ذلك الكلام، ولكن موضوع أنكما لم تتصالحا حتى آخر لحظة أمرٌ فظيع".

كان ثيو يستعمل كلمة "فظيع" كلّما أراد التعبير عن مشاعر سلبية. كان صعيّفاً في اللغة الإنجليزية، ولم يكن يعلم سوى القليل من الصّفات، والطعام غير المستساغ، الجو شديد المطر، بثور وجهه، شعره المجعّد؛ كان نصف كل ذلك بالفظيع. ولكنه حينما وصف علافتي بهانجي بكلمة الفظيع تحوّلّت الكلمة لسهم اخترق روحي.

فمثل هذه النهاية للعلاقة لا يمكن تلميعها بكلمات جميلة.

عُدْتُ ببطء لبيت الصمت.

كانت الليلة الأخيرة التي سيقضيها هانجي في الدير. بقيت مستيقظة طوال الليل، ثم مشيت تجاه الدير في العتمة. كان موعد طائرته في الساعة والنصف صباحاً، وعلى الأغلب فإنه سيرحل من الدير في الخامسة، هذا ما ذكرته لي كارو، ولكن حينما وصلت كانوا قد استقلّوا السيارة ورحلوا بالفعل. لم أعِ الأمر حينها، ولكن يبدو

أنني لم أستطع أن أسنجم شجاعتي بشكلٍ كافٍ. وأقنعت نفسي حبها بأنني لم أتمكن من اللحاق بهم، ولكن في قرارة نفسي كنت أعلم أنها لم تكن الحقيقة.

عذب لسكن النساء بعد يومين من رحيل هانجي عن الدير. كنت مرتدبة الملابس الصيفية حينما أقمت في بيت الصمت، ولكن درجة الحرارة قد انخفضت كثيراً خلال ذلك الأسبوع، لدرجة جعلت الجميع يرتدون السترات الصوفية والسترات ذات القلنسوة (الهودي). عاد المتطوعون الوافدون من الدول النامية واحداً تلو الآخر، دون علمي، لبلادهم، ولم يبق في الدير سوى المتطوعين الأوروبيين ومتطوعي كولومبيا وباراجواي. كان هنالك حوالي خمسة وخمسين متطوعاً في الدير، ولكن هذا العدد قد تقلص لخمسة عشر متطوعاً فقط في غضون ثلاثة أسابيع. أضحت الغرفة المشتركة خاوية إلا من بعض إبر الحباكة وكرات الغزل المتدرجة على الأرض، بعد أن كانت تعجُّ بالأصوات الصاخبة والمنطوعين الذين كانوا يحيكون. البعض لم يتمالك نفسه ولم يقل هذا التغيير وبدأ يذرف الدموع بينما يحتسي كوب الشاي.

كانت دموعهم تنزل حنيئاً لمن رحلوا عن الدير. بل لك الفرحه النادرة، لشخص بالغ، حين يستمتع بمحبة الآخر ويعيش معه في طر صداقه غير مشروطة. السعادة التي خلقت من التواجد معهم خلال ذلك الوقت الذي لن يتكرر ولن يستمر. دموعهم نزلت حداداً على وقت قد نسوا فيه الوحدة.

عاد دفتر يومياتي بين يدي من جديد.

قال لي ثيو: "هانجي لم يأخذ الدفتر. قال لي إنه يهملك. لم أقصد أن أتطفل وأتصفحه. ولكن الدفتر فُتح عن غير قصد، وكانت الكلمات بداخله مكتوبه بحروف غير مفهومة. هل هذه هي الأبجدية الكورية؟".

"نعم".

"وهل يستطيع هانجي قراءتها؟".

"كلا".

ناولني ثيو الدفتر وعلى وجهه تعبيرٌ يوحي بعجزه عن قراءة ما هو مكتوب.

عادر ثيو الدار بعد يومين. ولا رلت أذكر صوته ذا السبرة العاليه وهو يتحدث الفرنسية. قال لي إنه من القطيع أنني لم أتصالح مع هانجي وكأنه يقول إننا قد اقترفنا ذنبًا فظيعةً بحق أحدنا الآخر. لا زلتُ أذكر كيف امتعض وجهه وهو يقول لي ذلك.

كُورثُ دفتر يومياتي ووضعتَه في حفرة حفرتها بداخل الجليد، وأخذت أدسُه بقوة ليدخل بعمق، وإذا به ينزلق في الحفرة دون أدنى مقاومة أو احتجاج. هذا الدفتر لن يتحلل لآلاف السنين. لا أريد أن أولد مرارًا وتكرارًا خلال تلك الفترة الزمنية. أولى بتلك الذكريات أن نرحر عنى وتلتصق بالجليد.

وجه ليا.

كلمة: لا بأس.

حدود الجسم التي تتلاشى مع العتمة، وطرفة العين بين الحين والآخر.
العبنان والشفتان الصامتتان.

البشرة السوداء اللامعة.

والحركة المُصطنعة حين حوّل نظره بعيدًا عني.

وبساطتي التي وقفت حائلًا بمنعني من فهمه حتى النهاية.

والوقت الذي انساب فوق كل ذلك.

تمزُّق.

كل تلك الأشياء، ستسقط في الجليد.

مثل كل الحيوانات التي عاشت هنا زمنًا ثم رحلت.

مثل روبرت سكوت، ومخروطيات الأسنان، والقطط ذات الأسنان
السيفية، وقرد الأرض.

وحيدون، مهجورون.

أغنية قادمة من مكان بعيد

قَدِمْتُ إلى سانت بطرسبرج بعدما أنهيت محاضرات فصل الربيع. بعد عشرة أعوام من بداية ميچين سونبيه⁽¹⁾ للدراسات العليا.

أرسلت لبوليا رسالة على الفيس بوك ماستنجر ليلة سفرى، أخبرتها أنها ستعرفني على الفور حينما ترى فتاة آسيوية ترتدي فستاناً أحضر طويلاً. طلبت منها التالي "ولأَكُنْ صريحةً، فالجميع يبدو متشبهين في نظري. فهلأ بحثت عني بدلاً من أن أبحث عنك؟". كنت أتجول في نوثر عند بوابات الوصول، وإذا بيوليا تضع يدها على كتفي وتبتسم لي. كانت نفس الفتاة البولندية التي ظهرت في الصور التي كانت ترسلها ميچين سونبيه، حيث تقف أمام الكاميرا دون أن تبتسم، بحاحبها الكثيفين، وعينيها الرماديتين، وشفتيها الرقيقتين؛ ممّا جعلني

(1) كمنه تُطلق على الفتيات الأكبر سنّاً أو الأقدم دراسياً أو مهيناً.

أتذكر وجهها البارد، ولكن قلبي اطمأن حينما رأيت وجهها المتسم في الحقيقة.

أخبرتها أن ترسل لي العنوان وسوف أجد طريقي، ولكنها أصرت على الحضور لاستقبالي، قائلة: "سأتي لأنني أريد ذلك أنت ضيفه عريرة عليا يا سو إن. فاسمحي لي بالقدوم".

"مكتب أبحاث ميجين يبعد حوالي عشرين دقيقة بالحافلة من منزلي. وحتى الحديقة الصيفية التي ترتادها على الدوام على بُعد مسافة قريبة كذلك. وسأخبرك بمكان مطعمها الفيتنامي المفضل". رغم أن إنجليزيتها لم تكن مُتقنة إلا أنها تحدثت ببطء وبنطق يسهر فهمه.

"هلاً ذكّرني، منذ متى وأنت تعيشين معها؟".

"منذ حوالي ثلاث سنوات. كانت ميجين أول شريك سكن عثرت عليه بعد انتقالي لهذا المكان. تشاركنا السكن حتى انتقلت لسقتها بالحرم الجامعي".

كان منى السقق السكنية الذي تقطنه يوليا على شكل حرف □ بالكورية، والشكل المكافئ لطراز البناء سيكوّن عبارة عر شقوي ذات أروقة. إلا أن تلك كانت تحتوي على مساحة كبيرة مفتوحة من المنتصف على شكل الدوّنت، وبها حديقة. كانت شقة يوليا بالطابق الثالث. وتتكوّن من مساحة صغيرة لغرفتين وحمام وغرفة معيشة، وغرفة لغسيل الملابس ومطبخ. خلعت يوليا حذاءها ووضعت أمام الباب الأمامي.

"بدأت عادة خلع الحذاء في المنزل بعدما سكنت مع ميجين. تحدين الأمر مريحاً حالما تعتادينّه".

شعرت ببرودة الأرضية الخشبية حينما لمستها قدماي.

"كانت هذه غرفة ميجين".

شممت رائحة القرفة بشكل طفيف حينما فتحت يوليا باب غرفة ميجين سنوبيه. كان بالغرفة سرير لشخص واحد، ومكتب صحم من خشب البلوط، ورفق كتب فارغ، وخزانة مكوّنة من ثلاثة أرفف، وخزانة ملابس، ونافذة كبيرة سمحت بنفاذ أشعة الشمس وقت الغروب.

"لم يكن لديّ شريك سكن لبعض الوقت. أعتقد أن الغرفة كذلك ستكون مسرورة بوجود صُحبة. أخبريني لو احتجت أي شيء في أي وقت. هذا منزلك الآن".

استلقيت على الفراش الذي نامت عليه ميجين سنوبيه لمدة ثلاث سنوات بعد أن أخذت حمامًا دافئًا، وتلخّفت بغطاء السرير، وأخذت أحرق في سقف الغرفة بعينيّ ميجين سنوبيه. وبعكس توقّعي، فقد بعست سريعًا، وحين فتحت عينيّ كانت العاشرة صباحًا، ولا أعلم إن كان السبب طول فترة الانتظار في مطار موسكو التي استغرقت ست ساعات عند تحويل الرحلة، أم أنه كان جرماي من النوم بسبب نصائح الامتحانات حتى الليلة التي سبقت سفري. غفوْتُ في نوم عميق، حتى إنني لم أنتبه لخروج يوليا من المنزل. كان على طاولة المطبخ توست وتفاحة وبيضة مسلوقة ومربي البرتقال

سنجدين عصيرًا ولبنًا بالبراد، توجد كذلك قهوة ثقيلة في ماكينة صنع القهوة. أتمنى لك يومًا سعيدًا.

حدّدت يوليا موقعي الحالي على خريطة المدينة، كما وضعت علامات بنقاط على أماكن مختلفة، وأضافت الملاحظات. مكتب أبحاث ميجين سنوبيه، شقة ميجين سنوبيه، المطعم الفيتنامي، الحديقة الصيفية، الكاتدرائية الأرثوذكسية... حتى إنها أضافت بجانب تلك النقاط أرقام الحافلات التي عليّ أن أستقلها للذهاب لتلك الأماكن.

كانت ميجين سونبيه ترتدي فستاناً بلون أزرق سماوي مر الکتان لم يكن المستان فضفاضاً، إلا أن صَغَر حجمها جعل المنظر وكأنها ملحفه بكس. كانت تحمل بين أصابعها لفافة سحائر رفيعة في إحدى يديها، وبالأخرى أمسكت قائمة الطعام تتفحصها، وقد نلأاً شعرها القصير الناعم في الشمس.

"سأطلب آيس كريم بالقانيلاً. وماذا عنك؟"، قلتُ لها إنني سأطلب متله، فنادت على النادل وأخبرته بالطلبين بالروسية. أخذنا نتحدث ونحز نتناول الآيس كريم عن جو سيؤول وبيطرسبرج، وعمر كُلاً منّا. "لماذا تأخّرتِ في المجيء؟ حسبت من كلامك وكأنك ستحضرين على الفور"

"أسفة".

"لا تتأسّفي. أشعر بالسوء في كل مرة تعتذرين فيها".

'أعتذر لأنني أشعر بالأسف حقاً'.

'ولكني سعيدة بقدومك، حتى وإن تأخّرتِ لهذه اللحظة' أرحت السحرة بظلالها على وجه ميجين سونبيه وهي تتحدث، فبدت مرتاحة في ذلك المنظر أكثر من أي وقت مضى.

قلت لها: "الجلوس معك في هذا المكان يُذكّرني بالسياج حول حديقة مارونير بارك⁽¹⁾. هل تذكرين الأشجار التي كانت بجانب ذلك السياج؟ تمكّنا بفضل تلك الأشجار من تأدية عرضنا تحت الظل". رَسَمَت ميجين سونبيه ابتسامة ناعمة إثر كلامي. كانت في الخامسة والعشرين حين قابلتها للمرة الأولى. كما كانت تسبقني بعدة سنوات في الفرقة الغنائية الطلابية التي انضمتُ إليها في الجامعة.

(1) حديقة تقع في شارع ديه هاك بو (شارع الجامعة) بسيؤول.

كُنَّا نَقْدُمُ العروض الغنائية في حديقة مارونير بـأرك في أمسيات الجمعة الأخيرة من كل شهر. وكنا نغني مستعنين بأصواتنا فقط دون اللجوء لاستخدام مكبرات الصوت أو الميكروفونات. السباح المنخفض الذي أحاط الحديقة كان مسرحنا. وكنا نتسلَّق أعلى السباح ونعني ونحن مابطي الأذرع، وأحيانًا متشابكي الأيدي، بينما تتأرجح يدانا المنسابكتان. حينما كانت تندمج أصواتنا سويًا في جمع الظلام، كنت أتحرَّر من وطأة التفاصيل الدقيقة في الحياة، ومن جسدي، ومن الأفكار المزعجة. وكأَنَّ لِحْمي وعظمي بدأ في التخلُّص من الورد، فبات معهما جسدي كقنديل ورقيٍّ أجوف يعرج للسماء مع أدنى تأثير للحرارة. وكان باستطاعتي التحليق أينما شئتُ بمجرد أن أقطع الجبل الذي يربطني؛ فلا يمكن لأحد أن يربطني فيعيقني، وكنت أؤمن بشدة في تلك اللحظات أنني خُلِقْتُ لأغني، وأني لن أستطيع العيش دون الغناء.

لا يمكنني أن أنسى تلك الأمسية في شهر إبريل حينما شارك للمرة الأولى في عرض في الهواء الطلق. كنا قد انتهينا للتو من تكرار الأغنية، حتى بدأت ميجين سونبيه في أداء أغنية منفردة لم يكن مُخطَّطاً لها. نوقِف المارون، والتفتُّ مع زملائي في الفرقة لتنظر صوبها. كان صوتها الصافي الناعم يحمل عَزْمًا، وقصة خاصة بها مُستقلَّة عن اللحن والكلمات. وحيما توغَّلت أغنيتهَا في جسدي، توغَّلاً حادًّا، لكن لطيف، صعد إلى السطح جزءٌ مني كنتُ أحاول جاهدةً أن أخفيه وأُفنيه سرًّا. لم أعلم على وجه التحديد ماهية الأمر، ولكن أغنيتهَا جعلتني أشعر بشعور ممتزج بين خجلي من نفسي وحزني. أردت أن أدفع بكلتي يديَّ عني كتفيتها الضعيفتين وأقبِّلها. أردت أن أمتزج بعالمها في تلك العتمة. كانت لديَّ رغبة مُلِحَّة في أن أقترِب من عالمها، حتى ولو بخطوة واحدة. كان ذلك قبل أن نصبح قريبتين.

مشينا سوياً في الحديقة الصيفية، وقد انسابت أشعة الشمس لدافئة فوق رؤوسنا.

"هر وجدت صعوبة في العيش في روسيا؟".

"في بداية الأمر لم أفكر سوى في العودة إلى كوريا حينما كنت هناك في الجامعة ظننت بأنني كنت في فريق الأذكاء، ولكن في روسيا كنتُ أحدَ أفضل الطلاب. الأمر أصابني بالدهشة، ولم أكن أريد اللعنة كذلك. كنت سأستلم في نصف الطريق لو لم ألتق بيوليا. لقد ساعدني كثيراً. كنا متشابهتين في كثير من الأمور، حتى في مزاجنا الناري المتقيد".

برزت بعض الأوردة الزرقاء فوق ذراعها البيضاء الشاحبة

"حري بك أن تخرجي للشمس قليلاً. تبدين كقطعة بيك سول جي⁽¹⁾". قلتُ ذلك مستنكرةً، وإذا بميجين سونبيه تشاءب تتأباً طويلاً وتتمتم قائلة: "أشتهي البيك سول جي".

"بالمناسبة، لماذا لا زلتِ تستعملين الأسلوب الرسمي معي في الكلام؟ بينما تنادين سوهيون والأخريات بـ "أوي"⁽²⁾ وتُحدثُهم بصيغة الخطاب غير الرسمي؟". سألتني سونبيه ذلك حينما وصلنا لجانب النهر.

"لا أعلم، حينها كنت أشعر أن هناك فجوة عمرية بين سنوات التحاقنا بالجامعة، وكنت أنظر إليك بتبجيل، ولم أتجرأ على أن أرفع الكُفّة في الكلام، وخاصة أنني كنت أعتبرك من البالغين، علاوة على ذلك أنك لم تسمح لي لأحد بالاقتراب منك على أي حال".

باقي الزميلات اللاتي يكبرنني كنَّ يعاملنني بلطفٍ بالغٍ؛ مراعاةً لكوني طالبة جديدة، باستثناء ميجين سونبيه؛ لم تكن تبدر بالحديث معي، وحينما كنت أدخل غرفة الفرقة كانت تحزم أغراضها في حقيبتها

(1) كعكة مصوغة من الأرز الأبيض تُسوّى على البخار.

(2) لقب تطلقه المتكلّمة الأثني على الفتيات الأكبر منها سنًا، ويحمل معنى 'أختي'.

ونترك الغرفة دون إلقاء السلام أو حتى كلمة "وداعًا.. أراك فيما بعد"، أو أي شيء كهذا. وحين كنت ألقاها مصادفة في الشارع وألقى عليها التحية كانت تقابلني بإيماءة مقتضبة مع تعبير وجه جامد، ثم ترحر لوحنها، وكأنها تتعمد أن تتحاشى الكلام معي. ولم أستوعب الأمر سوى لاحقًا عندما فهمت أن السبب وراء تصرفاتها تلك تابع من شخصيتها الانطوائية التي تفتقر لمهارات التواصل، وأن بصرفاتها تلك كانت أفضل ما يمكن أن تقدّمه شخصية مثلها.

"سونبه، لم كنت تتصرفين بهذه الطريقة في السابق؟" سألتها وأجابتي بابتسامة مُحرجة. كنت أحب وأكره وأسيء فهم هذا الوجه لوقت طويل. جلسنا لفترة على المقعد الخشبي دون أن نتحدث، نتابع أشعة الشمس الملهتزة على صفحة نهر نيقا.

سألني يوليا: "هل قضيت وقتًا ممتعًا مع ميجين؟".

"نعم، ذهبت قرب مقر مكتب الأبحاث الذي تعمل به، ثم ذهبتا للحديقة الصيفية، ومشينا حتى النهر، ثم عدنا أدراجنا".

قدّمت امرأة آسيوية تجاه يوليا تحمل معها فائمه الطعام، ونحدّثت ليوليا بالروسية.

"تسألني من أنت، وتستفسر إن كنتِ أخت ميجين الصغرى، فأجبتها بأبك صديقتها، وأنت وصليت البارحة من سيؤول". نظرت لي المرأة وقالت بعض الكلام بالروسية. "ظننت بأنكما من نفس العائلة لأنك تشبهيهما. تتمنى لك قضاء رحلة ممتعة في بيطرسبرج، وننصحك بعدم ركوب مترو الأنفاق في الليل. تقول إنه خطير"، فشكرتها بالروسية. تناولنا المعكرونة المحمّرة والسبرينج رولز على مهل قبل أن نعود لشقة يوليا.

قالت يوليا: "لم أعد أذكر السبب الذي دفعني للشجار مع ميجين كرهتها بشدة في مرحلة ما، وبعد أن أخبرتها ببعض الكلام الحارح،

كنت واثقة من أني لن أذرف ولو دمعة واحدة حزناً عليها، حتى لو رأيتها تمون أمام عيني. صرخت فيها لتخرج من منزلي وهي لا رالت بحزم أمنعها في حقيبة سفرها الكبيرة". توقفت يوليا عن الكلام عند هذه النقطة بعد أن شعرت أن الكلام يخنقها فلم تسنطع المواصلة.

"هذا يمكن أن يحدث. هذا يمكن أن يحدث لأي شخص يا بوليا. لقد ذكرت لي أن الفضل في استقرارها في روسيا يرجع لك ذكرت لي الأمر عدة مرات، وكانت ممتنة لك". ابتسمت يوليا ابتسامة باهتة على إثر كلامي.

"كان بيننا الكثير من سوء التفاهم لأننا كنا نتحدث الروسية، والتي كانت بطبيعة الحال لغة أجنبية لكلتينا. كذلك كانت ثقافتنا المختلفة، كنت أشعر أن ما تقوله لي كدعاية يبدو كإهانة لي في بعض الأحيان. وعلى الأرجح أنها شعرت بالشيء ذاته. كنا نرتاد جميع الأماكن سوياً لأنه لم يكن لنا أحد آخر نعتمد عليه. حتى أضحي إحباطنا تحاه بعضا البعض بقدر اعتمادنا على بعضنا البعض. ومهما حولت التدكر، فلا رلت عاجزة عن تدكر السبب الذي دفعنا لهذا الشجار الكبير في نهاية الأمر. على الأغلب فإن الأمر كان نتيجة تراكمات تكوئت مر شجار صغير، ولكني لا أعلم حتى لماذا صرخت فيها بهذا الشكر بسبب شيء أعجز عن تدكره من الأساس".

"من جانبها، فعلى الأغلب أنها تشعر بالأسف حيال الكثير من الأشياء كذلك. أنا أعرفها كذلك يا يوليا. فشخصيتها نارية كما نعرفين، ولا تعرف كيف تتصنع مشاعرها".

"هذا حقيقي". أومأت يوليا برأسها وهي تبتسم بانسراح. "على الأغلب واجهت الكثير من الصعوبات؛ بسبب الاختلاف الكبير بين اللغة الكورية والروسية، فوجه الصعوبة في تعلّمها للروسية يختلف عن تعلّم بولندية مثلي للغة. والأمر يزداد صعوبة مع تقدّم العمر.

كن كبرياؤها قويًا كذلك، وذلك الكبرياء كان يدفعني للغضب حينها، ولكن بنظرة لتلك الفترة، أعتقد أنني أحببتها لنفس السبب".

كان الآن دوري لأومئ برأسي. جلسنا على طاولة بوليا نحتمي سويًا كويّ عصير البرتقال الممزوجين بالثودكا. كانت المحادثة تنقطع بين الحين والآخر، وحينها كنّا نكمل حديثنا وكلتانا تظر في اتجاه مختلف.

قالت يوليا: "أنتِ لا شيء. سوو إين، هل سبق أن سمعت هذا الكلام؟ لقد سمعت هذا الكلام بشكل متكرّر منذ طفولتي. أنتِ لا شيء. والذي قال لي هذا الكلام لم يكن شخصًا غريبًا، كان أبي". قالت يوليا ذلك الكلام وهي تحدّق بلا حركة في الزهور المجفّفة المعلقة على الحائط. "سوو إين، الأطفال يصدقون كل ما يقوله الكبار ويعتبرونه حقيقة مُسلّم بها، ثم يعيشون عمرهم بأكمله على حلفية ذلك الكلام. أنتِ لا شيء. أنتِ لا شيء. هذا ما قاله لي أبي. أنتِ فتاة مدلّلة لا نصلحين لشيء. فتاة ضخمة الجسد لا تصلح لشيء. لم أشأ أن أكون ظاهرة، ولكن جسدي لم يتوقف عن التّمؤ. حاولتُ أن أحبي ظهري أثناء المشي بحيث أظهر أصغر حجمًا، ولكن الأمر لم يكن مجديًا على الإطلاق أردت أن أختفي؛ لذا حينما طلبني رجلٌ روسي للزواج نزّوجته على الفور، وجئت هنا كأنه مُهرّبٌ لي، ولكني لم أستطع تركه حتى وهو يعملني باحتقارٍ ويسبّني بدون سبب. كنت أظن أنه أسدى لي أجلٌ معروف بزواجه مني حينما كنت لا شيء". علّلت ابتسامه مريرة على وجهه يوليا.

"جاءت مجين لمعاينة الشقة حينما كنتُ كتلةً من الفوضى بعد انفصالي عنه، فقرّرنا مشاركة السكن، وكنا نجلس نتسامر على هذه الطاولة كل ليلة. كانت قد أمضت حينها عامًا واحدًا منذ إقامتها في روسيا، وكانت عمُرُ بأوقات صعبة. كنت أقدم لها يد المساعدة

بكل سرور في كل مرة كانت تحتاجها. وكنت أصحبها لمكتب الهجرة ولجامعتها، وكنت المتحدث الرسمي لها في الأمور التي عجزت عن شرحها بالروسية. وكانت ممتنة لي. وحينما أسترجع الأمر، أعتقد أنني كنت أحب أن أرى نفسي حينها كشخص يساعد الأضعف منه كنت أقول لها بأننا أصدقاء، ورغم ذلك كنت أعتبر نفسي أفضل منها. كنت أظن أنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً من دوني، وكنت أشعر بالغضب تجاهها كلما تحسّنت روسيتها، وكلما قلّ احتياجها لمساعدتي، وبدأت تخرج مع أخريات ممن هُنَّ أكثر جاذبية مني. كنت أشعر وكأنها تقول لي أني لا شيء. لم أعد أحتمل منها ذلك، ولم أدرك أن ما ظننته إيثاراً كان مجرد أنانية إلا بعد أن رحلت ميجين".

رأيتُ ميجين سونبيه تقف أمام منزل دوستويفسكي. كانت تستند أمام حائط وهي ترتدي شورت باللون الأزرق الداكن مع قميص أبيض برقبة مستديرة، وتحمل على ظهرها حقيبة سوداء. وفي كل مرة كانت تهتفُ فيها الرياح كانت تكشف وجهها المحجوب تحت شعرها القصير. فدا تعبير وجهها كتعبير طفلة صغيرة.

لم يتبادل أي حديث بيننا ونحن نمشي حول منزل دوستويفسكي كانت عقارب الساعة بمنزله متوقفةً عند ساعة وفاته، بينما غلقت على الحوائط صوراً رسمها لأطفاله. ومن بين المعروضات لعبة الرولبيت التي أدمها طيلة حياته. أشارت سونبيه لمتعلقات دوستويفسكي دون أن تنطق بكلمة، وهي تلقي نظرات متقطعة تجاهي. وقفنا أمام صورته لبعض الوقت. كانت نفس الصورة التي وضعتها على مكتبها حينما كنّا نعيش سوياً. جمّعنا دوستويفسكي سوياً تحت مُسمّى "أصدقاء"، رغم الفجوة العمرية الكبيرة بين سنوات التحاقا بالجامعة، ورغم شخصائتنا القوية ومزاجنا الحساس والذي جعل من الصعب علينا تكوين صداقات.

حينما أحبرتني سونبيه برغبتها في السفر إلى روسيا لدراسة روابان دوسنوبسكي، فما لديّ خدسٌ قوي بأنها لن تعود مجدداً لكوريا. وقالت لو طالبت المدة فلربما قد تصل لسبع سنوات، ولكني لم أصدق الكلام كما قيل لي. كنت أطمئن نفسي بأنني سأراها مجدداً في أي وقت، ولكن في قرارة نفسي كنت أعلم أن هذه هي النهاية.

سكنّا سوياً لمدة ثلاث سنوات حتى وقت رحيلها لروسيا، وفي الليلة التي سبقت سفرها استعنت بجزء كبير من مدخراتي التي جمعتها من الوظيفة جزئية الدوام بغرض شراء بعض البقالة لأطهو لها أطباقها المفضلة. طهوت لها الزلابية الخالية من اللحم، الكيم باب، حساء نبت الفاصوليا، التشاب- تشيه، سلطة الثوفو، البطاطا الحلوة الدبقة، شراب البطيخ. كنت أراقبها وهي تمضغ قطعة كبيرة من الكيم باب حشرتها في فمها وهي قليفة إذا ما كانت ستمكّن من الأكل كما ينبغي في بلاد أجنبية. لم أبك حين جلست في غرفتها الخاوية بعد أن رحلت وأنا أفرغ صحن التشاب- تشيه من بقايا الطعام. لم أشعر بأي حزن. شعرت بقلق ممزوج بقلّة الحيلة؛ إذ ربما لا تجد ما تأكله في روسيا؛ كونها نباتية لا تتناول اللحوم. لجوئي لتلك الأسباب المنطقية لتبرير قلقي كان وسيلة لتغطية وخداع إحساسي العميق بالفقد والحزن، الأمر الذي لم يكن جديداً بالنسبة لي.

لم يسبق لي الكلام مع سونبيه مباشرة قبل مهرجان الجامعة في شهر مايو. كانت تجلس دوماً على طاولة مختلفة عن طاولتي كلُّما خرجا مع الفرقة لتناول الطعام. ولم يكن يوم احتفالية الهوم كومبنج داي⁽¹⁾ استثناءً.

(1) احتفالية تظمها الجامعات من خلال دعوة كبار الخريجين ممن يعتبروا مثلاً حياً للطلاب حدد ومن خلال هذه الاحتفالية يشارك الطلاب الكبار خبراتهم العملية مختلفة، ومن خلال هذا التجمع يطرح الطلاب الحُدد أسئلتهم حول سوق العمل والتوظيف وتحديات الحياة العملية بكل حرية.

بعد انتهاء احتفالية الهوم كومينج داي خرجنا لاحتساء الخمر، وجلست سونبيه بشكل مائل من مقعدي على الطاولة المقابلة في القاعة السفلية للحانة التي قصدناها. كنت أرغب في الجلوس بجانبها، ولكن تريب الجلوس كان بناءً على أسبقية الحضور، فانهى الأمر في أن أجلس مضغوطة بين زملائنا من المتخرجين من الدفعات الأكبر، من دفعتي الثمانينيات والتسعينيات. وفي مواجهتي جلس اثنان من السونبيه ممن بدا عليهم الإرهاق الشديد، وقد فضحت وحوهم المتعبة سخطهم على هذا التجمع.

"إذا التحقت بالجامعة في دفعة 02؟" سألتني صاحب الشعر المجعد. حينما أومأت برأسي، أخرج من جيبه بطاقة العمل التعريفية وناولني إيّاها. كُتب فيها "شين كيونج سوك، محامي الملكية الفكرية"، "التحقت بالجامعة في عام 86"، قال لي ذلك وهو يحدّق فيّ. أحسست بعدم الراحة فحوّلت نظري بعيداً عنه، ولكن حينما نظرت بحاهه مجدداً وجدته لا يزال مُثبتاً نظره تجاهي. ولم يستغرق الأمر طويلاً حتى تحوّل شعور عدم الراحة إلى الاحتقان.

"لمادا تبدو طالبة جديدة يمثل هذه الكأبة؟ سمعت أن تخصّصك الأدب الكوري. أنا كذلك. التحقت بالجامعة في عام 95 اسمي كيم يور سوك". هذا ما قالته السونبيه التي كانت جالسةً بجانب محامي الملكية الفكرية وهي تناولني بطاقة العمل الخاصة بها. كانت صحفية تابعة لجريدة "ك".

في ذلك اليوم، كان الجو غريباً منذ بدايته أثناء احنساننا للخمر. كان المتخرجون من الدفعات الأكبر يتناولون الشراب سريعاً ويتراشفون النكات الحادة فيما بينهم. كانت تعليقاتهم أقرب للهجوم منها للنكات، وهذا ما تبيّنهُ من نبرة صوتهم والجو العام، ولكنني لم أفهم على التحديد تفاصيل حواراتهم. مصطلحات مثل: التعبة، التحرر

الوطني، ديمقراطية الشعب، الخيانة. بعد ذلك بدؤوا يتراشفون بأفح السباب حتى تعكّر الجو، لدرجة دفعت إحدى خريجات دفعة 99 للتدخل لفضّ الخلاف. بينما لم يكثرث للأمر السونبيه المنخرّحون الذين جلسوا على طاولتي وكأنه مشهد معتاد.

" فرقتنا تجذب الكثير من ذوي الشخصيات القوية، وكذلك الكثير من المهارات والمشاكل، ومثل تلك المناوشات تظهر بمجرد أن يصلوا لمرحلة الشكر" هذا ما قالته السونبيه الصحفية، بطريقة أقرب للصياح منها للكلام. "سونبيه، أليست الأجواء صاخبة؟ لا أدري إن كنت تتحدثين أم تصيحين!".

صدرت من مكبرات الصوت أغنية راب للمغني إيمينيم.

قال محامي الملكية الفكرية:

"مَن الذي اختار هذا المكان للتّجمّع؟ توقّعت اختيارًا أفضل من أعضاء الفرقة الغنائية". ثبتّ نظره صوب أظافري المطلّبة باللون المشمشي. وقد كانت نظرة اعتراض. "الطلاب في زماننا كانوا من الثّبهاء، أمّا طلاب هذه الأيام، يصبغون شعورهم ويطلّون أظافرهم، منعّمسون كلّيا في ثقافة البوب بحيث يجهلون معها عظمة إيجارات زملائهم ممّن سبقوهم في التّخرّج". مال الرجل ناحية الحائط وهو ينفث دحان لفافة التبغ. نظرتُ تجاه ميجين سونبيه وأب أنحدث مع السونبيه التي تعمل في الصحافة. وكانت المرة الأولى التي تلاقى فيها أعيننا، وقد أرسلت لي نظرة تضامّن وتشجيع. على الأفر ذلك ما أذكره.

"يونج حا، اذهبي لصاحب الحانة واطلبي منه أن يخفض صوت الموسيقى؛ فهي تسبّب لي الصّداغ" صرخت السونبيه الصحفية للفتاة من دفعة عام 99 التي كانت تجلس بجواري. وعندما هدا صوت

الموسيقى، بدأ محامي الملكية الفكرية في التذمر وهو يتلج بسرعة
أكواباً من حمر السوجو على مرات متلاحقة.

"منى طلبت أن يحترمني زملائي المتخرجون؟ كل ما طلبته أن
نسنم فرغنا الموسيقية بشكل صحي. ولكن انظروا لهذا الحراب
فبناءً على ما أراه الآن فلا مستقبل لناديكم، لا مستقبل مُطلقاً".

كانت لسونيه من دفعة عام 99 تصبُّ الخمر في كوب المحامي
وهي تهزُّ رأسها مُصدِّقةً على كلامه. بدأت السونيه التي تعمل
بالصحافة تغني نفس المقطوعة، وقالت: "هذا صحيح يا هيونج".
هل رأيت العتيات في جامعتنا؟ يمشون في مجموعات أينما ذهبوا
كتلميذات سخيفات في المدرسة. وينادون زملاءهن الأكبر "أوبا"² ولو
سألتهن لقلتُ لك إن العبث الذي تشهده فرقنا في الوقت الحالي
إنما يرجع سببه لعدم انضمام أعضاء من الذكور للفرقة بما يضمن
قيادة قوية لها. أنا امرأة كذلك، ولكنني أعرف تمامً أن النساء لا
يعرفن كيف يتَّجنن ولا يفهمن طبيعة الجماعة". توقفت عن الكلام
فليلاً، ثم رمقتني بنظرة. "اسمك سوو إين أليس كذلك؟" حيما
أومأتُ تأنعت قائلة: "هذا الكلام موجّه لك أيضاً. إن كنتِ تعديين
نفسك جزءاً من الفرقة الموسيقية، أفلا تعتقدين أن عليك التخلّي عن
سلوكك الأنثوي؟ طريقة كلامك، وهئية ملابسك... أنا امرأة، ولكن
حين خرجت للعالم الواقعي رأيت الكثير من النساء ممّن عجزن عن
الانسجام مع ذلك العالم. تجدينهنّ مُتذمّرات وغازبات حول كل شيء
ولو كان أمراً ضئيلاً. الرجال لا يفعلون ذلك. ولماذا بظنّك نحن النساء
الجامعيات مميّزات؟ نحن الجنس الثالث. نساء، ولكن علينا أن ننبد

(1) لقب يطلق على الأولاد الأكبر سنّاً حيما يكون المتكلم والمخاطب ذكراً وفي السياق كتب
العتيات يطهر على الأولاد الأكبر منه في المراحل الجامعية لقب هيونج كذلك ولكن حالياً
يقصر استخدام اللقب على المتكلم الذكر للمخاطب الذكر فقط.

(2) لقب يُطلق على الأولاد الأكبر سنّاً حيما يكون المتكلم أنثى.

عُقد النفس التي تملكها النساء الأخريات. أقول لك ذلك الكلام لأنني سونبيه ومن عيري ينصحك؟ إن لم تسمعي هذا الكلام من أي أحد، فسنتلقي صربات حقيقة في العالم الواقعي لو كنت تعلمين".

سَعرِي المصبوغ باللون البني الفاتح، أظفري المطلية، وصوي الرفيق، حبي، وشخصيتي الانطوائية، وحتى تصنيفي الجنسي كمرأة... جلست في مكاني أسيرة إحساس أن كل شيء متعلق بي كان مرفوضاً "ماذا بك؟ هل استأت من كلامي؟ ما بال ذلك التعبير الذي يعتلي وجهك؟" سألتني الصحفية، لم أجابها، ونظرت ناحية ميجين سونبيه، فأجابتنني بابتسامة خافتة، كان فمها مبتسماً ولكني لمحت في عينيها غضباً بارداً.

"الرجال أسهل في التعامل. خلال دراستي، وحينما لم يكن يعجبنا الدفعات الأصغر، كنّا نأمرهم بالوقوف في ركن ما ونهال عليهم ضرباً مضارب البيض بول. كان هذا من باب التعليم كما تعلمين" قدّم المحامي ملاحظته السابقة.

"هراء!" كان ذلك صوت ميجين سونبيه.

"ماذا فلب؟" سألتها المحامي بصوت منخفض.

"قلتُ هراء" أجابته ميجين سونبيه بصيغة الاحترام، حتى الرملاء الأحرار الدين كانوا يتناوشون حتى هذه اللحظة توقّفوا عن الشجار ونظروا نحونا، أطلق المحامي ضحكة سخرية مستكرة لما سمع، ثم قال: "كيف تجرئين؟ كيف تقولين هذا للسونبيه الذي يقع مثانة السماء لك؟".

قالت ميجين سونبيه وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة فضولية: "وهل نحن ممنوعون من الكلام؟".

أمسكت السونبيه الصحفية بذراع ميجين سونبيه وفالت لها: "ميجين، كلام كيونج سوك هيونج نابع من رغبته في التَّودُّد للطلبة الجديدة، وكان يقدِّم لها نصيحة جيدة لا أكثر. هيونج! أنت تعلم ميجين، هي حساسة بعض الشيء كما تعرف. ميجين! ها اعتذري لكبونج سوك هيونج ولباقي زملاء".

"اتركيني". حلَّت ميجين سونبيه ذراعها من قبضة الصحفية. "هل تعتبرون سنة الالتحاق الجامعي ميدالية تستدعي الفخر أو ما شابه ذلك؟ تُطلُّون علينا كل عام ثم تسكرون، وتختارون الأصغر والأضعف لتمارسوا عليهم تنمُّركم، وهل تظنين أنني سأظل أعتبره سونبيه بعد هذا؟ شين كيونج سوك، تقول بأنك تحب الديمقراطية، أليس كذلك؟ فكيف تتغنى بالديموقراطية بينما تدعس بقدميك الأضعف منك؟ حتى ولو كان ذلك في مجموعتنا الصغيرة هذه؟ أراهن أن رجلاً مثلك تناسبه الديكتاتورية أكثر. أنت لا تفهم أصلاً فكرة أن جميع البشر سواسية. في الحقيقة. اللعنة عليكم. هل عليكم أنت تستعرضوا فذارتكم هذه أمام تلك المسكنية؟ أرفض أن أستمُر في هذا، أرفضه" "لقد كنت عاطفيةً على الدوام. هذه نقطة ضعفك. وإن لم تغلَّبي عليها، لن تنجحي في مكان عملك". هذا ما قالته السونبيه الصحفية.

فالت ميجين سونبيه: "اهتمِّي بشأنك كيم يون سوك. هل كونك امرأة أمرٌ مُحرِّج ومؤلِّم لهذه الدرجة؟ النساء تغلبهن عواطفهن، يستدعين التدمير، وأنانيات، وبسبب هذا تجديهن الأكثر مَيلاً لحيانة الجماعات؟ عدو المرأة بنات جنسها. وهل تعتبرين إنكارنا لدواتنا هو مقياس الصحة في نظرك يا أستاذة كيم يون سوك؟ عليك أن نخجل من نفسك وأنت في هذا الموقف أمام زميلاتك الأصغر منك". كان صوت ميجين سونبيه يرتعش بشدَّة. أمسكت بحقيبتها بيدين

مرتعتين وخرجت كعاصفة من المكان، ثم أمسكتُ حقيبتني على عجل لألحق بها.

خرجت للشارع فإذا بها قد وصلت بالفعل عند معبر المشاة بالميدان.

"ميجين سونبيه".

لم تحوّل ميجين سونبيه رأسها تجاهي.

"سونبيه".

وقفت أمامها ونظرت في وجهها، كانت تضحك وقد رسمت تعبيراً غريباً على وجهها، وحينما دققتُ النظر وجدتها تبكي ولم تكن تضحك. استخرجت من حقيبة كتبي منديلاً لأناولها إياه. جففت دموعها بمنديلي ثم عبّرت الشارع وأكملت خطواتها. لو كنت أعلم أنها تبكي لما حاولت أن أكلّمها. شعرت بالأسف لأنني ربما أكون قد تسببتُ في ضيفها، رغم أنني لم أتعمد ذلك.

كان ذلك بعد مرور وقت طويل حينما علمتُ بأن اللوم الذي كان موجّهً لها كان بسبب إنهاؤها للنشاط الطلابي التقلّدي في فرقنا. كان النشاط الطلابي يعاني خفوتاً أعقبه تهاوٍ سريع على الفور بعدها كانت تتحدى العلاقة الصارمة بين الطلاب السابقين ولاحقين، وسيطرة الطلاب الذكور على قيادة الهيكل، وثقافة الطاعة العمياء، كل ذلك كان السبب في مشاعر الحنق التي يحملها لها أعضاء الفرقة الأكبر سنّاً. كانت متّهمة بالتعلّق بما لم يكن ممثّل في نظرهم مشكلة بالكاد، وأنها كانت تعارض وتنتقد أسلوبهم في النشاط الطلابي، في الوقت الذي كان من الصعب عليه الاستمرار في إبقاء إرث 'رابطة الهيونج'، أو بمعنى آخر 'رابطة الأخوية' كجماعة متّحدة. وكما سمعت، فالقليل فقط منهم مَن عاملوها بلطفٍ بسبب ذلك. حتى إن البعض ممّن لو غادرت الفرقة وتنحّت عن حملتها المنادية باستقلالية الأفراد

لإيجاد القرار، وتحقيق العدالة بين العلاقات، والتربية النسوية. كانت محين سونبيه متمسكة بموقفها وملتزمة بالبقاء في الفرقة مع رفض فكره أن يغدر، رغم أنها كانت تسمع كلامًا قاسيًا؛ مثل "لو كان الراهب مستاءً من المعبد، فالأوّل به أن يتركه".

والآن، حبسما أفكر في الأمر، فسونبيه التي تحمّلت تعليقات ضدها؛ كعبيدة، متحجرة مثل المسمار؛ كانت لا تزال في بداية العشرينات من عمرها حينها. ولا شك أنها كانت مجروحة رغم أنها تمكّنت من التعامل مع هذا الكم من الكراهية الموجهة ضدها من قبل الكثيرين. ما هو مقدار الشجاعة الذي احتاجت إليه لتتصدى في مواجهة تنظيم لم يُدعمها ولم يحترمها؟ الدموع التي ذرفت في ذلك اليوم عند مكان عبور المشاة وهي ابنة الخامسة والعشرين لم يكن بدافع الغضب، بل كان بسبب تراكمات تّمت من وحدتها.

قبت لها: "على ما أذكر، فقد تمّ حلّ الفرقة الغنائية بعد سفرك لروسيا بثلاثة أشهر".

أجابتنى قائلة: "على الأغلب هذا ما حدث بالفعل".

"كان هناك عدد من المتخرجين ممّن ألقوا باللوم علينا، رغم أن معظم الناس لم يظهروا حتى استياءهم من الأمر. شعرت وكأنني قد دمّرتُ بيدي تلك المساحة التي حوت ذكرياتهم".

"لم يكن في وسعنا تقديم المساعدة. لم يكن ذلك ممكّنًا حقًا. لبس مع تعيّر العالم من حولنا". كانت سونبيه تنظر لظلها وهي تضع يدها بداخل جيبها، ثم مشينا على مهل في الزقاق الحلمي لمنزل دوستويشسكي.

"ما حدث في شهر مايو بمدينة كوانج جو، كم كان المجتمع الذي نعيش فيه مريضًا! ولم يكن بمقدورنا أن نجادل حول الأمر سوى بعمر العشرين، حين التحقنا بالجامعة، وبعمر الواحد وعشرين، وحينما

أرهقنا الألم وأتعبنا بدأنا نغني. كان من بين بعض السويبيه من كانوا يعتبرون الغناء إحدى وسائل التعليم ورفع الوعي، ولكنني أعتقد أن أغانيانا كانت بمثابة وعدٍ قطعناه على أنفسنا، على الأقر، وعد عي نفسي، بأنني لن أستمّر في الظلام. كانت الفرحة التي نشعر بها من الغناء سويّاً تكفيننا. لم أשא أن تبدو أغانينا مثل النشيد الوطني أمم الغلم الكوري بساحات المدارس" كان صوتها يرتعش بعض الشيء. كان صوتها يرتعش كلّما نبعت كلماتها من قلبها. قالت لي في إحدى المرات إنها تريد العمل على تصحيح عاداتها الواهنة حين تخون مشاعرها تعبّرها. كانت تشعر بالخزي من تذبذب صوتها حينما تصبح عاطفية وواهبة، ومن شخصيتها غير الاجتماعية، والبطء الذي يلازمها حين تمشي وتأكّل وتقرأ، ومن مهاراتها الرياضية المتواضعة، ومن حساسبتها التي دفعتها لاستخراج مئات المعاني من كلمات أحدهم أو نصرّقاته وتبدأ في اجتراحها بلا نهاية. قالت لي إنه كان عليها أن تتغلّب على نقاط ضعفها تلك وتصبح شخصاً جديداً. لم أعرف رأيها حيال نقاط فونها. ولكنني أحببت الأشياء التي كانت تعتبرها نقاط ضعفها، فقد جعلتني أبتسم كثيراً بسببها.

كنّا قد أوشكنا على الوصول للكنيسة الأورثوذكسية حينما بدأ شلال من المطر يهطل فوق رؤوسنا؛ ممّا دفعنا للاحتماء بداخل مقهى مفابر للكتدرائية. كانت المدينة حارّة في الأيام المشمس، ولكن حينما ابتلنا بالمطر شعرنا ببعض البرودة حين دخلنا للمقهى البارد سألتني: "كيف حال كتاباتك؟".

"ليست على ما يرام. أنا خائفة".

"ولمّ الخوف؟".

"ربما أفقد فرصتي للأبد لو أخفقت لمرة واحدة. كان كل ما نميّه هو أن أكتب عملاً يمكنني أن أقدمه في جلسة مناقشة رسالة

الدكتورة". أذكر أنني نشرت قصة لم تنجح مؤخرًا، وكم سعرت بالخرق حينها، وكنت مذعورة حتى من البكاء. تلقيتُ وابلًا من لفت الدافع الذي نُشر على الإنترنت، وتلك التصريحات التي علّقت بي وأنا أكتب، وكأنها تهمس لي بأنني لن أتحدّث ولو بقدر بسيط في الكتابة. تذكّرت نصيحة صديقة لي حينما أخبرتني أن عليّ أن أصيب بفطة آمنة عند نشر أعمالي. وفي حالة أنني ضربت كرة خطأ حتى بعد عدد الساعات الطويلة التي قضيتها وأنا أكتب، فلن يكون لدي مجال لتبرير موقفتي حينها. فكرة أنني لا أستطيع التنبؤ بمكان إصابة كرتي إلا بعد أن أضربها بمضربي أولًا، أصابتني بالشلل.

"أذكر القصة التي عرضتها عليّ، قبل سفري لروسيا".

"قرأتها وقلت لي أن أصرف النظر عن الكتابة، وأنه لبس عليّ أن أحيّد عن طريقي لأختار الطريق الأصعب، وأن عليّ أن أجعل حياتي أسهل. وهذا الكلام كان قد صدر من شخص سافر لروسيا لدراسة روايات القرن التاسع عشر". ضحكت بعدها.

"وهل تذكّرني في كتاباتك؟"

"أفكر بك في كل ما أكتب. دقّقِي النظر. كل الكلام عنك"

"كيف صحّحتك؟"

"أستطيع التعايش الآن دون الحاجة للدواء، وأحصل على الكثير من أشعة الشمس، كما أنام كثيرًا. أنا بخير الآن، صدّقيني"

في السابق، وحينما اشتدّ مرضي، كانت ميجين سونبيه ترسل لي ريدًا إلكترونيًا بشكل يومي تقريبًا. وحينما كنت أقول لها إن الدواء لا يُجدي نفعًا، كانت تجيبني بأنها تعرف شخصًا قد شُفي على نفس الدواء، وأن دواء البروزاك فعّال، وأنه قد يستغرق بعض الوقت لأشعر بفاعليته. كانت تتصل حينما لا أُجيب على رسائلها، وتناديني

باسمي: سوو إين. أحيانًا كنت أبكي بشدة لمجرد سماع اسمي منها، وأذكر أنني سبق وأن ان فعلت عليها بشدة وجسدي ينتفض وطلبت منها أن تنهي المكالمة لو أصرت على الاستمرار في مثل تلك التأكيدات السطحية.

أذكر مرصي كرائحة قم كربةة. رائحة لا تغادرني مهما غسلت أسناني أو اسحمت. كنت أجد صعوبة في بعض الأيام في أن أنهض من فراشي، وفي أحيان أخرى كنت أجد الذهاب للحمام أمرًا مسنحيلًا. سلوكي تجاه الحياة، والذي كان يتسم بالاجتهاد في تعذيب النفس، لم يكن مُعاونًا في أي شيء مع هذا المرض. الاستحمام، تجفيف شعري، ارتداء ملابس، والخروج من الباب؛ تلك الأمور كانت تستهلك طاقة جسدية وقوة إرادة يوم بأكمله. لم تكن لي اليد العليا على جسدي.

ومن إحدى نوافذ الردهة بالمشفى، كان باستطاعتي أن أرى المارونير بارك في الجهة المقابلة من الشارع. الفتاة ابنة العشرين ربيعًا التي غنت من كل قلبها عند الحديقة هي نفسها التي تنهاوى الآن أرضًا ولا تمالك نفسها إذا حاولت النهوض وهي ابنة الرابعة والعشرين؟ وكل ذلك بسبب تأثير العقاقير على ركبتي التي عجزت عن حملي. فقدت كل ذكرياتي عن غنائي في المارونير بارك، حتى صوت نلك الأعنة، والضحكات. كقطار فقد مقطورته الخلفية إثر حادث بينما أكرر طريقه بعدها بنصفه المتبقي منه. فقدت الإنسان الذي كنت أعرفه سابقًا بكلمة "أنا". انفصلت ذاتي ابنة العشرين ربيعًا عن قرينتها ابنة الرابعة والعشرين بشكل نهائي، وتركت الأخيرة نقف وحيدة، مع استحالة العودة على شريط مظلم للسكة الحديدية.

كانت سونبيه تواجه وقتًا عصيبًا أثناء محاولتها للاستقرار في روسيا، ولكن معاناتها بالنسبة لي كانت شأنًا يخص شخصًا آخر حرفيًا. كنت الإنسان الأكثر تألمًا وتعذيبًا في كل العام؛ لذا لم تبصر عباي سوى

لكندرائيه المديس إسحاق المقابلة لنا، ثم أُضيئت أعمدة الإنارة في الشوارع وفتحت القوارب المارة أنوارها تبعًا.

قال مجين سونبيه: "أتمنى ألا تعاني هكذا مرة أخرى".

"أتمنى ألا تعيشي الحياة بتلك الجدّة. حتى ولو لم يكن بالأمر السهل، عبي الأقلّ تذكّري أنك شخص تستطيع الغناء. ليس بإمكانني أن أقوم بأي شيء لك يا سوو إين، ولكن..." بدأت تعبي أغبيتها القدمة المفضّلة. بصوتها الذي صبّ الشجن والخزي في أعماقي يومًا. كانت ننظر لي وهي تغني، وقد أشرق وجهها كما حدث من قبل. لم تتسنّ لميجين سونبيه أن تصل لعمرى مُطلقًا.

انتهت الأغنية، فسمعت صوت تصفيق الأشخاص المجاورين. أطفأت جهاز المسجّل ونزعتُ السّماعات من أذني. سمعت صوت السيارات تمرّ بحابي، وأصوات الألعاب النارية قادمة من مسافة، وانسكبت أضواء أعمدة الإنارة على النهر.

نوّف قلب مجين سونبيه دون سبب في صيف عام 2009. كان من المفترض أن تناقش رسالة الدكتوراة قريبًا، ولم تكن نعاني من أي مشاكل صحيّة عدا التعب المزمّن. نُوفيت بعمر الثانية والثلاثين وهي بعبدّة عن موطنها. قال الطبيب إنها لم تشعر بأي ألم لأنها أصيبت بوبّة قلبيّة معاجئة. حينما علمنا بأنها لم تتألم في وفاتها بعث ذلك ببعض الطمأنينة عند العديد من الأشخاص الذين تألموا لوفاتها. كان لديها الكثير من الأعداء. جميع الأشخاص الذين كانوا يستشيظون غضبًا بمجرد ذكّر اسمها حضروا لجنائزتها، واحدًا تلو الآخر، وقد أحنوا رؤوسهم أسفًا.

كان بين يدي بعض الصور لميجين سونبيه قد ناوَلتني يوليا إيّاها. سونبيه وهي تأكل المثلّجات في الحديقة الصيفية، وهي تبتسم وقد أغلقت عينيها وهي جالسة على المقعد الخشبي عند نهر نفا،

وصوره أخرى وهي مستندة للحائط عند منزل دوستقسي في انتظار يوليا، وصورة أخرى لها وهي جالسة في المقاعد الخارجية للمقهى وتهمُّ بقول شيء، وصورة لها وهي واقفة عند الممر بالقرب من نهر فونتانك، نبسم وتلوح للسُّيَّاح على متن القارب السياحي. تتبَّعتها بين تلك الصور ورأيتها من خلال عيني يوليا.

مع السلامة يا ميجين سونبيه. أتذكّر وجهك وأنت تغالبين دموعك بكل طريقة عند مكان عبور المشاة، وأدركت أنني أعيش الآن بمثل ذلك الوجه منذ رحيلك، وأنني تمثيْتُ أن أصبح أكثر الأشخاص جفاً وانعزلاً.

مع السلامة يا سوو إين. في اليوم الذي التقيت فيه سونبيه للمرة الأخيرة لم أستطع أن أبسم في وجهها حينما ودَّعتني. نصيحتها لي بالأعيش الحياة بشكل جدِّي بدت لي وكأنها تعطي محاضرةً لطفل صغير. لم أستطع حتى أن أشكرها على قدومها الصعب لكوريا حينما كنت في مرحلة التعافي من مرضي. كنتُ أحسُّ دوماً أنني أدقُّ مهة مزلة، وخاصة أنها كانت شخصاً ناضجاً على الدوام، بينما كنتُ غير ناضجة، إضافة لمرضي المستمر الذي زاد الأمور سوءاً. عاملتها بتك الطريقة، رغم أنني كنت أعلم يقيناً أنني لم أكن لأخطئ تلك المرحلة لولا محبتها لي.

كنت ممثَّنة لاهتمامها غير المنقطع، ولكن عدم ارتياحي كان كبيراً بفقد امتناني على حدٍّ سواء. كنت أشعر أنها تدعس حدود "الأنا" الخاصة بي، وأنها تقتحمها بكل فظاظة. رغم أنها كانت بعيدة عني للغاية إلا أنها كانت قريبة مني للغاية. لم أستطع أن أحتمل حبَّها، وهي التي لم ترفضني حتى بعد أن أظهرتُ لها أسوأ وجوهي. لم أحتمل الأمر لأنني كنت خائفة من أن أتلقَّى الحب منذ بداية الأمر.

بدأت يوليا في فتح باب الحديث وقالت: "ربما قد يبدو كلامي غريبًا، ولكن حينما التقيت ميجين للمرة الأولى، قالت إنها نادمة على القدوم في هذه البعثة الدراسية؛ لأن صديقتها التي كانت تسكن معها قد ساءت حالتها الصحية بعد سفرها مباشرة، فُلت لها إن الأمر لم يكن ديبها. ورغم ذلك كان إحساس تأنيب الضمير مُلَازِمًا لها. كنت توفّر من نقود تذكرة الحافلة، ونقود تناول الطعام في المطاعم، وحينما سألتها عمّا ستفعله بتلك النقود التي تدّخرها أخبرتني أنها تدّخرها لتسافر إلى كوريا بأي طريقة خلال العطلة الدراسية. كانت تريد أن تطهو لصديقتها تلك، وأن تسمع منها، كان كل ما تفكر فيه هو كيف يمكن أن يبقى بجانبها في محنتها. ثم قالت إن صديقتها تحسّنت بعدما زارتها في كوريا، وأن الجمّل الذي أثقل كاهلها بدأ يقلُّ بعد أن رآنها تتحسّن. تلك الصديقة كانت أنتِ يا سوو إين، أليس كذلك؟".

أومأت برأسي بالإيجاب. كان صحيحًا أنني أتحسّن، ولكنني كنت لا أزال مربّصة في ذلك الوقت، وكنت غير قادرة على الابتسام في وجه ميجي سوبيه. كانت قد طلبت مني زيارة بيترسبرج في الصيف التالي، ولم أقل شيئًا.

سألني يوليا: "ماذا قالت عني ميجين؟".

"قالت بأنك مميّزة يا يوليا. ليس لأنك ساعدتها، أو لأنك قادرة على إيجاز الكثير من الأمور. ولكنها لم تلتقِ بشخص مثلك قط، و...".

"هل قالت هذا الكلام؟".

"إضافة لذلك، قالت إنها تشعر بالأسى لأنك لا تعرفين تلك الحقيقة عن نفسك. هل تذكرين حينما حكيت لي في تلك الليلة الماضية بأنك نعيشين وأنت مقتنعة بأنك لا تساوين شيئًا؟ حينما كنتُ أستمع لكلامك كنتُ أشعر بها تجلس بجانبني وتقول 'كلّ يا يوليا'. كنت أحسُّ بها تزفر أسفًا وهي تسمع كلامك عن نفسك".

احمرّت عينا يوليا وأحنت رأسها وهي تتحسّس مفرش الطاولة.

"طننت بأنني سألقاها مُجدِّدًا، فالمسافة حتى منزلها لا نستعرو أكثر من عشرين دقيقة فقط بالحافلة. فكُرتُ أن أطلبها، وأن أعرض عليها تناول وجبة العشاء سوياً، ولكنني كنت خائفة؛ إذ ربما لا تزال مسددة ممّا حدث بيننا. لو كنت استدركت بعضاً من شجاعتي لكنت بادرت بالخطوة الأولى في التواصل معها قبل وفاتها. وحتى لو لم نعد بنفس درجة وفاقنا وصادقتنا كما كنّا في السابق، على الأقل لما شعرت بنفس الندم الذي أشعر به الآن. تُرى، هل كانت ننتظر اتصالي؟ وهل كانت حزينة على الدوام لأننا افترقنا بتلك الطريقة؟ التفكير بهذه الطريقة يعذبّني".

"لم تُرد لك أن تبقي حبيسة الماضي وتتعبّدي به".

"هذا صحيح، ما كانت لتتمنّي لي ذلك".

أخذت يوليا تحدّق في صورة ميجين سونبيه التي تعتلي طاولة الطعام.

"ميجين، اشتقتُ لكِ" قالت يوليا ذلك الكلام بصوت مخفض وهي تصوّم صورة ميجين سونبيه لصدرها. "بدأت أنساك شيئاً فشيئاً، والار لا أذكر فعلاً كيف كنت تبدين يا ميجين". وضعت دراعي حول يوليا وهي تنطق اسم ميجين سونبيه. كان جسدها ضحماً ودافئاً. وحين كنت أضُمُّها شعرت بأن ميجين سونبيه هي التي تضمُّها. سمعت صوتها يطمئنها بداخل جسدي قائلاً: يوليا، يوليا، اسمة لأني رحلت بهذه الطريقة.

استخرجت شريطاً تسجيلياً من حقيبتي، كُتب على الشريط "كيم ميجين، من دفعة عام 97". أدخلت الشريط في مُشغّر الشرائط التسجيلية وضغطت على زر التشغيل. سمعت صوت آلات نبيه السيارات قادمة من بعيد. ثم سمعت صوت ميجين سونبيه وهي تسعل قليلاً لتصفّي خلقها. ثم بدأت تغنّي "دو ري مي فا صول لا"،

لتحتار سُلماً إيقاعياً مُناسباً. جاءت يوليا لتستمع بالقرب من مُسعر الشريط.

"آه، آه. أنا كيم ميچين من دفعة عام 97. أحضر السونيه حديثاً جهاز تسجيل للفرقة. قالوا لي إن بإمكانني تقييم صوتي بشكل أفضل لو قُمْتُ بتسجيله. ومع بعض التدريبات سيصبح بإمكانني أن أصير مغنيه جيدة كذلك". أنهت السونيه كلماتها، ثم أعقبها صوت فهقهت من الفرقة في الخلفية. "هذه هي الروح المطلوبة أيتها الطالبة الجديدة. غني لنا أغنية. غني لنا أغنيته المفضلة".

غُنت ميچين سونيه ذات العشرين ربيعاً، وقت تسجيلها لهذا الشريط، أغنية "زهرة الفاصوليا" بصوت صافٍ وبريء. كان غناؤها صادراً من زاوية في شقة صغيرة بسانت بطرسبرج، غُنت بصوت لا زال يهزُّ قلبي. جلسْتُ جنباً إلى جنب مع يوليا أمام المُسجِّل ننصت للقصة التي تحكيها ميچين سونيه. انتهت الأغنية ونبعها صوت تصفيق تم صحت ميچين سونيه.

غُنت سونيه أغنيات لـ "نوتشاسا"⁽¹⁾ و "كوت-دا-جي"⁽²⁾ و "جانج سا إيك"⁽³⁾، إضافة لـ "بوب مارلي" و "بيلي هوليداي". كما تصمّن الشريط أداءها لأغنيات مايكل جاكسون، وتراويل لاتينية. أياً ما غُنت، وأياً كانت الأغنية، فكنت تشعر أنها أغنيته الخاصة. صوتها الذي كان

(1) مجموعة من الفرق الموسيعة التي تكوّنت من مجموعات من الطلاب الجامعيين بدير حرموا من مدرسة الديموقراطية أثناء الحكم الديكتاتوري العسكري الذي ساد كوريا في فترة الثمانينات والتسعينات، فوجد الطلاب في الغناء وسبلتهم للتعبير عن أفكارهم السياسية، ويعني اسم الفرقة بالكورية (الباحثون عن الأغاني) (노찾사).

(2) فرقة موسيعة اشتهرت بموسيقاها الشعبية في فترة الثمانينات أثناء الحكم الديكتاتوري العسكري لكوريا

(3) (장사익) معرٌ كوري مشهور، جمع في أغنياته بين مختلف أنواع الموسيقى، وكان همهم موسيقى البان سوري الكورية التقليدية.

أجشَّ وهى تتحدث، ينقلب للنعمومة والصفاء إذا ما بدأت في الغناء. لم تلزم بأي تمنية محدّدة في غنائها. ولم تكن تتعمد التأكيد عند بعض المقاطع من خلال منح قوة صوتيّة أكبر عند بعض المواضع تحدّيدًا، ولم تسنّحن حتى بطريقة اهتزاز الصوت الشائعة عند المعنّين. لم تكرر ميجين سونبيه تتوسّل. كانت تغني الأغاني الحزينة بطريقة حافّة، بينما تغني الأغاني المشتعلة بهدوء.

كنت أمنع نفسي كل هذا الوقت كي لا أستمع للتسجيل خشيةً ألاّ أمالك نفسي. كما كنت أخشى أن تطأ قدمي بطرسبرج التي ماتت بها ميجين سونبيه. أردت لمشاعري أن تبقى متماسكة، تمامًا كلوحات متراصة خشية أن تنهار جميعها. كان لديّ هاجسٌ يخشى أن ينهار كل شيء فتتسبّب الشظايا بجرح داخلي. كانت يوليا هي من أخذ بيدي في تلك اللحظة. أخذت عنوان بريدي الإلكتروني وبدأت تراسلني. كنت أكتب لها عن الفترة التي عاشتها مع ميجين سونبيه بينما تحكي لي عن الفترة التي عاشتها معها. كلانا كان يحكي عن ميجين سونبيه، ولكن في نهاية الأمر كنت أحكي عن نفسي وكانت يوليا تحكي عن نفسها. كن تبادل الرسائل على مدار عام، وكأنني أكتب مذكراتي لامرأة بولندية لم ألتق بها في حياتي.

كنت أسمع صوت الدراجة النارية وهي تحتكّ بالأرض حين نتوقّف، أو صوت طنين الثلاجة المتكرّر. كنت أنا ويوليا نتحاشى التواصل البصري، ولكن في مرحلة ما بدأنا ننظر في وجه بعضنا البعض. الأغنية الأخيرة كانت أغنية "زهرة الفاصوليا" التي غنيتها مع سونبيه. كنت حينها في الثالثة والعشرين، وكانت سونبيه في الثامنة والعشرين من عمرها، وقد غنينا الشّعْر بأصدق وأجمل حرارة نبعت من قلوبنا. حينها عندما لم أكن مريضة، ولم تكن متوقّاة، عندما لم نكن أي شيء يُذْكر، افترقنا حينها.

هتت سمات رقيقة في غرفة الجلوس حيث جلست مع يوليا ووجهي مفايل لوجهها. كنت مثل يوليا بدأت أنسى ميجين سوبيه ببطء المشاعر التي كانت تعتريني وأنا أغني تلك الأغنية أصحت باهتة في هذه اللحظة. فقدت عقلي بعد رحيلها لمدة عام ، لكن مرارة فقدانها وشوقي لها الذي كان أقرب للغضب، بدأ يسحب مرور الوقت. أخذت أستمع لدوران الشريط لبعض الوقت حتى بعد انتهاء الأغنية، ثم ضغطت على زر الإيقاف. يوليا، التي احمر وجهها، حاولت جاهدة الابتسام في وجهي. انتهت الأغنية وقد تركنا مع الوقت الذي لم يُمنح لميجين سونبيه.

قررنا في اليوم التالي أن نركب قاربًا، وقررنا أن نستند على الدرابزين وأن نلوح بأقصى طاقتنا للمارين على الجسور والطرقات، وستكون تلك أولى رحلاتي مع يوليا.

ميكائيل

1

أَحَدَتْ تنظر من نافذتها للناس أسفل منها. في العادة، كان أنباع الكبيسة الكاثوليكية يجلسون في شوارع مرور السيارات لمناعة القُدَّاس. كان البابا يلقي القُدَّاس في ميدان كوانج هوا مور من مكان بعيد، وقد اكتظت منطقتا كوانج هوا مون وجونج رو بالحضور "سنلتقي في الساعة الخامسة فجراً ثم نطلق. سمع بآننا سنستغرق الكثير من الوقت حتى نجد بقعة مناسبة حتى ولو وصلنا لسيؤول".

كانت أمها متحمسة كطفلة ذاهبة في نزهة، وقالت لها أن تنظر من نافذة مكتبها لتبحث عنها وسط الحشود؛ إذ رُما يقام القُدَّاس ناحية المبنى الذي تعمل به. لصقت جبهتها على نافذة المكتب،

أحدث الأم تحكي لها وهي تنظر للصورة المعلقة كم كان الجو بديعاً في ذلك اليوم، وكم كان منظر القساوسة بديعاً، وقد ارتدوا أرديتهم الكهنوتية البيضاء، أثناء دخولهم في الموكب القداس. كما حكّت عن كمّية البركة التي حظيت بها عائلتها في ذلك اليوم. أخبرتها أن أعداداً غفيرة من الناس تمّنوا حضور القداس ولكنهم لم يتمكّنوا من ذلك، بينما حظيت بتلك الفرصة، وهذا ليدكرها كم بحبها الرب. وأخبرتها أن عليها أن تدرك كمّ النعم التي تلقاها من الرب، وأن تملك قللاً شاكرًا حتى في الأوقات الحزينة.

كانت أمها كذلك على الدوام؛ كانت تشكر الرب على تمام بزواج مخلّل الكيمتشي، وتشكره على انخفاض سعر لحم الخنزير مما يمكنها من إطعام أسرتها، وتشكره عندما تلتئم البثرة على إصبع قدمها، وتشكره أنه منحها الصحة لتعمل، وأنها تستطيع أن تتناول الطعام في المطاعم، وتشكره حينما تسوء الأمور وحين تنصلح.

ولكن الابنة رأت من خلال ابتهالات أمها بالشكر أمراً آخر، وهو واقع حياة أمها البائسة؛ فما حاجة من اعتاد ارتياد المطاعم للشكر؟ وما حاجة من اعتاد على تناول اللحم بالكمية التي تُشبعه أن يكون سكرًا عند انخفاض أسعار اللحوم؟ وما حاجة من حظت بزواج عني، أو كانت من أسرة لأبوين ميسوري الحال، فلا تُضطرّ لتحمل الأمل البدني المصاحب للعمل وهي واقفة لما يزيد عن عشر ساعات يوميًا، أن تشكر؟ كانت ميكائيل تظن أن الأولى بأمرها أن تصبح أكثر صدقًا حيال وضعها، وتمنّت لو أبدت تذمرها من ذلك الوضع؛ فقد شعرت لفترة طويلة بأن إحساس أمها بالامتنان إزاء واقعها المزري كان ضرباً من الخداع

نظرت من النافذة، بعد أن أنهت عملها، فوجدت أن الجميع قد رحلوا بالفعل ولم يبق سوى السيارات تشغل المكان. كانت تراقب

الباس في هدوء وهم يتفرقون تجاه أرصفة المشاة، ثم طرأ في ذهنها خاطر يتساءل عن مكان أمها الآن.

"سأذهب لمنزل إحدى صديقاتي. كانت تقطن في حيننا تم انقلت لسيؤول لر تعرفيها حتى لو حكيثُ لك عنها. كم أنا ممتنة لها".

فرزت أمها أن تغلق أبواب محلها لتصفيف الشعر لمدة ثلاثة أيام وليلتين، ونذهب في رحلة لزيارة الأماكن السياحية بسيؤول. وكانت الخطة أن تحضر القداس في يوم السبت، ثم تزور كلاً من منطقة ميونج دونج وبرج نام سان، ومبنى 63 في يومي الأحد والاثنين. كما ودت لو كان بإمكانها ركوب قارب نهري بطول نهر الهان. كانت مستاءة من أمها التي لم تفكر في مدى انشغال ابنتها ورغم ذلك قَدِمَتْ إلى سيؤول.

علقت آمالها على ذكر أمها لجملة "إحدى صديقاتي"؛ ربما سنذهب أمها لزيارة الأماكن السياحية مع تلك الصديقة. ففي نهاية الأمر لم تعرض على انتهائ مرافقتها لزيارة تلك الأماكن. ونظراً لأنها لم تتصل بها بعد انتهاء القداس فذلك يعني أن السديتين قد التقيتا بالفعل وذهبتا لمنزل صديقة أمها.

لم ترر الأم ابنتها في منزلها بسيؤول سوى مرة واحدة فقط. والسبب لأنها كانت تسكن مع رفيقة سكن حتى وصلت السن السابعة والعشرين من عمرها، ولم تأت تلك الزيارة سوى حينما استفلت الابنة بشقة بمفردها. حوت علبة حفظ الطعام التي أحضرتها أمها على اللحم المشوي، يخنة سمك البلوق، أوراق البيرلا المتبلية، مسحوق الفلفل الحار، براعم الفجل المخلل، وزيت السمسم. حينما رأت الابنة تلك العلبة الثقيلة مثل الصخرة شعرت بالضيق لأن أمها قد تكثرت العناء في حملها لزيارتها وركبت بها الحافلة ثم القطار ثم مترو

الأماق؛ لذا لم تكن الابنة مسرورة من تلك الزيارة، بد على العكس من ذلك

"تلاحك صغيرة للغاية".

زفرت الأم باستياءٍ أمام ثلاجة ابنتها الصغيرة التي اكتظت بعُلب الجعة المعدنية.

"ما العمل في كل تلك الأشياء التي أعددتها؟ حتى مسحوق الفلفل الأحمر ستتكالب عليه الحشرات إن لم يُحفظ في الثلاجة".

فتحت الأم غطاء علبة الطعام مُحكمة الإغلاق التي تحوي اللحم ثم شمته وقالت:

"علينا أن نأكله عن آخره اليوم يا ميكائيل".

أحدث ميكائيل ووالدتها تناولان اللحم المشوي في كل من وحتي الغداء والعشاء.

كانت بطنها قد امتلأت بالطعام بالفعل، ولكن أمها أخبرتها على ناسول المزيد خشية أن يفسد اللحم. أخرجت الأم من الثلاجة الصغيرة عُلَب الجعة المعدنية ووضعت بدلًا منها كلاً من يخنة سمك البلوق، وأوراق البيرلا المُتبّلة، ومسحوق الفلفل الحار، وبراعم الفجل المحلّل، بعد أن أفرعتهم في كيس بلاستيكي. المحتويات كانت كثيرة مقارنة بحجم الثلاجة التي عجزت عن إغلاق بابها، فأخرجت بعض القطع من اليخنة وطلّبت من ابنتها تناولها، فأكلتها الابنة.

لم تكن الأم ستبييت عند ابنتها في هذه الليلة، فبدأت تعدُّ أغراضها لركوب القطار. تلك الأم التي لم تعرف طريقًا للراحة. حتى إيجار المحل الذي تعمل به كان يرتفع باستمرار، ورغم ذلك لم ترفع الأجر الذي تتقاضاه من الزبائن طوال الخمس عشرة سنة عر عملها في قصر وفرد الشعر؛ ممّا يعني أنها تجارة لا تُدرُّ عليها ربحًا. حتى

بعد أن أخبرتها ابنتها بأنها ستصحبها حتى محطة سيؤول للفطرات، فرفضت لأم، وأخبرتها بأن ترتاح وتأخذ كفايتها من النوم، وكانت نُصْرُ على الذهاب وحدها. رحلت الأم ثم أصيبت ابنتها بَعُسْر هضم حاد، نفبأت على إثره كل الطعام الذي تناولته، ورغم ذلك شعرت ببرودة في جسدها الذي ابتلَّ بعرقها، وانتهى بها الأمر في غرفة الطوارئ أمها لم تعرف حقاً أي شيء عن مراعاة الغير.

2

لم تصلها أي مكالمات من ميكائيل. تُرى هل هي مشغولة؟ مسحت المرأة عرقها المتصبب بأكهام الهان بوك الذي كانت ترتديه، وحينها فقط تذكّرت أنه مستعار. كان كل ما شغل تفكيرها وهي تنتظر بدابة القُدّاس هو كيف لها أن تدفع ثمن السُترة العلوية من الهان بوك. كان عليها ارتداء الهان بوك مع المحافظة على نظافته، ومع انتهاء فترة الظهيرة كان العرق يتصبّب بغزارة من تحت إبطها، فترك أُنر قبيحاً على قماش الفستان.

كاتب فد استعارت فستانها من إحدى الأخوات في فيلق مريم العذراء بالكيسة؛ لذا كان يختلف عن الهان بوك العادي حصلت تلك الأخت على الفستان في زفاف ابنتها كهدية من والدَي صهرها. كان باهظ الثمن، حيث يتكوّن من فستان باللون الأزرق مع سُترة علوية باللون الأصفر الفاتح. ومن الواضح أن صاحبة الرداء لم تُخرجه من خزانها فطراً إلا لو كانت سترتديه في قُدّاس مهيب، ولكنها أقرضته إيّاها بكل سرور لترتديه لحضور قُدّاس البابا. فكّرت المرأة أنه سيكون عليها دفع تعويض لصديقتها في حال عجزت المغسلة عن محو آثار العرق التي خلّفتها على الرداء. كانت تعلّق حقيبة كرة السلة على ظهرها. والآن كان عليها البحث عن مكان لتقضي فيه ليلتها.

كانت قد أحبرت الناس في الكنيسة بأنها ستبيت في منزل ميكائلا بسيوول، وأنها ستجول في المدينة لأول مرة في حياتها، وحتى نكمل رحلتها فسوف تزور برج نام سان، وحتى الرحلة النهرية ستكون ضمن خطتها. كان الناس يقولون إن ميكائلا قد تبدو جافّة من الظاهر، ولكنها ذات قلب طيب، وأن ابنتها هي عوّضها عمّا رآته من مشاق في حياتها.

كانوا على حق؛ كانت ميكائلا دوّمًا الابنة التي يمكن أن تعتمد عليها. كانت تشعر حيالها بمزيج من الامتنان والشفقة، لأنها كان عليها أن تغرس جذورها بمفردها في سيوول بعد خوص الكثير من الصعوبات. لم يكن مقدور أمّها مادّيًا أن ترسلها لمعاهد التعليم الخاصة كباقي الآباء، وكانت تشتري لها زيّها المدرسي من السوق، لا من العلامة التجارية المعروفة. حتى مدّخراتها لم تكفّ سوى لتأمين مصاريف القبول في الجامعة والفصل الدراسي الأول فقط، ولا شيء أكثر من ذلك. عادت ميكائلا لمنزلها بالقرية خلال العطلة الصيفية للفصل الدراسي الأول وأخبرت أمّها أنها سوف تعمل لتوفير مصاريفها الدراسية، وطلّبت منها أن تتوقف عن إرهاق نفسها في العمل.

كانت الأم تشعر بالخزي كلما فكّرت في ابنتها؛ فشعورها بالذنب تجاهها، لأنها لم يكن بوسعها أن تفعل أي شيء لها، دفعها لتقرّر ألا تكون عبئًا عليها على الأقل. كما كانت تدّخر مبلغ ثلاثمائة ألف وور شهريًا في حساب الادّخار الخاص بها لتأمين نفقات زواج ابنتها، وقد خطّطت لادّخار المزيد من أجل نفقات ما بعد التقاعد.

"لن أتزوّج يا أمي". كانت ميكائلا قد صرّحت بالأمر منذ سنّ صغيرة.

"الفتيات اللاتي يقلن هذا الكلام مثلك هنّ أول من يتزوّج، صدّقيني".

بدت ودبحة وهي تقول تلك الكلمات، وخاصة حينما ترسم ملامح الانعاض على وجهها، ولكن حينما كررت ميكائلا نفس الكلام بعد أن وصل لسن الثلاثين، بدأت أمها تشعر بالقلق حينها؛ إذ ربما تكون ابنتها حادة فيما تقول.

لم تكن هناك عروس أفضل من ميكائلا؛ فالفتاة قد تخرّجت في جامعة سيؤول، كما حصلت على وظيفة هناك، وكان لديها من الموارد المالية ما يؤهلها لدفع مبلغ الإيداع الباهظ لشقتها المؤجرة. ورغم أن شخصيتها لم تكن ودودة بشكل خاص، إلا أنها كانت مَهَذِّبة، وتحدث بشكل لائق. حتى لو سمعتها وهي تتحدث كلامًا عاديًا لاحظت على الفور أنها قد درست سيؤول. ولو شاءت لتزوَّجت من شخص غني، ولكانت أنجبت طفلين بحلول هذا العمر.

ولم تفهم المرأة لِمَ اختارت ميكائلا طريقًا محفوظًا بالأشواك والصعب بدلاً من الطريق السهل. وفي نهاية تفكيرها كان هناك على الدوام وحزات تأنيب الضمير المتمثلة في جملة "ربما كنتُ السبب"، فعلى كل حال، هي لم تكن جيدة بما يكفي لتكون أمّ ميكئبلا.

تحركت المرأة تجاه مترو الأنفاق. كانت خطتها هي البحث عن مكان للمبيت في حي مانج وون- دونج، حيث تسكن ابنتها. وربما انصَلَّت ميكئبلا غداً لتناول طعام الغداء سوياً، ولكنها كانت تنقذ للشجاعة الكافية لتطلب ابنتها أولاً. ألن تكون ميكائلا في دوامها يوم عطلة عيد الاستقلال وكذلك اليوم السبت؟ لم ترغب المرأة في الضغط على ابنتها المشغولة. كل أمنيتهَا كانت أن ترى وجهها ولو لمرة واحدة، ولكن حتى تلك الأمنية بدت بالنسبة لها أنانية منها. وبكثير من المجهود نجحت في تهدئة قلبها.

مرَّ عليها وقت كانت ترى فيه ابنتها وقتما شاءت. كانت تصل البيت بعد انتهاء دوام عملها فتجدها تصيح في سعادة قائلة "أمّاه!"،

ونجری نجاه أمها. كانت كل أوجاعها تختفي بمجرد أن تضمّها إليها، كانت تمنحها القوة لتستكمل عملها في اليوم التالي. من غيرها في هذا العالم الذي سيمنحها كل هذا الحب، ويركض نحوها بوجهه الحميل هذا ليرمي بين أحضانها؟

ولكن هذه الأيام قد ولّت، إلا أنها لم تنسَ الحب الذي تلقّته من ميكائيل. يقولون إن الذين الذين ندين به لأبويننا عظيم مثل السماء، وعلى العكس من ذلك، فإن الحب الذي منحتة لها ابنتها كان مثل السماء. الحب الذي منحتة لها ميكائيل الصغيرة كان دافئاً مُخصّصاً لها وحدها، حبٌّ لن تجده في أي مكان آخر على وجه الأرض.

كان سعر الليلة في الفندق الصغير الذي بُني على طراز المطعم الصيني بثمانين ألف وون. نظر لها الموظف على مكتب الاستقبال في تشكُّك وقال لها:

" قلت لك ثمانين ألف وون. تسعيرة عطلة نهاية الأسبوع".

بدت تتحقّق من قائمة الأسعار المملّقة على زجاج مكتب الاستقبال. وكما ذكر الرجل، فسعر الليلة في أيام الأسبوع سنّون ألف وون، بينما يرتفع إلى ثمانون ألف وون في أيام العطلة الأسبوعية. معولة إن الأسعار في سيؤول قاتلة لم تكن من فراغ. حاولت البحث في فندقير أخير في الجوار، ولكنهم طلبوا نفس المبلغ أو حتى أكثر. بدأت قدماها تتورّمان بداخل حذائها التقليدي. أعادت ربط عُقدة سُرّتها العلوية التي انحلت، ثم مشّت لمحطة الحافلات القريبة. وصل العرق المنصبّب من تحت إبطها هذه المرة حتى أطراف أكمامها. كان عليها أن تسدّد ثمن الهانبوك لا محالة. لم تستطع حتى أن تبدأ في تخمين سعر الفستان.

وعلى محطة انتظار الحافلات سألت سيدة في منتصف العمر
تجلس بجوارها على المقعد الخشبي: "هل هناك أي عرى ساونا
بالحوار؟".

"اركي نفس الحافلة التي سأركبها. وأنا سأدلك على مكانها، لأنني
سأنزل بعدك. هل أتيت لحضور حفل زفاف؟ من أين أنت؟".

كانت شديدة الحذر، لأنها توقعت أن أهل سيؤول سيكونون
متغطرسين، إلا أنها اطمأنت لمقابلة من يجيها ويريد مساعدتها؛ لذا
أخبرت السيدة، التي كانت في منتصف العمر، بكل فخر، بأنها جاءت
لحضور القداس الذي ترأسه الأب المقدس اليوم. وأضافت أنها المرة
الثانية التي تحضر فيها للأب المقدس. ارتفعت كتفاها فخراً وهي
تقول:

"حضرت القداس الذي أقيم في ميدان يوثيدو عام 89. كان برأسه
حبها الأب المقدس يوحنا بولس الثاني".

فطعت المرأة الأربعينية كلامها وسألتها:

"ولكن لماذا لم تعودتي مع باقي رفاق الكنيسة؟".

بدت لهجتها وكأنها غير مهتمة بأمر الأب المقدس.

"عليّ أن ألتقي بشخص ما".

"يبدو أنه ليس لك أبناء يسكنون في سيؤول. ورغم ذلك، هم
تنوير الذهاب لغرفة الساونا بهذه الهيئة؟".

"كلّا.. ليس الأمر كذلك".

"هنا. يمكنك أن تنزلي هنا". كادت المرأة الأربعينية أن تدفعها من
الحافلة. نظرت المرأة للحافلة المغادرة وأخذت تلوّح بيدها، وجمال
بخاطرها أن ليس كل أهل سيؤول من المتغطرسين.

أُمها لم تتَّصل.

تُرى كم كانت أُمها سعيدة بالأمس. وتُرى كم مرة صاحت بأُها ممتنَّة لحضور هذا القدَّاس حتى ولو لم تتمكَّن من رؤية وجه البابا. ضحكت ميكائِلا من الفكرة. كانت أُمها امرأةً بسيطة، فلم تنظر للأمور بشكل ملتوٍ، ولا تسيء الظن بالأشخاص. وتلك الساطة ولسذاجة زادت معاناتها في الحياة. كانت تعيل زوجها وتؤمن رزق أسرَّتها، وكل ذلك بقبولٍ أعمى من جانبها، وحينما وصلت ميكائِلا لمرحلة المراهقة، كانت العلاقة بين أُميها مثل علاقة الحيوان الطُفيلي بمُضيفه، حيث كان والدها يتسكَّع في المنزل على الدوام، بينما كانت أُمها تعمل، حتى أصبح شكل يديها مثل قدميها.

كانت حياة والدها حبلاً مستمراً بلا نهاية بين إيجاد الوظيفة وفقدانها. في شبابه، أراد تسخير نفسه لقضايا الضعفاء على هذه الأرض، فالنرم بالحركة العمالية وعمل متخفِّياً في أحد المصانع، بجانب المدرس الليلي. كان كثيراً ما يصاب بنزيف في أنفه أثناء الحصَّة، وكانت أُمها، التي كانت إحدى طلابه في تلك الفترة، تبكي ويمزِّقها شعور الشفقة حياله. مَنْ الذي كان عليه أن يساعد الآخر؟ كانت تحمل أستاذها الذي يسقط مغشياً عليه في أي مكان، وتذهب بحثاً عن طلب المساعدة، وحينما بدأ يتواعدان كانت تستنفد جميع مدخَّراتها لتشتري له الأعشاب الطيبة. لم يكن هناك زف ف ولا شهر عسل؛ لأن أباها كان في السجن في تلك الفترة، وكانت متعة أُمها الوحيدة وهي عروس جديدة أن تشارك زوجها بعض الكلمات خلال ريارته الأسبوعية في السجن.

"كم كنت ممتنَّة لتلك الأيام!"

كان ذلك هو ما تحكيه أمي عن تلك الأيام. كانت كثيرًا ما تتحدث عن أن تلك الزيارة كانت تجعلها في مزاج جيّد، بدءًا من الصباح وحتى ينتهي بها الأمر بقضاء ليلتها مستيقظة بلا نوم. ووصل عدد البطافات اليريدية التي كانت تكتبها له كل يوم بعد انتهاء دوام العمل لم يريد عن خمسمائة بطاقة.

وبعد أن أُطلق سراح والدها من السجن، وبفضل بعض من توسّطوا له عند بعض الشركات الصغيرة؛ نجح في الحصول على وظيفة، ثم ما لبث أن يتركها بعد فترة وجيزة. كان يعمل في بعض الأحيان بنظام التعاقد من الباطن مع بعض دور النشر، فيقوم بمهام المراجعة اللغوية أو الترجمة في أحيان أخرى. وبالطبع لم تؤمّن هذه الوظائف النقود اللازمة، وكان كلما أنهى كتابًا سقط مريضًا طريح الفراش في أحد المشافي. كان والدها بالنسبة لها ذلك الشخص الذي برقد باستمرار في المشفى وقد علّقت له محاليل الوريد، أو الذي بحمل معقّة بأصابعه، التي لم يبقَ منها سوى العظام، مفلّجًا طبقًا مر العصيدة مائية القوام. ورغم بنيته الضعيفة، إلا أنه لم يتغيّب عن أي مظاهرة كبرى في سيؤول، كما كان يشجّع ابنته، التي كانت في المرحلة المتوسطة، على قراءة رسائل كيم داي جونج التي كتبها في المعتفّر، والكتب التي كتبها هام سو ك هيون.

كانت نفكر في أمره قائلة: ما بال هذا الرجل؟ ما علاقة إن تولّى كيم داي جونج أو لي هويه تشانج الرئاسة بحياتنا؟ كانت أمها تعمل بلا توقّف في فُرْد شَعَر النساء ممّن بلغن منتصف العمر، حتى أصبحت يداها تشبه قدميها، وكل ذلك لتأمين ثمن رحلة ابنتها الدراسية. كان والدها يتحدث على مائدة العشاء عن الرأسمالية التي تهتمّش الفقراء، وأن الطبقة المتوسطة ستتهار سريعًا في المستقبل، وستدفع بالكثيرين للفقّر.

ومادا في ذلك؟ أي، هو مَنْ يدفع بأسرتنا نحو الفقر ليس العالم ولا الرأسمالية، بل أنت على وجه التحديد. هل تعتقد بأن لديك الحق أن نتكلم عن مثل تلك الأمور بينما تدفع بزواجك للعمل وهي تطف على قدميها طوال النهار في محل لتصفيف الشعر لا تتحوز مساحته الثلاثة والعشرين مترًا مربعًا، وذلك لعجرك عن تأمين نفقت معاشك اليومي؟ ولكنها ما عادت تفهم أنها ولا أمها مطلقًا كانت أمها تعود من دوام عملها ثم تغيّر ملابسها وتبدأ في تفقد أمور زوجها. وتسأله إن كان مُتعبًا في ذلك اليوم... وهل أعجبه الكتاب الذي يطالعه... كانت ميكائلا تعتقد بأن سبب انفصال أبيها عن العالم وتعلقه في فقاعة أحلامه تلك بسبب تقبُّل أمها النوم له، وأن أمها لم تحب نفسها بالقدر الكافي؛ ولذلك قبلت على نفسها أن يتم استغلالها على هذا النحو من قِبَل شخص مثل أبيها والحقيقة أن تلك العلاقة لم تكن حبًا، بل استغلالًا من طرف واحد

انصلت ميكائلا بأمها، فسمعت رسالة مسجلة تخبرها بأن هاتفها مُعلق كار من الواضح أن أمها قد نسيت أن تحضر معها شاحن الهاتف. في مثل تلك الأحيان كانت أمها هي من تبادر بالاتصال قبيل انقطاع الهاتف عن العمل؛ لذا فكان من الغريب ألا تتلقى منها أي اتصال، وخاصة أنه بإمكانها اقتراض هاتف أي شخص آخر في حالة الضرورة، حتى لتخبرها عن رأيها بعد حضور القدّاس، وتُطلعها على خطنها لذلك اليوم. قرّرت أن تتصل على السيدة سكولاستيكا.

"لم أسنطع الذهاب لسيؤول بالأمس. خسرت في القرعة. لا تقلقي على أختنا. تلك السيدة كثيرًا ما تنسى أن تشحن هاتفها. انتظري، أليك رقم السيدة إليزابيث؟ نعم، أقصد السيدة التي تغني في الكورال".

"ماذا؟ ماذا تقصدين؟ أخبرتني أنها ستبيت في منزلك. ألم تأتِ لمنزلك؟ ولم تتصل حتى؟ يا إلهي، ما الذي حدث؟" منزل صدقتها؟ هل تعرف أي أحد في سيؤول؟ أخبرتني بالفعل بأنها ستبقى عندك، أن متأكدة من ذلك."

بينما كانت على الهاتف مع السيدة إيزابيث أذاع التلفاز مظهرًا شاملًا لمبدان كوانج هوا مون. أظهرت الكاميرا كُشكًا خاص بجمع التوقيعات لتقديم التماسٍ حول "القانون الخاص لتقصي حقيقة ما حدث في كارثة العبارة سيه وول في السادس عشر من إبريل وباء مجتمع آمن". وكانت هناك خيمة نُصِبَت خلف ذلك الكُشك، جلسَت تحتها امرأة عجوز بجانب امرأة أربيعينية. كانت لحظة سريعة، ولكنها أدركت على الفور بأن تلك المرأة كانت أمها. ومما أكَّد لها طها حقيقتها التي كانت ملقاةً بجانبها. تُرى، لماذا تجلس أمه في ذلك المكان؟ خرجت ميكائيلًا سريعًا من منزلها دون أن تغسل وجهها حتى.

4

كانت غرفة الساونا التي دلَّتها عليها السيدة في موقف الحافلات أصغر مما قد توقَّعتَه. خلعت عنها رداء الهانبوك الذي كانت ترتديه، وبدأت في فرك جسدها لتزيل عنه الأوساخ. رأت الكثير من الأمهات وفد حضرن بضحبة بناتهنَّ لتمضية الوقت سريعًا خلال عطلة نهاية الأسبوع الطويلة في حمام الساونا. منظر الأطفال الذين كانوا يركضون في كل اتجاه جعلها تبتسم تلقائيًا. بينما أجلسَت الأمهات الشابات أنناهن على كرسي الاستحمام، وبدأن في فرك كل بقعة في أجساد أطفالهن الصغيرة بالصابون. وفي المقابل بذل الأطفال مجهودًا في غسل ظهور أمهاتهن.

تُرى، هل سأكون جدَّة مثلهن في يوم من الأيام؟ كاد قلبها ينفطر من فكرة أنها قد تُرزق بحفيد يركض نحوها ذات يوم. لا زالت

الحياة نَفَتْحَ أمامها وتَعِدْها بحلم جديد. ورغم أن ذلك الحلم صعب التحقيق، إلا أن وجوده كان كافيًا ليمنحها طاقة جديدة وشهية على الطعام.

كلما فَكَّرَتْ كم هي محظوظة لأنها تعيش هذه اللحظة تدَّكَّرَتْ على الفور زوجها الذي استدعته السماء منذ ثلاثة عشر عامًا كلَّمْ نَذَكَّرَتْ زوجها أَحَسَّتْ وكأن بندولًا ثَقِيلًا يَخْدش قعر قلبها ويمزِّقه. لم يتسرَّ لزوجها حتى رؤية ميكائيل وهي تلتحق بالجامعة، ولا حتى أن يراها كيف كَبُرَتْ وأصبحت شَابَّةً يافعة. لم يسبق له أن حصر القُدَّاس الذي ترأسه البابا في ميدان كوانج هوا مون، نعم... حتى جزيرة جيجو التي يرتادها الجميع، لم يسبق له أن زارها مطلقًا. كانت تنسأل إن كان هناك مَنْ هو أفقر منه، ثم تبكي حين تفكَّرْ أن روحه الآن مرتاحة في مكان بلا ألم.

كان الجيران في حيها يشعرون بالشفقة حيالها لأنها مُنيت بزواج لا يمكنه إعالة أسرته. قالت لها ميكائيل بأن أمها هي مَنْ تأدَّتْ من عمر والدها. وكان كلامها صحيحًا. فمنذ أن التقت به حتى بدأت الحياة تُخَضِّعُها تحت أحكامها أضعافًا مضاعفة. عاشت حياة بلا مُنْفَس، لدرجة أنها لم يسبق لها الذهاب للاستمتاع برؤية أشجار الخريف المتلونة مثلها مثل أي شخص آخر. كانت تتردَّدْ دومًا على السحون والمستشفيات، بينما كان من المفترض في قَدَرها ألا يكون لها دخل بهذه الأماكن. كما كانت تعمل دون راحة أو عطلة أسبوعية لتسدَّ فجوة حسابهم البنكي البائس.

ورغم ذلك لم توافق أبدًا على رأي الناس حول زوجها حين يسيؤون الظن به قائلين بأنه لا يتجشَّمُ العناء في المحاولة. كان يقرأ الكتب، ويكتب المقالات، ويتواجد حيث يجب أن يكون، وذلك ما كان مطلوب منه فحسب، وحينها كان أكثر الناس اجتهادًا في تلك المواضع،

وعليه، فلبس من المنتصف الحُكمُ عليه بأنه عاجز لمجرّد أن الوظيفة التي يؤدّيها لا تُدرّ عليه المال الكافي.

كانت نؤمن أن العالم بحاجة لمختلف صنوف البشر. صبحح أنا بحاجة لمن يضع لفائف الشعر للتصنيف، إلا أننا بحاجة لأمثاله كذلك. وكما أن هناك رجالاً يعملون لكسب أقوات أسرهم، فإن هناك من الرجال من يرعى شؤون البيت، وهو يراعي طفله. وبعد أن احتكّت بالعالم الخارجي، فلم يسبق لها أن رأت من هو في رُفنه وطيبته. لم ترغب في أن تطلب منه أن يلوّث صفاءه العذب ليصح ماؤه ملوّثًا كحَمَامات الاستحمام العامة. ربما قد بدا للعالم كشخص بلا فائدة، ولكن ليس كل ما فعله الأشخاص المفيدون مُفيدًا حقًا لباقي العالم.

بينما كانت تقشّر وتأكّل البيض المسلوق في الصالة العامة بحمامات الساونا، حتى بدأت تنتبه لتشعّب العروق على سطح جلد ربلتيّ ساقيه. مجموعة الدوالي التي تشعّبت على جدران ساقها بدت وكأنها كتلة خضراء. وبعدما انتبهت للوضع أخذت مشقة وغطّت بها ساقيه بعد أن جلست متربّعة. بدأت أعراض بورم قدميها بالتزامن مع بداية عملها في مهنة تصنيف الشعر، أي قبل عام من الآن، ولكنها كانت مشغولة بحيث لا تملك الوقت الكافي لتلقّي علاج، كانت قد أهملت الوضع زمناً، ولكنه ازداد سوءاً في الوقت الحالي. يوماً ما أشار إليها طفل صغير في الخامسة من عمره من أطفال زبائنها وهو يقول لأمه: "أمي، أنا خائف من ساقّي هذه السيدة". وحين سمعته انهمرت في البكاء، وقرّرت بعدها ألا ترتدي إلا السراويل الطويلة مهما كان الجو حاراً.

كان خير قُدّاس اليوم يُذاع على نشرة الأخبار في التلفاز، ويبدو أن عدد من تجمعوا في الساحة يُقدّر بمليون شخص. حجزت المرأه مقعداً

لها عند شارع جونج رو 3، ورغم ذلك لم تتمكن من رؤية البابا المقدس مباشرة. وحتى عندما كان يقود موكبه في سيارته البابوية، فلم ننمّكر حينها أيضًا من رؤيته بسبب تدافع الناس. ذكر بعض الأخوة من الكنيسة من طوال القامة أنه كان بإمكانهم رؤيته مر بعد، إلا أن السيدات القصيرات لم يحظين بمثل فرصتهم، وكان كل ما رأيته يومها هو ظهور الناس ورؤسهم فقط.

ظهر الأب المقدس على الشاشة الضخمة وهو يوقف موكبه بين الحين والآخر ليمسح على رؤوس الأطفال ويمنحهم البركة. ثم حين استدار ناحية أحد الأركان ووجد رجلًا ينادي عليه باستماتة، فنزل وتوجّه حيث يقف الرجل، ثم أمسك بكف الرجل وأحنى رأسه وأخذ ينصت لكلامه، وبدأ القسّ الواقف بجانب البابا يترجم له كلام الرجل. صاح الناس الذين تجمّعوا في كل مكان بعدما شاهدوا ذلك المنظر على الشاشة الكبيرة. قالت لها الأخت سوزانا التي جلست بجانبها ذلك اليوم: "هذا والد يو مين، إحدى ضحايا العبارة سبه وول".

وجه الرجل الشاحب الذي كان يحدث البابا بحرقّة أثار موجه بقلب المرأة. إلا أن صورة وجه الرجل قد لازمت قلبها كأنها بُفشت بداخله، حتى بعد أن استأنف البابا موكبه بعد مغادرة المكان.

تُرى، ماذا قال للبابا؟ وما هي الكلمات التي استخدمها ليعبر عن ألمه في تلك الدقائق القصيرة؟ وكيف كان شعوره وهو يصيح للبابا لينظر له متوسلاً لشخص قديم من النصف الآخر من الكوكب ليسمعه؟

ورغم البركة التي شعرت بها بعد حضور القداس، ورغم سعادتها الغامرة، إلا أن سعادة قلبها تلك لم تكتمل. لو كان الأمر بيدها لنزلت بين تلك الجموع وشقّت طريقها وصولاً لذلك الرجل لتعانقه. كانت

حربنةً أنه لن تتمكّن من مشاطرته أمله. ولم تُذع النشرة حوار البابا مع ذلك الرجل.

خرج الناس من الصالة العامة بحمام الساونا واحدًا تلو الآخر بينما كانت لا تزال تتابع التلفاز، ثم أطفأت السيدة لتي تبيع الوجبات الخفيفة في الصالة مصباح الفلورسنت في الكُشْك، ثم المطعم. كان فرعًا صغيرًا، ومن الواضح أن الناس لن يجتمعوا في تلك الصالة للسهر أو النوم كما هو معتاد بطبيعة الحال في مثل ذلك المكان. نظّرت في المكان من حولها فلم تعثر سوى على ثلاثة رجال قد تمّدّدوا في مواقعهم. استلقى ثلاثتهم، وكانوا شابًا في الثلاثين من عمره، ورجلًا في منتصف العمر، وعجوزًا أشيب، ومع حلول الساعة الحادية عشرة قام أحدهم بتشغيل التلفاز. لم يكن باستطاعتها أن تنحشر وسطهم لتحصل على قسطٍ من النوم. كانت صالة الساونا صغيرة بحيث لا توجد بها غرف منفصلة للنوم؛ فلم يكن هناك حلٌّ سوى أن تعود لغرفة تغيير الملابس وقد غطّت ربلتي ساقيهما بالمنشفة.

تتكوّن غرفة تغيير الملابس من مجموعة من الخزانات المخصصة على شكل مُربّع ينقصه الضلع الأخير، إضافة لخزانة أخرى، ومقعد خشبي. أمّا المقعد الخشبي فقد احتكرته امرأة بدّت في الستين من عمرها، وقد نامت فوقه بعمق، بحيث سال لعابها. كانت الأرضية دايفة، إلا أنها شعرت بهواء بارد، ربما كان سببه المكيفات. حاولت أن نعدّل حرارة المكيف ولكنه لم يتحرك؛ إذ ربما كان مُعطّلًا. مشّت المرأة تجاه الخزانة التي انتصبت على شكل المربّع مفصوص الضلع. يبدو أن هذا هو المكان الوحيد المتاح للنوم، وحينها خرجت سيدة عجور قد انتهت للتوّ من الاستحمام، واحتلّت المكان ومعدّدت على الأرض. فاستسلمت للوضع وانتقلت للردهة لتنام، وحينها عرضت عليها السيدة العجوز أن تنام في مكانها بدلًا منها.

'عليك أن ننامي بالداخل يا عزيزتي، بإمكانني أن أنام في أي مكان'.

رَفَضَت المرأة العرض من خلال حركة من يدها، ولكن العجوز لم تكترت لها وتمددت في الردهة متظاهرةً بالنوم. جلست المرأة القرفصاء بجانب العجوز، وأخذت ترمق وجهها. كانت عجوزاً ذات شعر أبيض قصير، وقد عَضَّت على لسانها لأنها كانت بلا أسنان، قصيرة القامة، وقد بدا لو أن طولها لا يزيد عن حوالي مائة وخمسين سنتيمتراً. خمس دقائق من الاستلقاء على هذه الأرض كانت كفيلة بأن تثير كافة أنواع الألم، وخاصة مع مثل جسدها النحيل، الذي لم يبقَ منه سوى العظام، ورغم ذلك فمنظرها وهي مستلقية على الأرض بأريحية يشي ببعض فصولٍ من حياتها، فالخبر يعرف الخبر مثله من نظرة واحدة، بدا من منظرها أنها قد تجرَّعت مُرَّ المعاناة في حياتها.

"جَدِّي، استيقظي".

استمرت العجوز في التظاهر بالنوم.

'حَدَنِي، يبدو أنك شخص غير عادي... جدتي! سيؤلمك جسدك لو غبت بهذه الطريقة. ألا تشعرين بالبرد؟ جَدِّي! وما خطب ذلك المكُف؟ سيدة عجوز تحاول النوم هنا!'

أخرجت المرأة منشفتين من حقيبة ظهرها التي احتفظت بها في حرانة الساونا. كانت منشقةً بيضاء نُقِشَ عليها باللون الأزرق الجملة النالية "ذكرى قُدَّاس تطويب البابا فرانسيسكو. كاتدرائية حي إيل وول دونج. 2014-8-16". كانت منشقةً كبيرة مثل تلك التي تظهر في الأفلام الأمريكية. كان خطأً من قِبَل مدير مكتب الكاتدرائية حينما طلب تلك المناشف كبيرة الحجم، ممَّا أثار حيرة الناس من حجمها. انتهى الأمر بأن حصلت المرأة على منشفتين بدلاً من واحدة بعدما تنازَلَت الأخت جيما عن منشفتها لها لأنها لا حاجة لها بها وتخشى أن تكون جميلةً عليها.

"حدّثي، هلا افترشتِ هذه المنشفة على الأقل لتنامي عليها؟".

نفت المرأة العجوز على حالها متكؤمةً على الأرض دون أن تحرّك ساكنة. غطّت الجسد الصغير للعجوز بالمنشفة الكبيرة، ثم ذهبت نجاه الرقعة الخوية بالقرب من خزانة الملابس، ونامت، بعد أن نلحقت بالمنشفة الأخرى. هي الأخرى كانت خبيرة في النوم على الأرض. غفت المرأة في سُباتٍ عميق، ثم رأت في نومها وجه الرجل الذي رآته صباح ذلك اليوم في القُدّاس. ماذا لو كنت فقدتُ ميكائيلًا مثله؟ كيف كنت سأعيش حينها؟... بدأت الدموع تنزل من عينيها لمجرد التفكير في الأمر. تُرى، ماذا قال ذلك الرجل؟ ودّت لو كان باسئطاعتها سماع صوته الذي لم يكن مسموعًا.

فحنت عينيها إثر صوت مُجفّف الشَّعر، فوجدت على الأرض بجانبها علبة حليب كرتونية.

"تركّت لكِ علبة اللبن لتشربها. اشتريتُ لكِ واحدةً معي".

كانت المرأة العجوز، التي انتشرت خطوط التجاعيد حول فمها، تجلس فوق المقعد الخشبي وهي مبتسمة.

"شعرت بالدفء بالأمس بفضل منشفتك. هل أتيت من كاتدرائيته حي إيل وول دونج؟ تكبّدتِ غناء القدوم من ذلك المكان البعيد؟ هل حصرتِ القُدّاس الذي كان بالأمس؟ ولكن لماذا لم تسافري بعد؟ وممت هنا؟".

فرّكت المرأة إفرازات عينيها ثم توجّهت نحو المقعد الخشبي. وقد بدت المرأة العجوز أصغر من عمرها بخمس سنوات عمّا كانت عليه بالأمس وهي مغمضة عينيها، وربما كان السبب لأنها قد ارتدت طقم أسنانها.

'عربزتي، أنا أيضًا قد سبق لي أن رأيت الأب المقدّس من قبر، كان ذلك في عام 1989 في حي يوثيدو، كان أمرًا يدعو للفخر حقًا'.
أنا أيضًا كنت هناك في ذلك اليوم!'

سُعدت المرأة بسعادةٍ مَنْ التقى بشخص يعرفه. جلست المرأة بجوار العجوز على المقعد الخشبي وقد تشاركنا ذكرياتهما حول الحريف الساطع لعام 89. اقترحت العجوز أن تتناولوا طعام الإفطار سويًا احتفالًا ببقاء أختين من أحباء المسيح، فخرجتا لإحدى المطاعم المجاورة التي كانت تقدّم طبق حساء براعم قول الصويا مع الأرز. أكلت المرأة الحساء الساخن الذي أُضيف إليه حساء القريديس المالح مع الفلفل الأحمر الحار، بعد أن أضافت إليه حساء كيمتشي الفجل، فشعرت بعد تناوله بدفء يسري في باطنها، أحسّت من بعده بأنها بدأت تفيق بشكل فعليّ. أكلت كل منهما طبقها على عَجَل، لدرجة أنهما نسيتا أن تسألا بعضهما البعض عن سبب مبتهما في صالة الساونا، أو حتى تبادل أسمائهما، ولم يكن ذلك إلا حين أنها نصف طفبهما. وحينما شعرت المرأة بامتلاء معدتها إلى حدٍّ ما بدأت نسأل السيدة العجوز:

'ولكن لماذا بتّ في الساونا بالأمس يا جدتي؟'

"عربزتي، في حقيقة الأمر... ليس لي أصدقاء على الإطلاق. لم يكن لديّ الكثير من البداية على أي حال بسبب شخصيتي غير الودودة، ثم بدأ الذين أعرفهم يموتون واحدًا تلو الآخر بمرور السنين، ولم يبقَ منهم إلا القليل".

أكملت العجوز كلامها بعد أن أخذت رشفةً من حسائها بعد أن نفّثت فيها أولًا:

مكتبة

t.me/soramnqraa

"لم يبق لي من الأصدقاء مَن أعتزُّ بهم سوى واحدة فقط. النفينا بعد أن أَمَمنا عامنا الستين بعدة سنوات، وهي مختلفة عني كلياً أنا الشخصية المتدمرة حادة المزاج، وهي الشخصية اليسيرة اللسنة. ومهما حدث لها تجدونها تضحك وتتخطى الأمر، روحها جميلة بالفعل. ولا نعيب في أحد مطلقاً. التقيت بها في ساحة الألعاب عند حفيدي، بعد وقت قليل من انتقالي للحي. كلتانا تُريّ حفيدتها، وكلتاهما من نفس العمر. وتبين لاحقاً أننا كنا نرتاد الكنيسة نفسها؛ وهذا ما قرّبنا لبعضنا البعض أكثر. كلتانا فقدت زوجها وتعيش الآن مع أبنائها. كنا نلتقي كل يوم، ونحكي عن حياتنا وما يزعمنا. أتعلمين؟ كانت تنصت لحكاياتي وتشاركني البكاء. لم ألتق بأحد مثلها قط. انتقلت أسرة ابني للسكن في سيؤول، ولكني بقيت في ذلك الحي وعِشتُ بمفردي. وقد أصبحت بمثابة أخت لي. كانت تُحضر حفيدتها معها أينما ذهبت؛ لأن ابنتها وصهرها كان كلاهما يعمل ليتك تعلمين كم كانت حريصة على حفيدتها الوحيدة، وكم تفانت في رعايتها، وكم كانت الفتاة لطيفة تماماً مثل جدتها. وحينما كانت ترائي الطفلة في ساحة الكنيسة كانت تحييني ببشرٍ بالغ وتُدسُّ الكعك في راحة يدي، وتسألني إن كنت أتناول وجباتي جيداً، كانت طفلة ذات لطف بالغ..".

توقّفت العجوز عن الكلام، وبدأت في التحيب كطفل صغير وقد تناثرت بعض حبات الأرز من فمها، وبدأ الناس ينظرون نجاهنا، ممسّ جلسوا في المطعم، متعجبين في صمتٍ من تلك العجوز التي كانت تتحب للأطفال في ذلك الصباح الباكر في محل الحساء الخاص بوجباتٍ يتم تناولها صباحاً لمعالجة أثر الخمر من الليلة الماضية. أخذت العجوز تتحب هكذا لبعض الوقت، ثم جفّفت دموعها، وتمخّطت، ثم شربت بعض الماء.

"طننت بأن دموعي قد نفذت بالفعل بعدما تعدّى عمري الثمانين، ولكنني أخطأت. لم يكن كذلك. صديقتي الحبيبة، حُرّ حنونها، وهي تحاول أن تنزع قلبها، ولكن لم يكن بيدي ما أفعله لها فقَدَت حفيدنها في لحظة، وهي التي كانت في أتم صحة وعافية، كيف يمكن لأي شخص أن يتحمّل ذلك؟ وبعد أن شاهدت الأم اللحظات الأخيرة لابنتها تركت وظيفتها وبدأت تركّز في كل مكان. كان عليها أن نعرف لماذا ماتت ابنتها، أليس هذا من حقها؟ انضمت صديقتي لابنتها وذهبتا لميدان كوانج هوا مون، ثم مبنى البلدية ثم يوثيدو. أعجز عن التواصل معها. ذهبت بالأمس لميدان كوانج هوا مون مرة أخرى لأبحث عنها، ولكن وبسبب توقّف ساعات عمل الحافلات، ذهبت للمبيت في الساونا".

حينما اختتمت العجوز كلامها وَجَدَت المرأة تَبكي معها.
 "سأذهب للبحث عنها اليوم أيضاً".

5

كان هانف والدتها لا يزال مُغلّقًا. صعدت ميكائلا الحافلة المتّجهة إلى حواج هوا مون، وتذكّرت شكل المرأة التي شاهدتها مد قليل على شاشة التلفاز. كانت المرأة ترتدي سروالاً كحليّ اللون، وفميصاً زهرياً مُلوّناً، كان مثل الذي أهدته ميكائلا لأُمها في عيد ميلادها الماضي لم يكن لديها الكثير من الشَّعر في رأسها، وقد صبغته باللون البني، كل ذلك كان يؤكد على أن تلك المرأة التي ظهرت على شاشة التلفاز هي والدتها بلا شك. بدأت تتساءل عمّا كانت تفعله أمها هناك. وقفت ميكائلا عاجزة عن الكلام أمام فضول أمها الذي لا ينتهي.

برلت في محطة جوانج هوا مون وأرادت أن تعبر ممر المشاة، ولكنها لمحت بعض الأشخاص الذين علّقوا لافتات على أعناقهم كُتب عليها "سرك في حملة الإضراب عن الطعام ليوم واحد". كان هناك رجل في الأربعين من عمره ومعه فتاتان بدّوتا في أوائل العشرين من عمرهما. كان الرجل يعلّق لافتة تدعو للتحقيق في حقيقة كارثة العبارة سيه وول وهو ينباع المارّة. بينما كانت الفتاتان توزعان المنشورات عليهم، ولكن ميكائلا لم تلتفت لهم وعبرت ممر المشاة.

تواجد الكثير من الناس في الساحة للمشاركة في حملة جمع التوقيعات. شاركت ميكائلا بتوقيعها قبل عدّة أشهر عندما كانت في طريقها إلى مركز كيو- بو للكتب، ورغم مرور أربعة أشهر على الحادث إلا أنه لم يتم الكشف عن حقيقة ما حدث في ذلك اليوم كانت أسر الصحايا تطالب بسنّ قانون خاص يضمن الحق في التحقيق وتوجيه الاتهامات والمحاكمة. وكانت ميكائلا تتابع التلفاز حينما أعلن بواب معارضون عن اتفاق مع الحزب الحاكم يستلني متطلّبات العائلات الشكلى، فأطفأت التلفاز حينها.

كان الوضع كالآتي: يشارك الناس في حملة التوقيعات، ثم ينزلون السوارع لتحريك المظاهرات؛ ولكن تلك الأصوات بدأت تتلاشى، وأصبح قلّة من الناس فقط هم مَن يقومون بالحملة ويشاركون في المظاهرات، وكأنّ العالم قد نسي سريعًا ما حدث، كأن شيئًا لم يكن. وفي وقت الغداء أخذ أحدهم يتحدث عن ضرورة وضع ذلك القانون الخاص بشكل جدّي، قبل أن يغلق فمه بعد أن لامه أحدهم قائلًا: "أم تمّلؤا؟!". سمعت ميكائلا ذلك الكلام وعصّت على شفيتها غيظًا كان عمرها واحدًا و ثلاثين عامًا، ورغم أن أقرانها اتحدوا سويًا إلا أنهم فشلوا في تغيير الوضع ولو بقدر أمّلة. بدا العالم عديم الإحساس، فحتى لو ألقت بجسدها كله فلن يتحرك أحدًا خطوة

واحدة. علّمتها فترة العشرينات من عمرها أن الوعي بالمشكلة لا يعني بالضرورة القدرة على حلّها.

ذكر والدها من قبل أن عدم اكتراث معظم الناس الصالحين بما يحدث في العالم هو ما سوف يدمّره. كانت تدرك أن كلامه صحيحًا، ولكنها لم ترغب في الدخول في معركة مع مثل ذلك العلم لم تكن تريد أن تصعد تلك الحلبة التي كان من الواضح من سيكون الرابع فيها ومن المهزوم. كان العالم بالنسبة لها هو ذلك المكان الذي يجب علينا أن ندخله ونخضع له، شئنا أم أبينا، ذلك المكان الذي عليها أن تهمّش وتعدّل من نفسها وتحاول أن تتأقلم فيه لتعيش. كنت تريد أن تنتمي إلى ذلك العالم بدلًا من أن تصطدم فيه مع الآخرين وتدخل في معارك. كانت تريد أن يرحب بها العالم ويفتح لها ذراعيه لتنضمّ إليه.

كبت عادة ما تُسرّع بخطواتها قدر الإمكان حينما تمرّ بجوانج هوا مون، ولكنها لم تستطع في ذلك اليوم. أخذت تسير سطاء في الميدان بينما تنظر حولها بحثًا عن تلك الخيمة التي شاهدها في التلفاز. كان من بين الذين نفّذوا حملة جمع التوقيعات وتوزيع المنشورات أشخاص من الشباب أكثر ممّا توقّعت. لم تجد بُدًا من أخذ المنشور، ولكنها قالت إنها سبق وقد وقّعت من قبر بالمعل وفجأة أخذت تتساءل إلى متى سيظل ذلك الصراع مستمرًا، وخاصة بعد أن أصبح الرأي العام أكثر برودًا يومًا بعد يوم. وفي حال تمادى الصراع أكثر وهو على ذلك الوضع، فسيتحول الجانب الفاسد في القضية للضحية، بينما سيتم اتهام الجانب الآخر بعدم امتثالهم للدولة، علاوة على توجيه اتهامات لهم بالإساءة اللفظية في حملاتهم. أليس هذا ما قالته رئيسة الجمهورية من قبل؟ أن علينا أن ننسى

المصي ونتحه نحو المستقبل. كانت أشعة الشمس حامية، بحيث لم تستطع أن تفتح عينيها.

كانت امرأة التي ترتدي السروال الكحلي والقميص الزهري يقف أمام الخيمة. نادتها وهي تضع يدها على كتفها.
"أمي!"

التفتت السيدة وراءها للتحقق ممَّن يناديها، ولكنها لم تكن أمها. فسألها ميكائيل "مَن أنت؟".

أجابته قائلة: "ابنتي أيضًا كانت على متن العبارة في ذلك اليوم يا أنسة". كان وجه المرأة مختلفًا عن أمها فحسب، ولكنها كانت تشبهها في كل شيء آخر من جميع الجوانب. كان ذلك السروال الكحلي والقميص الزهري من نفس الماركة والتصميم. حتى حذاؤها البيج الذي ارتدته، وحتى حقيبة كرة السلة التي وضعتها بجانبها، كانت تشبهها في كل شيء وكأنها أمها. حتى الخاتم الذي ارتدته في إبهامها في يدها اليمنى، وسوارها الذي وضعته حول معصم يدها اليسرى؛ كان مطابقًا للذي نضعه أمها، وحتى الشامات التي نُقِشت على عنق أمها على شكل مجموعة نجوم كوكبة الدب الأكبر، وحتى الندبة التي تعلو جبهتها، وبغمة صونها الناعمة اللطيفة كانت نفس صوت أمها.

"لا تنسوا ابنتي، إياكم أن تنسوها".

قالت المرأة ذلك الكلام ثم اتجهت نحو الساحة وانتقلت تجاه أناس آخرين ممَّن مرُّوا بالمكان.

تسمَّرت ميكائيل في مكانها كمن تعرَّض للصعق. كانت هناك مجموعة من السائحين يتبعون مرشدهم السياحي إلى تمثال القائد لي سور شين. كانت تسمع أصوات ضحكاتهم العالية، ثم بدأت تبحث عن تلك المرأة التي ذابت وسط الجمع الغفير.

"ابنتي أيضًا كانت على متن العبّارة في ذلك اليوم". كان ذلك الصوت هو صوت أمها بالتأكيد. صوتٌ أحدثَ قطعًا عميقًا في قلبها.

6

صعدت المرأة مع السيدة العجوز لتستقل الحافلة، ملتحجه إلى حوانج هوا مون. كان منظر سيؤول من خارج النافذة جميلًا للغاية. مظهر الأزواج الشباب وأبنائهم وقد خرجوا للنزهة يوم الأحد، والسباتات اللاتي أظهرن أرجلهن البيضاء الناعمة، بدت هيتهم جميلة ومُنْعِشة. الكثير من أصحاب الوجوه الجميلة والوسيمة، كأنهم خرجوا للتو من شاشة التلفاز، انتشروا في كل مكان. حينها تذكرت ابنتها ميكائيل، التي كانت بالنسبة لها أجملَ من أي أحد تعرفه. كانت تحاول بأي طريقة أن ترى ميكائيل ولو مرة واحدة قبل أن تعود لقريتها، ولكن ساورها شعور بأنها لن تتمكن من لقائها هذه المرة.

كانت المرأة أحيانًا تبكي خلسةً دون أن يشعر بها أحد بعد حادثة العبّارة سيه وول. تبكي وهي تتحدث مع الزبائن في محلها، أو وهي تشتري احتياجاتها من السوق. كانت تبكي في صمت كلما ندّجرت ابنتها الني تعيش في سيؤول، وقلبها يتألم وكأنه كُوي بالنار. كانت تفكر في الوقت الذي كان من الممكن أن يعيشه أولئك الأولاد. رغم أن إبقاء أرواحهم كان بالأمر الممكن، مع توفر الوقت الكافي لعملية الإنقاذ، وكان من الممكن أن ينجو الجميع، إلا أن أرواحهم أزهقت أمام أعين الجميع كالكذبة.

شعرت بندم عميق. شعور الأسف والشفقة حيالهم كانت يعدّ بها؛ لأنها لم ترغب في التخلّص من شعورها العميق المنكوب بتأنيب الضمير بمجرد الشفقة على حالهم. حلّ عيد الفصح بعد فترة وجيزة من وفوع الحادثة، ورغم أنها العطلة المفضّلة لديها في السنة ولكنها لم نستطع أن نستمتع بأسبوع عيد الفصح مثل سابق عهدها. رسالة

العبد السعيدة عن بعث المسيح من جديد لم تلامس قلبها مثل كل مرة، وقد بدت لها وكأنها رسالة صعبة المنال يصعب لتأثر بها. وحتى كلمات التهاني مثل "ابتهجي يا أختاه، إنه عيد الفصح" كانت مُثّر لها شعورًا غنيًا يريد أن يصدّها عن شعورها بالحزن والأسف والتوقف عن الجِدَاد على تلك الأرواح؛ لذلك ولأول مرة لم يحضر قُدّاس عيد الفصح ذلك العام.

وكلعادة مرّ الوقت، وبدأ ألم القلب يخفت تدريجيًا، وتوقّف الزبائن عن ذكر ذلك الموضوع بعد أن كانوا سيكون ويثورون لمجرد ذكره، والأدهى أنهم أصبحوا يشكون من أولئك الذين لم يتمكنوا من نسيان ذلك الحادث بالسرعة الكافية. كانت مشاعر الألم تتحد في كل مرة تسمع فيها حديثهم، فتغلق فمها ولا تتكلم، وتكتفي بلفّ وقصّ خلاصات شعورهن، وتقدّم لهنّ القهوة. حاولت جاهدة ألا تكره أو تحتقر أي أحد.

حسنت نَظَر إلى العجوز التي كانت تنعس بجوارها. بيمة تتساءل كم مرة ففدت تلك العجوز أحبائها؟ كان لديها تقدير واحترام من نوع خاص للمُسِنَّين الذين تقابلهم. فأن تعيش لعمر طويل، يعنى أن سودّع من تحبهم أولًا ثم تبقى وحيدًا لزمن طويل؛ أن نعاي من ذلك لساء تم تنهص من جديد وتأكّل وتتابع طريقك بمفردك.

جزء منها قد مات بالفعل بوفاة والديها وزوجها، وذلك الجزء الذي مات واختفى من قلبها، قد رحل مع مَنْ رحلوا. وبعدها عجرت لفترة طويلة عن التنفس بشكل سليم، أو النوم، أو تناول الطعام. بعد أن بقيت مستيقظة تبكي الراحلين لمدة لبالٍ طوال أولئك الذين رحلوا عنها ولم يُبقوا لها سوى ذلك العالم لتعيش فيه وحيدة بدونهم. كانوا الأقرب لقلبيها، وقد أرادت أن تظهر لهم عالمًا أفضل لأولئك الذين لا يزالون يعيشون بداخلها، وتظهر لهم ذاتها

التي أصبحت أفضل من ذي قبل. أرادت لقلبها، الذي طهره الحزن، أن يكون مرآة تعكس لهم كل ما هو جميل.

أيفضت المرأة السيدة العجوز التي كانت مستندةً إلى كتفها وهي نائمة، ثم نزلتا من الحافلة. كانت مجموعة من السيح الصسين بسيرون في ميدان جوانج هوا مون، وعُلقت شرائط صفراء على أغصان الأشجار وقد أخذت تتطاير مع الرياح، كما كان هناك عدد من الشباب يقومون بحملة تجميع التوقعات. كان الجو حارًا، فأخرجت المرأة زجاجة مياه من حقيبة كرة السلة التي بحوزتها وناولتها للسيدة العجوز لتشرب، ثم شربت بعدها. كانت السيدة العجوز ذات ظهر منحنٍ تمشي خمس خطوات ثم تتوقّف لتستريح لبعض الوقت، ثم تكمل خمس خطوات أخرى، ثم تتوقف لتستريح بعدها، فدأت المرأة تشعر بالقلق عليها.

"أنا آسفه يا ابنتي، أنا أمشي جيّدًا في العادة، ولكن هذا حالي اليوم."

"امشي ببطء على راحتك، لسنا في سباق."

"أنت لزيارة سيؤول، ولكنك تعانين الآن بسببي يا ابنتي."

كان هناك فتاتان تقفان أمام ممر المشاة وقد علّقتا لافتة كُتب عليها "حملة توقيع لتشريع قانون سيه وول الخاص". كانت إحداهما نحمل المنشورات، بينما حملت الأخرى ملفًا يضم أوراق التوقيع وقلمًا، وقد أحمرّ وجهاهما من حرارة الشمس. ساعدت الفتاتان السيدة العجوز في عبور ممر المشاة.

قالت لهما السيدة العجوز بعد أن عبروا جميعًا: "شكرًا لكما".

"اقرأ هذا المنشور فضلًا، هل سبق لكما التوقيع؟"

أومأت السيدة العجوز بالإيجاب، بينما وقعت المرأة على الورقة التي ناولتها الشابة إياها.

قالت المرأة: "نحن نبحث عن شخصٍ ما. اسمها الجدّة كيم إب بون، هي صديقة هذه السيدة"، ثم نظرت للسيدة العجوز وسألتها "ما اسم ابنتها؟".

أجابه السيدة العجوز قائلةً: "اسمها لي ميونج سون، لي ميونج سون ماريا".

قالت المرأة: "اسمها لي ميونج سون، هي مَن تبقى لها من عائلتها".
"لن أمكّن من معرفتها من مجرد اسمها. هل كانت الضحية من الطلاب؟".
"نعم".

"إذاً هلاً أخبرتني باسم الطالبة. عادة ما نلجأ لتحديد اسم الطالب أولاً ثم ننادي على والديه باسمه، كأن نقول يا أم كذا... يا أبا كذا...".
أغلقت السيدة العجوز عينيها في هدوء ثم فتحت فمها.

"لا أذكر اسم الطفلة جيّداً؛ فقد كنتُ أناديها باسم ميكائلا منذ صغرها لم يسبق لي أن ناديتها باسمها الحقيقي منذ أن كانت طفلةً صغيرة. وحتى جدّتها كانت تناديها بنفس الاسم. حتى عندما يجلس وحدها في هدوء وتُحدّث نفسها، كانت تنادي وتقول ميكائلا".

راقبت المرأة شفّتي السيدة العجوز وهي تنطق اسم ميكائلا كان اسم ميكائلا اسمًا معموديًا شائعًا للفتيات.

حملت المرأة بابنتها الحالية بعد ثلاث محاولات سابقة انتهت جميعها بالإجهاض.

"سأصلي للملاك ميكائيل من أجلك".

هكذا قالت لها إحدى زبائن محلها لتصفيف الشَّعر التي لا تتذكر حتى شكلها. وقالت لها إن الملاك ميكائيل حارب كل الظلام في العالم.

وحتماً سبّحني تلك الروح الصغيرة المتجذّرة بداخلها. وجاءت الطفلة سالمة إلى الحباة بعد ثمانية أشهر، وأطلقت عليها اسم ميكائيل. كانت تفكر في اسم سو جين أيضاً، ولكن، ولسبب ما، كانت تفضّل أن نناديها باسم ميكائيل؛ فقد كانت تؤمن بأن هذا الاسم سوف يحمي طفلتها.

وبعد ولادة ابنتها دخل النور لقلب أمها المظلم، حتى أثلج راويا قلبها، فهدأت ثم غشيها الدفء حينما خطّت ابنتها بقدميها وتلك الأسوار التي بذلت فيها جهداً لبنائها، انهارت جميعها بلمسة من يد طفلتها. كان صوت ضحكها كغيث يجري في مجاري نهريّة جافة.

كان قلبها دافئاً فحسب ورغم أنها منحت ابنتها كل ما كان ولم يكن بقلبها، فهي لم تخش يوماً؛ إذ ربما لا تجد مقابلاً لتلك المحبّة. وكانت الطفلة تحمي أمها بأنفاسها، وبإشراقتها. كانت تحميها من وساوس ظلام العالم. كانت تعتقد أن كل الأطفال ملائكة نحفظ أرواح آبائهم وأمهاتهم. ولا يحقّ لأي أحد أن يسرق أولئك الملائكة من أحضان ذويهم. أيّاً من كان.

قامت المرأة بمساعدة السيدة العجوز لعبور ميدان حوايح هوا مون، ثم تابعت السير بحثاً عن والدّة ميكائيل وجدتها. تمّنوا ألا يكون طريق البحث عنهما طويلاً أو صعباً، وأن لا يستأسد عليهما العلم، الذي هدأ بعد أن داس بوحشية على قلوبهم الجريحة، مُسبباً لهم المزيد من الأذى.

"أمي!" نادى ميكائيل على المرأة، ثم مسحت المرأة دموعها المنهمرة، ونادت على ابنتها بقلبها.
ميكائيل...

الشر

I

أخذت مالجا تقرأ اسم لافتات المتاجر بصوت عالٍ في رأسها. محل بطارات ألمان واثنان، مطعم الأخطبوط المشوي الشهير، مطعم أو داري، عبادة لي ئن مي للطب الصيني، مؤسسة ديه سونج التفافية.. رغم أنها كانت تمرُّ من هذا الشارع على الأقل مرة كل سنة أشهر إلا أنه كان يبدو مختلفًا في كل مرة. كان ذلك العام الثامن لترددها على ذلك الشارع بسيارة ابنتها. كانت تضحك في أيام، وتسكي في أيام أخرى، وفي أيام أخرى تختنق الكلمات في جوفها. وفي كل تلك الأوقات كانت مالجا تقرأ أسماء لافتات المتاجر في الشارع التي تراها من نافذة السيارة.

بناءً على كلام طبييها فكان من المفترض أن تواجه مصير الموت قبل سبع سنوات مضت. كان الطبيب قد أخبرها أن لديها ستة أشهر على

أفر تقدير، وحوالي سنة أو سنة نصف على أقصى تقدير. كانت ردة فعلها تتأرجح بين العويل وهي غير مستوعبة للمصير الذي سيؤول إليه، وبين الشعور بالحسد تجاه جميع الأصحاء. ولحسن الحظ نجحت عملياتها وبرنامج العلاج الكيميائي. التزمت بكل توصيات الطبيب كانت تنهض في السادسة صباحًا وتتناول طبق الأرز البُنِّي مع الحصوص، ثم ممتي لمدة ساعتين. إضافة لشرب منقوع فطر الشيتاكيه¹ وتناول البطاطا الحلوة المطهّوة على البخار بقشرتها يوميًا. كانت تُرغم نفسها على الأكل حتى ولو كان ذلك سيدفعها للتقيؤ وهي تُقنع نفسها بأنها قد تموت جوعًا. كانت شديدة الحرص على نظامها الذي اشتمل على الاستيقاظ، ثم تناول الطعام، وممارسة الرياضة.

وبعد مرور خمس سنوات، كانت قد شُفيت تمامًا من السرطان، وكان أكثر الناس سعادة بهذا الخبر حفيدتها جي مين، التي دفست رأسها في ثُورة جدتها وأخذت تبكي كما كانت تفعل وهي رصبة. جي مين لم تذرف ولو دمعَة واحدة أثناء خضوع جدّتها لحلّسات العلاج الكيميائي، وحين بكّت مي جين أدركت مالجا كم الألم الذي كانت بكتمه حفيدتها، وبعد مرور ستة أشهر بدأت الخلايا السرطانية تنتشر لجرء آخر من جسدها، وبدأ الوضع يزداد سوءًا من بعدها. ومرة أخرى، سمعت من الطبيب في نفس اليوم نتائج تُنذِر بالشؤم حول وضعها الصحي .

كانت فليقة على ابتنها يونج سوك، التي بدت شاحبة وهي تقود السيارة. أرادت أن تسألها: "هل أنت مريضة؟"، ولكنها أنفت. لسؤال لنفسها: علمًا منها أن ابتنها ستجيبها قائلة: "هل تسأليني حقًا هذا السؤال الآن؟". أخذت يونج سوك تمسح الدموع التي ابهمرت على خديها بظهر كفّها وهي تقود سيارتها. كانت مالجا تعرف أن أفضل

(1) نوع من أنواع الفطر القابلة للأكل

شيء في هذه المواقف هو ألا نقول أي شيء. كانت تتذكر المعاناة التي نكثنها ابتتها معها طوال تلك السنوات الثماني الماضية، وكانت نشعر بالعجز بسبب عدم قدرتها على تعويض ابتتها عن كل تلك السنوات. كانت مالجا تفقد الكلام أمام ابتتها يونج سو ك التي عانت معها بشئ أنواع المعاناة منذ وُلدت كابنتها.

بدا أن يونج سو ك قد تحوَّلت لشخص آخر كلياً على مدار العام والنصف الماضية، حيث خسرت الكثير من وزنها بشكل ملحوظ، كما أن كلامها كان مُشوَّشاً خلال مكالماتها الهاتفية. بدأت تتصل بشكل مستمر لتشتكي من زوجها، وزملاء العمل والعملاء، وهي التي كانت من قبل لا تتصل إلا مرة واحدة على الأكثر. كانت مالجا فُلَّقه بشأن ابتتها يونج سو ك، التي بدت غريبة وهي تقذف بأبشع السباب والعبارات السامة. وفي بعض الأحيان، كانت يونج سو ك تتصل بأمها ليلاً وهي في حالة سُكر ومنهارة في البكاء، تصيح: "أمي! أمي!", فتصيح مالجا باسمها قائلة "يونج سو ك! يونج سو ك!" فحسب، وهي لا بدري ما عساها تقول غير ذلك. كانت مالجا تتخيَّل وضع ابتتها بعد تلك المكالمات، فتشعر بتقلُّص في بطنها مع تعرُّق جبهتها. وحينما نسألها في اليوم التالي "لماذا كان كل هذا البكاء؟" فتجيبها يونج سو ك بعُذْرٍ مشكوك فيه قائلة: "أمي، لا أذكر أي شيء، يبدو أنني أعاني من أعراض انقطاع الطمث".

وحينما تفكر في الأمر تتذكَّر أنه قد مرَّ عامٌ ونصف منذ سفر جي مين للصين.

كانت مالجا تسكن على بُعد ساعتين ونصف، بالحافلات التي تنتقل عبر المقاطعات، من منزل ابتتها. كانت في بداية الأمر تسكن مع عائلة ابتتها، ولكنها انتقلت لبيتها حينما حصل صهرها والد جي مين على وظيفة بـسيوول. وكانت جي مين حينها بالصف الثالث من

المرحلة المتوسطة ولم تُعَد بحاجة لرعاية من جدتها كانت مألجا ترعى حفيدتها بناءً على طلب من ابنتها وصهرها اللذين عملا خارج المنزل. الافتراق عن جي مين، التي كانت ملتصقة بها منذ أن كانت رصيدة، كان أمراً صعباً بالنسبة لها كقطع جزء من لحمها، ولكنها لم نشأ في أن نكون عبئاً على أسرة ابنتها التي قرّرت نقل بص حم أغراضها بغرض الانتقال لشقة أصغر حجماً في سيؤول.

وفي صباح اليوم الذي كانت ستنتقل فيه جي مين لسيؤول أحصرت كرسياً وورقة جرائد وجلست في مواجهة جدتها، حيث بدأت الحدة تقلّم أظافرها. كانت تقلّم أظافر جي مين هذه المرة بعناية بالغة أكثر من أي مرة سابقة.

"أصابعك رشيقة ونحيلة؛ ممّا يعني أنك ستعيشين حياة طيبة، ولن تتكبّدي العناية مثل جدّتك".

"تخبريني بهذا كل يوم".

'استصبحين مُعلّمة يا جي مين، وستُعلّمين الطلاب'.

أرادت أن تستكمل كلامها، ولكن دموعها التي بدأت تترل ألحمتها، فأحسّت بأن الكلام قد علق في حلقها. كان من الصعب عليها رؤية أصابع جي مين الجميلة بسبب دموعها التي جعلت رؤيتها ضبابية. بدأت جي مين لبكي هي الأخرى تأثراً بجدّتها. صحيح أنها ذكرى مُحزنة، ولكنها تشعر بالسعادة حين تسترجعها. ثم بدأت مألجا تفتقد جي مين يومياً بداية من ذلك اليوم. كانت تنطق اسمها وهي نائمة، كانت تبحث عنها بين أقرانها الذين كانوا يغدون ويروحون في زيهام المدرسي. ولم يغمض لها جفن في الليلة التي تسبق موعداً مع جي مين.

كانت تُفرط في تدليل جي مين؛ تُعَدُّ لها طعام الأطفال الرُّضع نفسها من اللحم المفروم، وتشتري لها أجمل الأقمشة لتحيك فساتين لا يملكها غيرها. صُبّت عليها الحب صبّاً خشيّة أن نشعر الطفلة

بالوحدة كونها وحيدة والديها اللذين يعملان كلاهما خارج المنزل. بالأحرى، وهبها ما لم تَهَبْه لابنتها يونج سوك.

تُوفي والد يونج سوك وهي ابنة الخامسة. تركت مالجا ابنتها الجميلة التي كانت تصرخ عليها "أمي! أمي!" في منزل أخت زوجها للعمل في أحد المطاعم. كان أشد ما يؤلمها أن ترى صغيرتها وقد بدأت تنضج قبل أوانها، لتمارس دور البالغين على الدوام. ولهذا السبب أرادت مالجا أن تربي جي مين على أن تصبح طفلة طائشة مُدُلَّة. أرادتها طفلة صعبة الإرضاء لا تجيد حتى تقليم أظافرها.

بدأت جي مين سنواتها الدراسية الأولى حيث تعلَّمت أن تكتب اسمها بالأبجدية الكورية (الهانجول)، والمقاطع الصينية، وكذلك الأرقام؛ واحد واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة. كانت مالجا تشحذ أقلام حفيدتها بدقة، وكنت الصغيرة قد بدأت تتدرب على كتابة الحروف في دفتر محصَّص للتدريب على الكتابة. وبمجرد أن أتقنت كتابة الهانجول، حتى بدأت تقرأ كل ما تقع عليه عينها. عمارات سام هو! حضنة نشونج نَح! شارع اتجاه واحد! مطلوب عمال! كانت سعادتها فائقة وهي نسمع حفيدتها تغرد وهي مستمتعة بالقراءة.

يوم حصلت جي مين على المعدلات النهائية في امتحان الإملاء لأول مرة، أمسكت مالجا بورقة اختبارها في إحدى يديها. وفي الأخرى أمسكت بيد جي مين، وبدأت عاصفة من التباهي بها في كل أرجاء السوق.

"انظروا لهذا، هذه حفيدي، انظروا لورقة اختبارها".

"مبارك عليك هذه الحفيدة النجيبة".

"هي كذلك، لديها نباهة فطرية. ولا أقول ذلك لأنها حفيدي".

تباهت مالجا بورقة حفيدتها أمام كل مَنْ في السوق. مرَّت على جميع المتاجر بالترتيب؛ متجر الخضروات والفاكهة، ومتجر الأسماك،

ثم متحر الأسماك المجففة، ولم تستثن متجر الأحذية من الأمر؛ توقفت عنده لتشتري لحي مین زوْجًا من الأحذية الرياضية، ولكن نباهيها بمعدلات حفيدتها انتهى بمشاجرة كانت في غنى عنها مع صاحبة المتجر.

"ما كل هذه الضجة حول الأمر يا سيدة تشو؟ الاخبّر لم يكن اختبارًا رسميًا حتى! لا تلومي إلا نفسك لو سبّك الناس على كل هذا التباهي لمجرد أنها حصلت على المعدلات النهائية في اختبار إملاء بسيط".

"لو لم يكن اختبارًا حقيقيًا، فماذا هو إذن؟".

"حسنًا، حسنًا. ربما كان الأمر كذلك بالنسبة لك لأنك السيدة تشو".

"ماذا تقصدين يا سيدة كيم؟ ماذا تقصدين بكلمة 'لأنني السيدة تشو'؟".

"لأنك تجهلين القراءة والكتابة؛ لذا تحسبن أن الأمر عظيم. ولكن ما المدهش حول الإملاء؟".

"هل قلت كل ما عندك يا سيدة كيم؟".

بعد جولة حامية من الرشقات الكلامية أمسكت مالجا بيد حي مین وسحبته خارج المتجر، ثم انطلقت خارج السوق السيدة النني وفنت في محل الأحذية كان لديها القدرة على قلب بواطن الرائن رأسًا على عقب في غير اكرات من جانبها وكأنها لم نقترف أي خطأ. كانت كثيرًا ما تستخرج صورتها وهي ترتدي قميصًا أبيض وتثورة سوداء، وتقول في فخر بأنها تخرّجت من المدرسة الثانوية يومًا ما في الماضي. تظاهرت مالجا بالهدوء، ولكن في قرارة نفسها كانت تشعر بغيرة مريرة لأنها لم تخط عتبة المدرسة قط. كانت تشعر بالعلة حين تبدأ نساء الحي في التحدث عن ذكرياتهن من فترة الدراسة، وكأنه يتم إقصاؤها بشكل متعمد، بل والأكثر من ذلك تصدير إحساس غير

مرعوب فيه بالدونية. سبق لها أن سمعت عن وجود مدراس إلزامية للكبار لتعليمهم الهانجول ولكنها متاحة في المُدن الكبيرة فقط، أما بالنسبة لواحدة مثلها تقطن في قرية صغيرة كانت تلك المدراس كمن يمدّم لوحة مرسومة لكعك الأرز لمن يتضور جوعاً.

في تلك الليلة، عرضت جي مين على جدتها الصفحة الأخيرة من دفترها. "انظري لهذه يا جديّ".

"ما هذه؟"

"لو تمكّنت من قراءة هذه الصفحة لأصبح بإمكانك القراءة مثلي".
"حقاً؟"

حدّثت مالجاً في الورقة التي أمسكتها جي مين. بدت لها كمجموعة من الصور المبعثرة المربكة.

"تدرّبي معي لمدة عشر ليالٍ فقط يا جديّ".

أسارت جي مين بإصبعها الصغير تجاه أحد الحروف وقالت لها.

"هـ، حرف الـ 'ㄏ'، كرّري من خلفي يا جديّ. آه".

كانت مالجاً تتبع جي مين في النطق، فتردّد خلفها فائلاً 'إي'، ثم تُردّد فائلاً 'أوه' حينما تقول جي مين 'أوه'. كانت تعتبر الأمر غريباً حتى وهي تسترجعه الآن. فتاة في الثامنة من عمرها تجلس مع جدتها لتُعلّمها 'كا، نا، دا، را'. كانت مالجاً تفهم على الفور من حي مين بفضل شرحها الممتاز. لم تكن تُخرج جدتها حين تُخطئ أو تتعجّلها بالفهم حينما تعجز عن الفهم على الفور. كانت جي مين تدوّن النقاط التي تعرّبت فيها جدتها ثم تسألها عنها في مرة لاحقة، ولم تنسَ أن تمدحها حين تُصيب في إجابتها. ومأمّاً كما وعدتها جي مين، كان باستطاعة مالجاً أن تقرأ الحروف الأبجدية التي كتبت على غلاف الدفتر الخلفي في ظرف عشر ليالٍ فقط، ثم تمكّنت، مع مرور

بعض الوقت، من قراءة الجرائد والإعلانات، وإن لم يحل الأمر مر
العشر. الهاتف اللاسلكي الحقيقي يجب أن يكون قابلاً للطّي! ماكسور
للإلكترونيات! متجر ثيرقي هاوس، مفتوح أربعاً وعشرين ساعة! إعلان
للبحث عن شركاء للحصول على توكيلات حق الامتياز!

كان العالم كله مليئاً بالأحرف. الصور التي لم تكن ذات معنى في
يوم من الأيام أصبحت الآن كلمات تتحدّث إليها. كانت تقرأ الرسائل
الإخبارية الخاصة بالمدرسة وتتأكّد من مواعيد الرحلات المدرسية، وهي
تشعر بكل الفخر والسعادة حيال نفسها وهي تفعل ذلك. كتبت
اسمها "تشو مالجا" في دفتر مُثبّت بسلك معدني من أحد أطرافه، ثم
بدأت تحلّ واجبها مع جي مين. كانت عاجزة عن شكرها.

لا زالت تذكر كم تُمثّت لو كان باستطاعتها الذهاب للمدرسة
وهي بعمر حفيدتها. ولا زالت تذكر يوم ألحّت على أخيها ليصحبها
معه إلى الفصل، وبالفعل نجح في تسريبها داخل فصله، وحين رأتها
معلّمه سحبت لها كرسيّاً. "ما اسمك؟" كان صوتها المستفهم حائياً
ونظرتها طيبة. "تشو مالجا"، أجابتها وقد أخفضت رأسها في خجل
ناولتها المعلمة قلمًا وورقة جرائد وطلبت منها أن ترسم. كانت رائحة
المعلمة جميلة، أجمل من أي رائحة قد شمّتها من قبل. ربما كانت
إحدى حُيَّات السماء كما في القصص. وحتى الآن لا زالت مالجا،
التي بلغت السبعين من عمرها، تذكر تلك المعلمة، ببشرتها الصافية،
وملابسها الجميلة، وهي تلعب على آلة الأرغن الحمراء. ولا زالت
تذكر إحساسها في تلك اللحظة، بأن جسدها أصبح خفيفاً وكأنها
تمتطي سحابة، ولا زالت تذكر الجرو وشجرة الجوز، والبيت، والصور
تلك الأشياء رسمتها على ورقة الجرائد.

أمّ مالجا صفعتها لحظة دخولها للمنزل؛ لأنها نسيت أنها فتاة
وتجرأت على الذهاب لإلقاء نظرة على المدرسة. كانت شمس شهر

مابو قائطة. جلست مالجا القرفصاء في أحد حقول الملقوف الشاسعة سحب، ثم سحبت دموعها، ولم تقرب أي مدرسة بعد ذلك اليوم أبداً، ولو تصادف أنَّ عليها المرور بجانب مدرسة ما، كانت تتخذ الطريق الأطول تفادياً لذلك، ولكنها لم تستطع أن تخبر جي مين بتلك الذكرى، لم تستطع أن تخبرها أنها كانت مُعلِّمتها الأولى، وأنها كانت أول من مدحها بلطفٍ.

2

فرشت ابنتها بطانية فوق أرضية غرفة المعيشة وغفت في سُباتٍ عميق بمجرد أن لمست رأسها البطانية. حدّقت مالجا في هدوء في وجه ابنتها يونج سوك النائمة. غزت الكثير من الشعيرات البيضاء غير المصبوغة وسط شعرها، ولاحظت وجود بقعة مُقلقة تشي ببداية الصُّلع قد نمت في منتصف رأسها. كانت قبل زواجها كثيفة الشَّعر بحيث لا نحتاج لأكثر من لفتين لربط شعرها برباط الشَّعر المطاطي. بدأت بونج سوك تعاني من آلام تعترى كل جزء من جسدها بعدما أُنمت عامها الثلاثين؛ نظراً لأنها مرّت بالكثير من الصعاب في مرحلة الشباب، كما أنها اضطررت للعودة لدوام عملها على الفور دون الحصول على الراحة الكافية التي تلزمها بعد الولادة.

صهرها بارك كان الابن الأكبر لأسرة مكوّنة من ثلاثة أبناء من الذكور. أثارَت أمُّه زوبعةً عظيمة حينما عجزت يونج سوك على تكرار تجربة الحمل بعد إنجاب جي مين. كانت تزعج يونج سوك المسكية بمكالماتها المتكررة، وتتصيّد لها كمن يتصيّد لفأراً. لم تعتقد مالجا أنه كان من الملائم أن تبدأ في شجار مع حماة ابنتها كونها تسكن في بيت صهرها. ولو كان الوضع مختلفاً لأظهرت مالجا شخصيتها النارية، ولسدّدت لتلك المرأة لكمة في أنفها لتحوّله لأنف مسطح، إلا أن هذا الجبار لم يكن ممكناً. وفي أحيان أخرى حينما كانت تدفعها حماة

ابنها للجنون والغليان الداخلي بملاحظاتها المستفزة الساحرة، كان عليها أن تَمْنَحَ غضبها وهي تجيئها بإجابة وحيدة؛ هي: نعم، نعم، سيدة بارك.

خضعت يونج سوك لعملية إزالة الرحم بعمر الثانية والثلاثين.
"قطعتِ نَسْلَ أَسْرَتنا".

كانت يونج سوك راقدة في المشفى بعد عملياتها الدقيفة، حينما هاجمتها حماتها بتلك الكلمات، دون أدنى اعتبار لما هو مقبول وغير مقبول من الكلام.

"كِئَات باقي الأُسَرِ ينجبن ولدين وثلاثة بلا أدنى مشكلة، ولسوء حظنا بُلينا بانضمامك لأسرتنا".

لو كانت الأمور تسير كما ترغب لدخَلت معها في عراقٍ لَتوسَّعها ضرباً مُبرحاً، ولتَمُتْ في هذا العراق، ولكن مالجا لم تَقُلْ أي شيء. كانت تعرف أنها كَأَمِ الكِئَةِ فعليها تحمُل حماة ابنتها، وكل ذلك من أجل يوج سوك، ومن أجل استقرار زواجها. مشت مالجا تجاه حماة يونج سوك لتهديتها فوجدت جي مين بجانبها وقد جلس لقرصاء.
"منذ متى وأنتِ هنا؟".

لم تنظر جي مين لجدها.

"صغيرتي، منذ متى وأنتِ هنا؟".

كانت جي مين تبكي وقد أحنّت رأسها. استشاطت مالجا غضباً من المرأة التي قالت مثل ذلك الكلام، الذي لا يختلف عن الفمامة في شيء، في حضور الطفلة، وأحسّت أن رأسها يوشك على الانفجار غيظاً. لم تقف مالجا قبل هذه اللحظة في صفٍّ ابنتها في أي مرّة في مواجهة حماتها، وكانت توصيها بالإحسان إليها على الدوام، كانت تظن أن هذه حكمة مطلوبة من أم زوجة الابن، ولكن هر كار من

الحكمة لنرام الصمت بينما تتلقّى ابنتها وابلًا من الإهانات؟ ألم يكر عجزها عن حمايتها السبب في أن تُجرَح حفيدتها الغالية هي الأخرى؟ "سيدة برك، عليك أن تتوقّفي على الفور. ألا تريّن أن الطفلة قد سمعت كلامك وها هي تبكي؟".

رغم أنها حاولت الحفاظ على اللياقة في حديثها، إلّا أنها لم تستطع إخفاء الندب في صوتها.

"قَطْعُ نَسْلِ أَسْرَتِكَ؟ وهل تظنين أن حفيدتك هذه قد سقطت من السماء؟ حفيدي لا تُعوّض ولو بعشرة من الأحفاد. سيدة برك".

"ألا تخجلين من رفع صوتك أمامي؟".

"ما ذنبها لو اضطرت لإزالة رحمها بسبب مرضها؟ ليس من الصحيح أن نتفوّه بمثل ذلك الكلام أمام شخص مريض. هذا ما تربّينا عليه، حتى امرأة جاهلة مثلي تعرف هذا".

أرادن أن تقول المزيد، لكنّ لسانها تحجّر في مكانه. كيف تحرّأت نك المرأة على جرح قلب ابنتها والتفوّه بمثل تلك الفاذوران على مسمع حفيدتها. كانت غير متأكّدة ممّا قد يخرج من فمها لو بقيت أكثر من ذلك في الغرفة، فأمكنست بمعصم جي مين وسحبها لردهة المشفى. كانت كفّ حفيدتها الصغير باردة وندية. لم تنمالك مالجا نفسها لتطر في وجه حفيدتها، واصطحبته معها لمكار ببع السلع الغذائية في الطابق الأول.

"هل تريدين تناول شيء؟ اطلبي ما تشائين؛ جدّتك سنشتري لك كل ما تطلبين. هل تريدين عصير بونج بونج أم عصير ساك ساك؟".

خرجت مالجا من المشفى واصطحبت جي مين في يدها. كانت تصحبها في تمشية وهي رضية كلّما بدأت في البكاء. كانت تعرف أنها لو فعلت ذلك فسوف يخمد الحزن في قلبها لو غيّرت المكان ورأت

منظراً مُختلفاً. تَمُنَّتْ مالمجا لو عاشت جي مين دون أن تعرف طريقاً للحزن، وتَمُنَّتْ لو أنه لم يكن عليها أن تذرف دموعاً في غير محلها، وألا تتجرّع الألم الذي لم تكن مضطرةً له. تَمُنَّتْ لو أنها لم تتعرض للانتهاك والنُمر الذي تبولنا به الحياة من وقت لآخر. أرادت لها أن تكون شخصاً مستمتعاً بالحياة مُقبلاً عليها، لا شخصاً عليه أن ينحملها "عزيزتي جي مين. لا تلقي لذلك الكلام بالألّ".

جي مين، التي توقفت عن البكاء، اتكأت على ذراع جدتها.

"بحلول الوقت الذي ستكبرين فيه لن يعني الأمر كونك رجلاً أو امرأة. ولو قال لك أحدهم إنه لا يمكنك فعل هذا لأنك امرأة امسحي ذلك الكلام كلياً، ولا تُعيري لتلك السخافات الجاهلة أي اهتمام واسخري منهم في وجههم. لك أن تكوني ما شئت، ولك أن تفعلي ما شئت. في جيلك، مَنْ كان يملك قلباً على صواب هو وحده مَنْ سبحا حياة طيبة، سواء كان رجلاً أو امرأة".

كانت حماة يونج سوك قد رحلت عندما عادت مالمجا لعره انتتها. افتربت مالمجا من ابنتها التي رقدت على فراشها بوجه منفتح. وحينما رأت أمها ابتسمت لها بحاجبين عابسين. مسحت مالمجا على رأس ابنتها مراراً وتكراراً حتى استسلمت للنوم. جلست جي مين على السربر المشفى وهي تراقب أمها وجدتها في صمت.

3

ذهبت مالمجا لغرفة جي مين بينما كانت يونج سوك نائمة.

بقيت الغرفة كما هي منذ سفر جي مين للصين. كان كل شيء نظيفاً ولامعاً بفضل صهرها السيد بارك الذي حرص على تنظيفها يومياً. كان الرّفُّ المكوّن من خمسة مستويات مكتظّاً بالكتب، بينما بقيت الكتب التي كانت تدرس منها جي مين استعداداً لامتحاناتها كما

هي على مكتبها. جلست على مقعد مكتب جي مين وبدأت تنظر للقصص والصور التي ألصقتها على الحائط. "أكثر الأوقات حُلُكَةً هو الوقت الذي يسبق بزوغ الشمس"، "ليست هناك مكتسبات إن لم أُجَزْ"، "احمعي زمام أمرك يا جي مين"... قصصاتها المكتوبة بحطّ يدها بهنت بسبب أشعة الشمس. كانت هناك أيضًا صورة لحي مين مع طلابها أثناء فترة تدريبها العملي للتدريس. كانت نفث خلف منصة ويحيطها الأطفال الذين رسموا شكل قلب بأيديهم. كانت ابتسامتها واسعةً لدرجة جعلت من الصعب رؤية عينيها الصغيرتين.

قالت جي مين في إحدى المرات إنها فكّرت في العمل لدى إحدى الشركات الكبرى، ولكنها عدّلت عن رأيها وقرّرت العمر كمعلمة بعد أن أنهت تدريبها العملي. "جدي، أحب الأطفال؛ فهم يمنحونني الحياة". تذكّرت مالجا وجه جي مين والبريق الذي رأيته في عينيها وهي تقول ذلك الكلام. وفي الصورة المقابلة كانت أيضًا صورتها مع طلابها في أول مدرسة عملت بها. كانت تقف مبتسمة وقد رسمت علامه النصر بأصابعها وبصحبتها الأطفال الذين وقفوا أمام شجرة الساكورا، كان الأطفال سعداء كذلك وقد عقدوا أذرعهم مع دراعي حي مين.

تفقدت مالجا الصور المضغوطة تحت الإطار الزجاجي للمكتب. كانت معظمها صورًا التقطت في المدرسة مع الطلاب. وكان هناك أيضًا خطابٌ صنّع من ورق الرسم بلون زهري، موقع من فر العديد من الطلاب. كتبوا لها "أستاذة جي مين، أنتِ أستاذتي المفضّلة"، "أنتِ مَرَحَةٌ للغاية يا أستاذة جي مين. أنام في باقي الحصص، ولكن ليس في حصّتك. لا تنسي أن تشجّعيني يا أستاذتي"، "أستاذة حي مين، شكرًا لأنك اشتريت لي المعجّونات من المتجر في المرّة السابقة. سأشحن

طاقني وأجب عن كل أسئلة الاختبار القادم"، "نحبك يا أستاذة جي مين، المشهورة بهو بانج مان⁽¹⁾ هاهاها".

رسم الطلاب وجه جي مين بطريقة كرتونية. في مرة سابقة حينما سألت ملجا جي مين "مَن يكون هو بانج مان هذا؟"، فقامت جي مين بالبحث عن صورة الشخصية الكرتونية على هاتفها وعرضتها عليها وهي تضحك. رجل بوجه قُرس خبز يرتدي عاءة ويطير في السماء. "يا إلهي، أين وجه الشبه بينك وبين هذا الأملح؟" كانت ملجا تسأل وهي غاضبة، بينما انفجرت جي مين في الضحك. كانت ملجا تفتقد بشدة لتلك الأيام التي قضتها مع حفيدتها تتحدثان سويًا عن مثل تلك الأمور في نفس غرفتها هذه.

كانت هناك أيضًا صور ملجا مع جي مين. صورة التُقِطت أمام حضانة جي مين في أول يوم دراسي لها. وهي ترتدي معطفًا صوفيًا جديدًا وجوربًا أبيض طويلًا، وتضع يدها في أنفها. بدا وكأن ملجا كانت تقول لها شيئًا، في الغالب كانت تخبرها التالي "توقفي وإلا نرقت من أنفك إذا ما استمررت في إدخال إصبعك". مرَّ زمنٌ طويل منذ تلك اللحظة، والآن قد بلغت ملجا السبعين من عمرها، بينما بلغت جي مين السابعة والعشرين. جي مين لم سواصل ولو لمرة واحدة بعد أن سافرت لأرض بعيدة وهي التي كانت ملتنصة بجسدها يوميًا في السابق.

رغم أن الزمن قد غير كل شيء إلا أنها شعرت أن بإمكانها أن تمدَّ يدها داخل الصورة لتلمس ذلك المنظر. كانت تُحَمِّم الطفلة، ثم تُلبسها ملابسها الداخلية، وتُمشط شعرها، وترفع جواربها لتغطي قدميها الصغيرتين، وتركض خلفها لتلحقها قبل أن تسقط الصغيرة ونحرح ركبتيها مرة أخرى، وتضع الطفلة الصغيرة في مهدها، وقد

(1) شخصية كرتونية يابانية ولها شهرة في كوريا كذلك

بدأت في نوبة من البكاء لأنها مُتعبةٌ وتريد النوم، ثم برّبت على ظهرها حتى نام فتجد نفسها وقد نامت بجوارها في نهاية الأمر وهي لم تنتبه لذلك، وكأن الأمر كله كان بالأمرس فقط.

كانت هناك صورة أخرى التَّقَطَّت قبل سنتين في فصل الحريف في رحلة لجزيرة جيغو. ذهبت مالجا ويونج سوک وجي مين ثلاثتهم إلى الجزيرة لمدة أربعة أيام وثلاث ليالٍ؛ احتفالاً بشفاء مالجا من السرطان. ركبوا الحصان، وزاروا متحف الدببة الشهير، وزاروا شلالات الجزيرة أكثر من مرة، كما تناولوا لحم الخنزير البري المشوي والمثلجات بنكهة الفول السوداني، وكعكة أوميجي المصنوعة من الأرز. تولّت يونج سوک مَهْمَةً قيادة السيارة، بينما تولّت مي جين مَهْمَةً البحث عن المطاعم والأماكن السياحية التي سيزورونها وحجز أماكن المبيت، أما مالجا فكان عليها أن تتبعهم فحسب.

التَّقَطَّت الصورة عند شاطئ الرمال الأبيض بجزيرة أودوو. وكانت تلك المرة الأولى التي ترى فيها شاطئاً برمال بيضاء ومياه بلون السماء. قالب جي مين إن رمال الشاطئ البيضاء تكوَّنت إثر تهشُّم الشعاب المرجانية. قالت مالجا إنها تريد غمر قدميها في البحر، فأسرعت حتى مبن بخلع جوربيها وسبققتها بالدخول للماء. وضعت كلتاها قدميها في الماء وهما يتضاحكان حتى ابتلّ كاحلاهما، حينها أخذت يونج سوک صورة لهما.

أحسّت مالجا بانقباض في صدرها حينما رأت صورتها مع مي جين وهي تثرثر معها وقد تشابكت أذرعهما سوياً. حدّقت في وجه جي مين طويلاً ثم قالت لها وهما على متن العبّارة التي أقلّتهم من جزيرة أودوو وحتى ميناء سونج سان.

"جي مين؟"

"نعم؟"

"هذه هي المرة الأخيرة".

"المرة الأخيرة لماذا؟".

"المرة الأخيرة التي تصحبيني فيها لمكان".

"ماذا تقولين يا جدي؟".

"أفعلي ما يحلو لك لو توفر معك النقود والوقت الكافيان".

"حدتي".

"نعم".

"لو أصبحت مُعلِّمة حقيقية، سأصحبك في رحلة أفضل من هذه بكثير".

"لو لم تكوني مُعلِّمة حقيقية بالفعل، فماذا تكونين؟ وهل يوجد معلِّمون غير حقيقيين في هذا العالم؟".

"لا زلتُ مُعلِّمة تحت الاختبار".

"وماذا يعني معلمة تحت الاختبار؟".

كُتب جي مين بالقلم جملة "مُعلِّمة تحت الاختبار" فوق ورقة مندبل.

"لم أنجح بعد في الامتحان الذي يؤهِّلني لأصبح مُعلِّمة".

حدَّقت مالجا كثيراً في جملة "مُعلِّمة تحت الاختبار"، ولم يكن باسِنطاعتها فهم الجملة مهما حاولت، ورغم ذلك أخذت تحرك رأسها متظاهرةً بالفهم. فالمعلمة مُعلِّمة فحسب؛ فما الداعي لذلك التعقيدات باستخدام جُملي مثل "مُعلِّمة تحت الاختبار".

بدأت تسترجع مالجا، وهي جالسة على كرسي مكتب جي مين، من جديد المنظر فوق العَبَّارة التي أفلَّتْهم لميناء سوبج سان. تذكَّرت شَعر جي مين الطويل الذي تطاير مع الرياح القوية، وكفَّيها الصغيرتين الممثلتَين بُبعدان خصلات شعرها من على وجهها. رغم أن

جي مين كانت تطلق على نفسها "بالغة"، إلا أنها كانت لا تزال طفلة صغيرة في عين مالجا وقد تُرُكَّت بالقرب من الماء الخطر دون رفقة البالغين. بومًا ما سأُضطرُّ لأن أرحل وأتركك، ولكنني لست قلقَةً من ذلك، هذا ما كانت تفكر فيه مالجا وهي واقفة فوق ظهر العتارة. سيكون هناك صعاب بلا شك، ولكنني واثقة من أنك ستنتصرين عليها، وتصبحين شخصًا يستمتع بنصيبه من السعادة. هذا ما كانت تؤمن به مالجا حينها. هذا ما كانت تؤمن به مالجا حقًا وهي نرى أمامها وجه مي جين النقي الضاحك في صفاء.

4

لاحظت مالجا وجه صهرها الذي بدا أنحف منذ آخر مرة رآته فيها، وقد لمحت محلًّا بعض الضروس فارغًا في فمه حين كان يتشاءب.

"صهري، هل ما رأيته كان صحيحًا؟ هل فقدت بعض الضروس؟"

لم يعلق صهرها السيد بارك على الأمر، بينما بادرت يويج سوك قائلة

"أعراض تقدّم العمر".

"صهري السيد بارك...".

"حماتي، هل تظنين أنه الوقت المناسب لتقلقي بشأني؟ رجوتكِ أن نلتفتني لوضعك الصحي".

عدم السيطرة على الانفعالات كانت إحدى عادات السيد بارك. فقدان الأعصاب يتزامن في العادة مع الشعور بالغضب، ولكن بالنسبة له كان يفقد أعصابه كلما شعر بالإحراج أو السعادة أو المفاجأة. في بداية الأمر، حينما كانت تعيش معهم كانت تُفاجأ بين الحين والآخر من انفعالاته المتكررة، إلا أنها اعتادت الأمر، وأصبحت لا تبالي. كان يصرخ بلا مناسبة، ثم يخرج ليدخّن، يعود من بعدها ليتفرّس خلسة في وجوه النساء الثلاثة، في محاولة منه لاستنباط مشاعرهم. كان

طويل القامة، بجسد ضخم، وهيئة مخيفة؛ ممّا أعطى للناس انطباعًا حاطًا عنه.

كان منظره وهو يللم سجنائه ويخرج مختلفًا عن منظره في السابق، فقد تقلّص حجم خصره وفخذه بحيث بدا سرواله ضخمًا عليه، وكأنّما تضاعف حجمه الكلّي بشكل كبير. ألمها ما لاحظته على زوج ابنتها الذي تدهور جسده على هذا النحو في فترة قصيرة.

في إحدى المرات، وبينما كانت مألجا نائمة في غرفة جي مين بعد زيارة للمشفى، سمعت صوت فتح الباب، ثم أعقبه دويّ صوت لشيء قد سقط على الأرض. نهضت مفزوعة، ثم خرجت تتحقّق من الأمر، فوجدت صهرها السيد بارك ملقى على أرض الرّدهة في حالة سُكرٍ شديد، ولم يكن قد خلع حذاءه حتى. لم يسبق لها أن رآته على تلك الحالة من قبل. حاولت تمالك نفسها وهي تشاهد صهرها ملقى على الأرض عاجزًا عن التحكم في أطرافه.

"نوح سوك! يونج سوك!" صرخ مناديًا عليها، ثم بدأ ينتحب في صمت.

"عززي، إن كنت ستبكي فأطلق صوتك في البكاء. وابك أمامي ما شئت. لِمَ عليك أن تحسب حسابًا للغير حتى وأنت معي؟".

أخذت يونج سوك تربّت على ظهر زوجها عدة مرات، ثم دخلت ملحا لغرفتها يعترها الخجل كونها قد تدخّلت في تلك اللحظة في المساحة الخاصة بين الزوجين. كانت مألجا مستلقية على فراشها حينما سمعت يونج سوك وزوجها يدخلان غرفتهما، ولكنها لم تستطع النوم.

"جي مين سافرت إلى الصين. تقول بأنّها ستعمل كمعلّمة في إحدى القرى الصينية". وجه صهرها السيد بارك الأحمر وهو يقول هذه الجملة كان يظهر أمام عينيها وهي مستلقية على الفراش.

أعدت مالجا طبق التشاب تشيه يوم ميلاد جي مين وأخذته معها لمزل ابنتها. كان على المائدة حساء الطحالب المَعْدُ بِمِرْقَةِ اللحم البفري، التشاب تشيه، طبق سلطة القواقع الحارة، سلطة الفجل المبشورة، إضافة لعدد من الأطباق التي تحبها جي مين جميعها كانت حاضرة على مائدة الطعام. في العام السابق، في يوم ميلاد جي مين قالت بأنها ستذهب في رحلة لمكان ما. قالت يونج سوك بأنهما قد قررا إعداد مائدة احتفالية متواضعة نظرا لأن صاحبة الاحتفال ليست موجودة على أي حال.

تجمع ثلاثتهم حول طاولة الاحتفال، بدا كل شيء بلا داعٍ. لم ينطق أي منهم بكلمة وكأنه اتفاق مسبق بينهم. تناول صهرها بضع ملاعق من الحساء ثم انسحب ودخل غرفته. نظرت مالجا ليونج سوك فوجدتها قد مزجت الأرز في حسائها وأخذت تدفسه في فمها دفسا. "أترغين في المزيد من الحساء؟ هل حُسر الطعام في حلقك؟".

استمرت يونج سوك في تناول حسائها دون أن ترفع رأسها، ثم أحسّت بالاختناق فسعلت وتطايرَ بعض حَبَّات الطعام على المائدة. "أسفة يا أمي".

اعتذرت يونج سوك وهي تنظف في ارتباك حَبَّات الأرز المنناورة على الطاولة. أسفة أسفة يا أمي.

علام كل هذا الاعتذار؟ شعرت مالجا بالغيظ من ابنتها التي كانت تنأسف على كل شيء، حتى على أتفه الأسباب. أرادت أن نحرها أن عليها التَّمَهْلُ، وأن تمضغ الطعام جيّداً، ولكن الكلام لم يخرج من فمها. أرادت أن تنادي اسمها "يونج سوك"، ولكن ذلك لم يفلح أيضاً. بدلاً من ذلك قامت بتزويدها ببعض الحساء. بدأت يونج سوك تتناول حساءها على مهل وهي تنفث فيه هذه المرة، كما بدأت مالجا نختار أعواد الطحالب الطرية قبل مضغها جيّداً.

وبعد أن أنهت يونج سو ك طعامها، قالت بأنها سخرج لشراء بعض المخبورات. غسّلت الصحون، وطوت الملابس المغسولة، ونظّفت بالمكنسة، لكن يونج سو ك لم تكن قد عادت للمنزل بعد. حلّست مالجا على الأريكة تتابع التلفاز لمدة ساعة، ثم عادت لمنزلها. كنت أمطار الخريف باردة، وقد نزلت بلا استحياء في يوم ميلاد جي مين. كانت خطوات مالجا ثقيلة وهي في محطة الحافلات، وقد أقلقها هاجس إذ ربما تكون انتهت تمشي في هذه الأمطار الباردة. اتّصلت بها حينما وصلت لمنزلها، لكن يونج سو ك لم تجب اتصالها.

مرّ نصف عام منذ سافرت جي مين للصين ولم تصل منها أي أخبار، ويبدو أنها كانت على عجلة من أمرها، حتى إنها لم تودّع جدّتها قبل سفرها، ثم اتصلت يونج سو ك بحلول ذلك الوقت لتُطلّعها على أخبار جي مين. قالت إنها استطاعت بالكاد أن تتواصل معها هاتفياً.

"أمي، حي مين تقول بأنها تسكن بمنطقة في وادٍ جبلي؛ لذا فمن الصعب عليها أن تتصل هاتفياً أو أن تبعث لنا بالرسائل".

كدت مالجا صامته.

"الصين شاسعة يا أمي، لدرجة أن هناك مناطق في الريف لا يصلها سعي البريد".

"نعم، الصين كبيرة".

"ويبدو أنها مشغولة بالأعمال المدرسية كذلك. تقول إنه لا توجد إجازة مدرسية".

"فعلاً؟".

"لذا أوصني أن أخبرك ألا تقلقي، وأنها بخير...".

"أأ واثقة أنها ستكون بخير".

"أنا واثقة من أن جي مين ستكون بخير".

5

فبحث مالجا خزانة جي مين، فوجدت معطفاً شتوياً، ومعطفاً لفصليّ الربيع والخريف، وعدة سُترات رسمية ترتديها للعمل، وسترة صوفية، وتُثورة تخصُّ البذلة، إضافة لبعض الفساتين الصيفية. كانت الخزانة الصغيرة مكتظةً بالملابس، وحين حاولت أن تُخرج السُترة الصوفية وجدت فستانين صيفيين قد انزلقا من أعلى شماعتهما. كانت السترة باللون الرمادي الداكن، وبها ثلاثة أزوار من الوجه الأمامي. وكانت جي مين ترتدي تلك السترة على الدوام، رغم أن قماشها لم يساعدها على تدفئة جسدها، كما كانت ذات زغب كثيف. مالجا قد سبق وأخبرتها عدة مرات أن تتخلص من هذه السترة، ولكنها لم تكن تسمع لها.

كان هاك من بين قطع ملابسها قطعة ثقيلة وقديمة قد صُنعت من خامات رخيصة. أخرجت مالجا هذه القطعة وفتحت دراعبيها لتضمها وكأنها تضمُّ إنساناً. كانت تلك فرصة ممتازة للتخلُّص من تلك القطع، ولكنها لم تقدر على فعل ذلك؛ لأن جي مين ستعود حتماً يوماً ما وتبدأ في السؤال عن مكان تلك القطع. كانت مالجا تجرّب الملابس التي تحبها جي مين حين يخلد كلُّ من يونج سوك وزوجها للنوم في غرفتهما. كانت تجربهم بداخل الغرفة فحسب، ولكن حينما تشعر بالرغبة في ذلك كانت ترتديهم في الخارج بل وتأخذ بعضاً منها لتضمها وهي نائمة.

نظرت مالجا لنفسها في المرآة وهي ترتدي سترة جي مين. ما رأتها في المرآة كان انعكاس لامرأة عجوز نحيفة مثل السيخ، تقف أمامها

مُحْدَبَة. عيناها الغائرتان مع قِلَّة الشَّعر في حاجبيها أعطتها نظره
مكررة على وجهها، رغم أنها لم تكن تفعل شيئاً سوى التحديق في
المرأة كانت تلك المرة الأولى التي ترى فيها نفسها في المرأة منذ مدة
حيث كانت تتحاشى النظر في المرأة منذ بدأت تفقد وزنها؛ خشية
رؤيته وجهها النحيل. استخرجت وشاح جي مين البيج ولفَّته حول
عقها. رغم أنها لم تفعل شيئ سوى أنها ارتدت ملابس جي مين
ووشاحها، إلا أنها أحسَّت أن قواها قد خارت بالفعل، بينما بدأت
ترتعث قدماها. فاستلقت على فراش جي مين على الفور.

أخبرها الطبيب بحذر أنه لا أمل حتى مع إجراء العملية. مثل
تلك الكلمات كانت لتحطُّمها في يوم من الأيام، لكنها الآن تشعر
بالسكينة. كانت قد ملَّت من الخضوع للعمليات والعلاج الكيميائي.
لم يكن هناك ما يستدعي أن تطيل عمرها لأجله، ولم يكن هناك
ما تندم عليه. بل إنها فكرت إذ ربما يكون هذا هو الحل الأفضل.
لبس معنى ذلك أنها لم تخش الموت، ولكن البقاء على قيد الحياة
كان مخيفاً بالقدر نفسه، وهنا يتساوى الطرفان. لم تدبَّ كيف يظهر
ملامحها أمام يونج سوك ابنتها وهي تخفي هذه المشاعر بداخلها.
أخذت تتقلب في الفراش عاجزة عن النوم.

جدتي.

كانت مألجا تسمع صوت جي مين في رأسها عدة مرات منذ أن
رحلت. كانت تسمعها تقول "جدتي" لا أكثر من ذلك. ذلك الصوت
وتلك الكلمة التي كانت تتوق لسماعها أكثر من أي شيء في العالم.
ولكن بمرور الوقت لم تستطع سماع صوت جي مين مرة أخرى. بل
إنها لم تُعد تتذكر صوتها على وجه التحديد. كيف لها أن تنسى صوتها؟
أحسَّت وكأنه عقاب لها؛ لذا، وكلَّما أحسَّت بأن صوتها يتلاشى، أو أن
الطفلة كانت تنجرف بعيداً؛ كانت تشحذ قلمًا بكل دقَّة وتكتب
رسالة لها.

نهضت مالبجا وتحركت نحو مكتب جي مين.

عزيزتي جي مين،

هل أمورك على ما يرام هناك؟ هل تُعلِّمين الأطفال حيِّدًا عندك أيضًا؟ لا تقلقي بشأننا. جميعنا بخير.

كنتِ طفلةً كثيرة البكاء. لم أر طفلة كثيرة البكاء مثلك في حياتي. في بداية الأمر شعرت بالظلم أن عليّ أن أرعى ابنة ابنتي مع كِبَر سَيِّ هذا. كنتِ كلُّما بكيتِ أفكُر: أيّ ذنب اقترفتُ حتى أُبتلى بكِ كم كانت الليالي طويلة وأنا أحاول تهدئك لتكفي عن البكاء. جي مين، لم أكن شخصية تحب الأطفال مثل باقي الناس. ولكن كيف انتهى بي الحال لأصبح على ما أنا عليه؟ لو سألني أحدهم لما وجدت ما أفسر به الأمر.

جي مين، جدَّتكِ كانت خائفة على الدوام من أن تحب الناس. محبَّةُ الناس لا تجلب لقلبكِ سوى الألم والتعب. ربما كان السبب لأن جدتك ضعيفة القلب، ولا أعلم متى بدأ هذا الأمر؟ رغم ذلك ظننت بأن الوضع سيتحسَّن حينما أتقدَّم في العمر. ولكن لم يحدث ذلك واتَّضح أنه رغم أن عينيَّ تشيخان، وكذلك أذنيَّ، وقدميَّ قد تصلَّتا مثل لحاء الشجرة، إلا أن قلبي لم يتغيَّر.

جي مين، ألم تشعرِي بالبرد وأنتِ ترتدين تلك الملابس؟ لم أستطع أن أشتري لك ولو طقمَ ملابس واحدًا لترتيديه، رغم أنني أعلم حساسية جسدكِ للبرودة. سمعت أنكِ بمنطقة بها وادٍ، الرياح ستهبُ هناك بلا شك، فهل تحرصين على ارتداء ما يدفئ جسدكِ؟ أتعلمين، سأذكركِ أكثر حينما يحلُّ الشتاء. جدتك قلقَةٌ عليكِ؛ إذ ربما ترتعشين من البرد وأنتِ ترتدين مثل هذه الملابس.

كنت طفلة شغوفة. كنت تناديني جدتي! ثم تخبريني بالكثير من الأمور الممتعة. هل يحتاج النمل مثلنا للغطاء حين ينام؟ من المسؤول عن زرّ تغشيل النور في السماء بحيث يُطفأ النهار ليأتي الليل؟ كانت جدّتك تتساءل من أين أتيت أنتِ وحكاياك تلك؟ عشتُ لأربعة عقود ولم أكن قد التقيتكِ بعدُ، فأين كنتِ حينها؟ ومن أين أتيتِ لتخبريني بكل تلك الحكايات العجيبة؟ هل تذكرين حين أصيبت جدّتك بالزكام وأدخلتِ المشفى؟ أتيتِ حينها لزيارتي وحدك بعد انتهاء يومك المدرسي، وقد حملتِ حقيبتك على ظهرك. وعلى ركبتيك أثار بُقْعُ الحشائش لطختِ سروالك المخصّص لصفّ اللياقة البدنية. حينما سألتك ماذا تفعلين هنا؟ ناولتيني ما كان في يدك. كان معك ثلاثة من النفل رباعية الأوراق. وضعتها جميعاً بين راحة يدي وقلبت لي: "جدّتي، أرجوكِ ألا تموتي، ولا تمري أيضاً". ضحكتُ لوداعتك، لكن عينيك كانتا مغرورتين بالدموع. جي مين، الأمر غريب، إلا أنني لا زلت أشعر وكأن قلبي سيتفطر كلّما تذكّرتُ نلك اللحظة لماذا أتعبتِ نفسك في البحث حتى اتّسختِ ثيابك، وكل ذلك مرّ أجل عجوز مثلي؟ ولماذا قتلتِ عيناك بالدموع مرّ أجل عجوز مثلي؟ صغيرتي الوديدة، طفلتني.

أصبحت كتابتها أقلّ وضوحاً بعدما بدأت تفقد طاقتها ومعها قدرتها على التحكم في يدها، ورغم ذلك لم تتوقف مالجاً عن كتابتها رسالتها. كانت واثقة من أن جي مين ستمكن من قراءة رسالتها مهما كان خطّها صعباً.

طوّت مالجاً الخطاب الذي أرادت أن تعطيه لجي مين شخصياً، ووضعتّه في مكان لا يصلّه ساعي البريد، ولا تصلّه الرسائل، في قلبها.

كلمة المؤلفة

لا زلتُ أذكر نفسي وأنا واقفة في قسم الروايات الكورية بمكتبة باندو أند لونيز بحي جونج رو، كان ذلك في صيف العام الذي بلغت فيه الثلاثين من عمري. وقفت متسمةً في مكاني لبعض الوقت أتساءل: هل تتاح لي الفرصة أنا كذلك؟ كان موضوع التأليف ونشر الكتب بعيدًا عن غط حياتي، وكان يبتعد أكثر شيئًا فشيئًا. قدّمتُ قصصي في الكثير من المسابقات الأدبية على مدار العامين الماضيين، ولكنني لم أوفق في أيٍّ منها، بل لم أحصل حتى على تقييم لتلك القصص. حتى قصة "انسامة شيوكو" التي عملتُ عليها جاهدة طوال فترة الربيع، كانت قد لاقت نفس المصير من الرفض من الجولة الأولى.

كانت طاقتي على الصبر قد نفدت في تلك الفترة. ولم تكن لدي وظيفة ثابتة، وكان عليّ أن أسدّد ديونًا مُستحقّة بشكل شهري، وهذا الأمر جعلني تحت ضغط مادي على الدوام. وتحت تلك الظروف رأيت أنه من المستحيل أن أكمل طريقي في مهنتي الميؤوسه تلك.

ورغم رغبتني في الكتابة ونشر أعمال، وأن أحيأ كمؤلفة، رأيت أن الوقت قد حان أخيراً للاستلام. وأذكر أنني كنت أبكي بشدة وأنا وحدي كلما راودني هذا التفكير. بكيت كمن قرّر ترك حبيبته الذي أحبه لفترة طويلة.

كلّما قلّ عزمي، وأحسست بالكسل في الكتابة، كنت أسرجع تلك اللحظة التي بكيت فيها كل تلك الدموع. كان ذلك الشيء الوحيد في الحياة الذي ثمّنت بكل صدق أن أمتهنه. لا أعلم إن كان الأمر محض وهم وخيالات، ولكنني تمنيت أن أعيش وأنا أكتب.

بعدما بدأت انطلاقتي الأدبية، كتبت بقلب من أحب حباً من طرف واحد لفترة طويلة. وكان ختام كل جملة، ومقطع، وقصة أمراً ممنوعاً في حدّ ذاته. الساعات الطويلة التي كنت أقضيها على مكتبي لمجرد أن أكتب بعض السطور كانت هي ما جعلتني على قيد الحياة. وبعض الندوب لم تُشف سوى بانغماسي في الكتابة.

كنت فاسية على نفسي بشدة في فترة المراهقة وبداية العشرينات وأود أن أعبر عن أسفي لذاتي القديمة لأنني كرهتها ولم أعامها بإنصاف، لمجرد أنها كانت على سجيّتها. أريد أن أطهو لهذه الفتاة طعاماً شهياً، وأن أدلّك كنفيها، وأن أخبرها بأن كل شيء سيكون على ما يرام أريد أن أصحبها في مكان دافئ ومشرق وأنصت لحكايتها، وأن أشكرها على اجتماعها لشجاعته، رغم جنبها، وأنها رافقتني حتى هذه النقطة

أعتقد أن هذه هي الهدية الوحيدة التي أستطيع أن أقدمها لأبي الذي تقعد منذ فترة قريبة. وأنا سعيدة أن الكتاب أسعد أمي. أرسلت التحية لأخي الصغير الذي تمالك نفسه رغم الصعاب اليومية. وأريد أن أوجّه التحية لجدي وجدتي اللذين تعهّداً برعايتي في فترة الطفولة، وتحملاً شخصيتي الغريبة شديدة الحساسية؛ فقد تلقّيتُ منهما قدراً من الحب بكفيني حتى نهاية العمر وأكثر. وأوجّه شكري لخالتي

وزوجها. وأشكر زوجي. كانت هناك الكثير من الصعاب التي واجهنا،
إلا أنني أتمنى أن نتخطاها كما نفعل الآن. وأريد أن أشكر قطني ليو،
ميو، ماري وبوتر.

وأريد أن أشكر أصدقائي الذين وقفوا بجانبني بقلوبهم، ولا أعلم
كيف أشكر جي هيه أوني التي كانت تثبتني وتُشجّعني حينما كنت
أتراجع. وأشكر الناقدة سو يونج تشيه على مقالاتها الغالية التي لا
أنساها، والكاتبة كيم يون سو، وقسم التحرير بدار مور هاك دونج
نيه.

وأود أن أشكر كل من منحني الفرصة، وأمن بي، رغم أنني كنت لا
أزال في مُستَهَلّ طريقي. لن أنسى أبداً ثقتكم الغالية التي وضعتموها
فيّ، وأتمنى أن أصبح كاتبة تُنتِج أعمالاً مميزة لسنوات قادمة في
المستقبل وأتمنى أن أكتب من وجهة نظر الناس والعالم الذين
تعرّصوا لمضايقات والكرهية لكونهم ذواتهم. وأتمنى أن أكون أنا،
بيما أحافظ على شجاعتي ونفسي وأنا أسير على هذا الدرب

صيف 2016

تشوي إين يونج

مكتبة
t.me/soramnqraa

نبذة عن المؤلفة

تشوي إين يونج

ولدت في عام 1984 في مدينة كوانج ميونج بمقاطعة كيونج كي. ودرست في قسم الأدب الكوري في جامعة كوريو. حافظت أثناء دراستها الجامعية على موقف نقدي بشأن مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية وحقوق المرأة. بدأت انطلاقتها الأدبية حين حصلت روايتها (ابتسامة شيوكو) على (جائزة المؤلفين الجدد)، كما حصلت على عدة جوائز أهمها جائزة (مون هاك دونج نيه) وجائزة (هو كيون للكتاب)، وجائزة (كيم جون سونج الأدبية)، وغيرها من الجوائز الأخرى.

و تعد الكاتبة تشوي إين يونج إحدى أهم وأشهر الكاتبات في كوريا الجنوبية في الوقت الحالي.

نبذة عن المترجمة

مروة محمد زهران.

مترجمة متخصصة في الأدب الكوري. خريجة كلية الألسن للغات، جامعة عين شمس، ضمن أول دفعة في قسم اللغة الكورية في الشرق الأوسط. حاصلة علي شهادة الماجستير في الأدب المقارن بين الأدب الكوري والعربي، من جامعة أولسان بكوريا الجنوبية.

أول أعمالها المترجمة كتاب عن وصفات من المطبخ التراثي الكوري، بعنوان "جمال الأكلات الكورية"، نُشر عام 2011. ورواية مترجمة من العربية للكورية بعنوان "ذوات"، للكاتبة الإماراتية زينب الياسي. وقصة قصيرة بعنوان "ألوان الظلام". ورواية بعنوان "الساحة" (ترجمة مشتركة).

الفهرس

5	1	ابتسامة شيوكو
56	2	شين تشاو - شين تشاو
93	3	أختي، أختي سوون إيه
121	4	هانجي ويونج جو
179	5	أغنية قادمة من مكان بعيد
209	6	ميكائيل
241	7	السر
265		كلمة المؤلفة
269		نبذة عن المؤلفة
269		نبذة عن المترجمة

telegram @soramnqraa

يوم المجموعة القصصية .. #5

ابتسامة شيوكو

في نشر واضح وغير منمق وبطريقة مباشرة ترسم تشوي إين يونج صوراً حميمية لحياة الشابات في كوريا الجنوبية، صوراً توازن بين ما هو شخصي وما هو سياسي وثقافي تتحدث في قصة ابتسامة شيوكو عن صداقة مشحونة بين فتاتين من المراهقة إلى البلوغ، وفي قصة أخرى تواجه امرأة شابة وفاة عشيقها وتسافر إلى روسيا للبحث عن معلومات حوله، وفي قصة ثالثة يخفي والدا معلمة ماتت في غرق العبارة سيول خبر وفاتها عن جدتها.

حازت المجموعة الأكثر مبيعاً في كوريا الجنوبية على جوائز عدة:

- حاز على جائزة مونهاكدونغني لأفضل كاتبة شابة في 2014.
- حاز على جائزة Munhakdongne لأفضل كاتبة شابة في 2014 و 2017.
- حاز على جائزة Heo Gyun في 2016.

المجموعة

